﴿ فهرسة الجزء الاول من السيرة الحلبية ﴾

صحيفه

٤ باب نسبه الشريف

٤٣ باب تزويج عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك

٦٣ باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين

٦٨ باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

٧٣ باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

١٠٧ باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد

١١٥ باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به

١٤٤ باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة أم أيمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه

١٥٤ باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له صلى الله عليه وسلم

١٦٠ باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب الى الشام

١٦٦ باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية

١٧٣ باب رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم

١٧٣ باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

١٧٦ باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

١٨٠ باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا

١٨٧ باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها

١٩٣ باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى

٢٤٩ باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وغير ذلك

٣٠٣ باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

٣٠٣ باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم

٣١٥ باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم

٣٥٥ باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة

ل حل ١

صحيفه

٣٦٤ باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم
٣٨١ باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى دار الارقم الى آخره
٤٠١ مطالب ومن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع الكفر بلال رضى الله تعالى عنه
٤٠٧ باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات

الجزء الاول من كتاب انسان العيون
في سيرة الامين المأمون عليه الصلاة
والسلام تأليف العالم العلامة نور
الدين على الحلبي الشافعي
رحمه الله تعالى وأعاد
علينا من بركات
علومه
آمين



كتاب السيرة الحلبية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن نضر وجوه أهل الحديث وصلاة وسلاما على من نزل عليه أحسن الحديث وعلى آله وأصحابه أهل التقدم فى القديم والحديث صلاة وسلاما دائمين ماسارت الائمة فى جمع سير المصطفى السير الحثيث * وبعد فيقول أفقر المحتاجين وأحوج المفتقرين لعفو ذى الفضل والطول المتين * على بن برهان الدين الحلبى الشافعى ان سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام الحامل على التخلق بالاخلاق العظام وقد قال الزهرى رحمه الله فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف فى السير قال بعضهم أول سيرة ألفت فى الاسلام سيرة الزهرى * وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال كان أبى يعلمنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يابنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وأحسن ما ألف فى ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس لما جمعت من تلك الدرارى والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير انه أطال بذكر الاسناد الذى كان للمحدثين به مزيد الاعتداد وعلية لهم كثير الاعتماد

اذهو

اذ هو من خصائص هذه الامة ومفخر الائمة لكنه صار الآن لقصور الهمم لا تقبله الطباع ولا تمتد اليه الاطماع * وأما سيرة الشمس الشامى فهو وان أتى فيها بما يعد فى مغانم وجوه المصانف حسنات لكنه أتى فيها بما هو فى أسماع ذوى الافهام كالمساد ات ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع و المعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين بن العراقى رحمه الله

وليعلم الطالب أن السيرا * تجمع ما صح وما قد أنكرا

وقد قال الامام واحمد بن حنبل وغيره من الائمة اذا روينا فى الحلال والحرام شددنا واذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا وفى الاصل والذى ذهب اليه كثير من أهل العلم الترخص فى الرقائق ومالا حكم فيه من أخبار المغازى وما يجرى مجرى ذلك وانه يقبل منها مالا يقبل فى الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها * فلما رأيت السيرتين المذكورتين على الوجه الذى لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لى أن الخص من تينك السيرتين انموذجا لطيفا يروق للاحداق ويحلو للاذواق يقرأ مع ما أضمه اليه بين يدى المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولا زلت فى ذلك أقدم رجلا وأوخر اخرى لكونى لست من أهل هذا الشان ولا ممن يسابق فى ميدانه على خيل الرهان حتى اشار على بذلك و بسلوك تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة أمره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة من اذا سئل عن أى معضلة أشكلت على ذوى المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا أخبر فى كثير من الاوقات عن شىء من المغيبات وكاد ان يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ أبو عبد الله * وأبو المواهب محمد فخر الاسلام البكرى الصديقى كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره فى سائر المسارى والمسارب ولى الله والقائم بخدمته فى الاسرار والاعلان والعارف به الذى لم يتمار فى انه القطب الفرد الجامع انسان مولانا الاستاذ أبو عبد الله وأبو بكر محمد البكرى الصديقى ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة فى العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد أبو الحسن تاج العارفين البكرى الصديقى أعاد الله تعالى على وعلى أحبابى من بركاتهم وجعلنا فى الآخرة من جملة اتباعهم * فلما أشار على ذلك الاستاذ بتلك الاشارة ورأيتها منه أعظم بشارة * شرعت معتمدا فى ذلك على من يبلغ كل مؤمل أمله ولم يخيب من قصده

وتمله وقد يسر الله تعالى ذلك على أسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر منه الطباع * والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة أبي الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في أولها * قال و في آخرها انتهى وان قلت أتيت بلفظة * أي و جعلت في آخر القولة دائرة هكذا بالحمرة ور بما أقول و في السيرة الشامية ور بما عبرت عن الزيادة القليلة * بقال وعن الكثيرة * بأي وماليس بعده تلك الدائرة فهو من الاصل أعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما ور بما ميزت تلك الزيادة بقولي في أولها * أقول وفي آخرها والله أعلم وقد يكون من الزيادة ما أقول و في السيرة الشامية بتقديم الماء على الشين * وحيث أقول قال في الاصل أو ذكر * في الاصل أو نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر * ثم عن لي أن أذكر من أبيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين الابوصيري ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات وأشارت اليه من ذلك السياق فانه أحلى في الاذواق ور بما أحل ذلك النظم بما يوضح معناه و يظهر تركيب مبناه ور بما أذكر من أبيات تائية الامام السبكي ما يناسب المقام ور بما أذكر أيضا بعض أبيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكر الحبيب * وقد سميت مجموع ذلك انسان العيون في سيرة الامين المأمون وأسأل من لا مسؤل الا اياه أن يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

(باب نسبه الشريف)

صلى الله عليه وسلم * هو محمد صلى الله عليه وسلم * ابن عبد الله ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء أحب أسمائكم و في رواية أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن و جاء أحب الاسماء الى الله ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله في القرآن قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو * ابن عبد المطلب و يدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له أي لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفي رأسه شيبة أي وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض أو سمى بذلك تفاؤلا بأنه سيبلغ سن الشيب وقيل اسمه عامر وعاش مائة وأربعين سنة أي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه

كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال ﴿قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة أردفه خلفه أي وكان بهيئة رثة أي ثيابه خلقة فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا يقول عبدي أي حياء أن يقول ابن أخي فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر انه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة بن أخي هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب ﴿أي وقيل لانه تربى في حجر عمه المطلب وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذي يتربى في حجر أحد هو عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزي فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أي فالظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط بن الجوزي (بن هاشم) وهاشم هو عمرو العلا أي لعلو مرتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان الدم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أي بين بني العباس وبين بني امية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده أمية بن أخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعى أمية هاشما للمفاخرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أفاخرك على خمسين ناقة سوداء الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية

بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا
على الكاهن فقال قبل أن يخبره خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام
الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية
الى المفاخر فنصر هاشم على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس
وخرج امية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين
هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب
ونوفل اقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم
على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو اب تبا ينوا في محال موتهم مثلهم فان هاشما
مات بغزة أي كما سيأتي وعبد شمس مات بمكة وقبره باجياد ونوفلا مات بالعراق
والمطلب مات ببرعاء من أرض اليمن ❊أي وقيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد
بعد جده ابراهيم فان ابراهيم أول من فعل ذلك أي ثرد الثريد واطعمه للمساكين
❊ وقيل ان أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصي ففي الامتاع
وقصي أول من ثرد الثريد وأطعمه بمكة ❊ وفيه أيضا هاشم عمرو العلاء أول
من أطعم الثريد بمكة وسيأتي ان أول من فعل ذلك عمرو بن لحي فليتأمل وقد
يقال لا منافاة لان الاولية في ذلك اضافية فأولية قصي لكونه من قريش وأولية
عمرو بن لحي لكونه من خزاعة وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش
والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

واطعم في المحل عمرو العلاء ❊ فالمستنين به خصب عام

❊(وقال أيضا)❊

عمرو العلا ذو الندا من لا يسابقه ❊ مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود اذا ❊ لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت ❊ قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذى طلب السماحة والندا ❊ هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش ❊ والقائلون هلم للاضياف

❊وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله
تعالى عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله ❊ ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ❊ منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضى الله عنه فقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكاف

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه * وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة * واتفق انه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزور وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما * وكان يقال له أبو البطحاء * قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال ابن الصلاح روينا عن الامام رضى الله تعالى عنه سهل الصعلوكي انه قال في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد عمرو العلاء الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقى له ولعقبه ذكره * وقد أبعد سهل في تأويل الحديث والذى أراه ان معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى أى والمراد أى ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلاء حتى يكون أفضل من ثريد غيره * وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف * وقال وقد ذكر انه كان اذا اهل هلال ذى الحجة قام صبيحته واسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب ارحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه وأحق من أكرم اضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل واسئلكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم

ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك و يخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة انتهى * وقيل في تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل انما سمي شيبة الحمد عبد المطلب لان أباه هاشما قال للمطلب الذي هو أخوه هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب كذا في المواهب وقدمه على ما تقدم * وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص من بني النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في أهلها أي ثم مضى لوجهه قبل أن يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في أهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما أثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند أهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة قيل وعمره حينئذ عشرون سنة * وقيل أربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون أي ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت يا غلام فقال أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فلما رآه عرف شبه أبيه به ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وفي لفظ انه عرف بالشبه وقال لمن كان يلعب معه أهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه فانها ان علمت بك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن أخي أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ ناقته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم به أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب أي فان هذا السياق يدل على أن عبد المطلب انما ولد بعد موت أبيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافي ما سبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز أن تكون هذه الحلة ألبست له عند أخذه ثم نزعت عنه في السفر * أي أو ان هذه الحلة اشتراها بمكة كما صرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوي على أنه يجوز أن يكون اشترى له حلتين واحدة ألبسها له بالمدينة واخرى اشتراها بمكة وألبسها له * وفي السيرة الهشامية ان أم عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته * أي وانها لا تلد ولدا الا في أهلها كما تقدم وان عمه المطلب لما جاء لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب اني غير منصرف حتى أخرج به معي ان ابن أخي قد بلغ

وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه لست بمفارقها الا أن تأذن لي فاذنت له ودفعته اليه فأردفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه أي ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان الشمس أثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن أخي هاشم ولا يخالف هذا ما سبق من انه صار يقول لمن يسأله عنه من هذا فيقول عبدي لانه يجوز أن يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم سأله فأجابه بقوله هذا عبدي كما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الى آخره وهاشم * بن عبد مناف وعبد مناف اسمه المغيرة أي وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنهما ووجد كتاب في حجر أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف اصله مناة اسم صنم كان أعظم أصنامها وكانت أمه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان اول ولد لقصي على ما قيل لان عبد مناف * بن قصي أي ويسمى قصي زيدا وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان اسمه يزيد ويدعى مجمعا أيضا * وقيل له قصي لانه قصي أي بعد عن عشيرته الى أخواله بني كلب في باديتهم وقيل بعد الى قضاعة مع أمه لانها كانت منهم * أقول لا منافاة لجواز أن تكون أم قصي من بني كلب وأبوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف الى بني كلب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة كانت جهة الشام فلا يخالف ما قيل قيل له قصي لانه بعد مع أمه الى الشام لان أمه تزوجت بعد موت أبيه وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة ابن خزام وقيل خزام بن ربيعة العذري فرحل بها الى الشام * وكان قصي لا يعرف له أبا الا زوج أمه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج أمه شر أي فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصي أي غلبه فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة وقالوا له الا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا * وفي لفظ لما قيل له ذلك قال ممن أنا قيل له سل أمك فشكى الى أمه فقالت له بلادك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم انت أكرم أبا منهم انت بن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد اليه العرب وقد قالت لي كاهنة رأتك صغيرا انك تلي أمرا جليلا فلما أراد الخروج الى مكة قالت له امه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فاني أخاف عليك فشخص مع الحجاج فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة تعرفوا له

فضله وشرفه فأكرموه وقدموه عليهم فسادفيهم * ثم تزوج بنت حليل بالحاء المهملة المضمومة الخزاعي كان أمر مكة والبيت اليه وهو آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة من خزاعة فجاءه منها بأولاده الآتي ذكرهم فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه مات حليل فرأى قصي انه اولى بأمر مكة من خزاعة لان قريشا أقرب الى اسماعيل من خزاعة فدعى قريشا وبنى كنانة الى اخراج خزاعة من مكة فأجابوه الى ذلك وانضم اليه قضاعة جاءهم أخو قصي لامه فأزاح قصي بهم خزاعة وولي أمر مكة وقيل ان حليلا جعل أمر البيت لقصي ولا منافاة لجواز أن تكون خزاعة لم ترض بما فعله حليل من أن يكون أمر البيت لقصي فحاربهم وأخرجهم من مكة * وقيل ان حليلا أوصى بذلك لابي غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان أوصى بذلك لابنته زوج قصي وقالت له لا اقدر على فتح البيت واغلاقه وان قصيا أخذ ذلك منه بزق خمر فقالت العرب أخسر صفقة من أبي غبشان * وقيل ان أبا غبشان أعطى ذلك لبنت حليل زوج قصي وأعطاه قصي أثوابا وأبعرة فكان أبي غبشان آخر من ملك أمر مكة والبيت من خزاعة ولا ينافي ذلك ما تقدم من أن حليلا آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة لجواز أن يكون المراد آخر من ولي ذلك واستمر كذلك الى ان مات * قال بعضهم وكان أبو غبشان خالا لقصي وكان في عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه أمر مكة والبيت بأذواد من الابل * والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا أخذه من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك بأثواب وأبعرة وبين أنه اخذ ذلك بأذواد من الابل ممكن لجواز أن يكون جمع بين الخمر والاثواب والابل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة تأمل * ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثني عشر قبيلة كما سيأتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير قول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

* وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فلقوا حذافة فأخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف معه ابنه أبو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال هذا حذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال الحقهم واسألهم ما شأنهم فلحقهم فأخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك قال والله ما معي شيء قال الحقهم لا أم لك واعطهم ما بيدك واطلق الرجل فلحقهم ابو لهب فقال قد عرفتم تجارتي

ومالي وانا احاف لكم لا عطينكم عشرين أوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوا منه وأطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت أبي لهب قال وأبي انك لعاص ارجع لا ام لك قال يا أبتاه هذا الرجل معي فناداه يا حذافة أسمعني صوتك فقال هذا انا ذا بأبي أنت يا ساقي الحجيج اردفني فأردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وهي قصيدة جيدة * فان قيل كيف قبل القوم من أبي لهب رهن ردائه على ما ذكره لهم في أن يخلو عن الرجل مع أن رداءه لا يقع موقعا من ذلك أجيب بأن سنة العرب وطريقتهم أن الواحد منهم اذا رهن غيره ولو شيئا حقيرا على امر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء ما رهن * ومن ثم لما أجدبت أرض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله تعالى عنه الى كسرى ليأخذ منه اماناً لقومه لينزلوا ريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى أنتم قوم غدر واخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب أنا ضامن ان لا تفعل قومي شيئا من ذلك فقال له كسرى ومن لي بوفائك قال هذه قوسي رهينة فضحك كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له العرب لو رهن احدهم شيئا لا بد أن يفي به فلما أخصبت ارض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم وأسلموا ومات حاجب أمر عطارد رضي الله عنه قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد رضي الله عنه الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال اوفك لم تسلم الى شيئا فقال ايها الملك انا وارث ابي وقد وفينا بالضمان فان لم تدفع الى قوس ابي صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم دفعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا اشار بعض الشعراء لقد احسن واجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين ازاح بني خزاعة عن البيت وأجلاهم عن مكة بعد أن لم يسلموا لقصي في ولاية أمر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل وأبو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا آخر أيام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة أكثر ثم تداعوا الى الصلح

واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على احد فى دم * أى وقيل قضى بان كل دم اصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصى بأنه اولى بولاية مكة فتولاها * قيل وكان له معشر من دخل مكة من غير اهلها اى بتجارة وكانت خزاعة قد أزالت بنى جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمى الاكبر ولى أمر البيت بعد ثابت بن اسماعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جد الثابت وغيره من أولاد اسماعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولدا سماعيل فى ذلك لخؤلتهم واعظاما لان يكون بمكة بغى ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يزنى ولم يجد مكانا دخل البيت فزنى فيه فأجمعت أى عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب * وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم أى وجاز أن يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو ابن الحارث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبيا تا منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

* ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اكتب بين يدى الوزير يحيى بن خالد البرمكى ايام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت أيام دولتنا قلت وماذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا انشدنى كان لم يكن بين الحجون البيت واجبته من غير روية بلى نحن كنا أهلها البيت * فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتى اذ جاءه انسان وأكب عليه وأخبره ان الرشيد قتل جعفر الساعة قال أوقد فعل قال نعم فما زاد أن رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة * ومما يؤثر عن يحيى هذا ينبغى للانسان أن يكتب أحسن ما يسمع و يحفظ أحسن ما يكتب ويحدث

بأحسن مايحفظ * وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحى وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمى آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو ابن لحى فى العرب من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية وهو أول من أطعم الحجيج بمكة شرائف الابل ولحمانها على الثريد والشرائف جمع شريف وهو السنم وذهب شرفه فى العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف * وفى كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم وربما نحر لهم فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشر آلاف حلة وهو أول من غير دين ابراهيم أى فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه أى من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحى فهو أول من غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة * وقيل أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته فى النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بأفواههما وعمرو أول من وصل الوصيلة وحمى الحامى ونصب الاصنام حول الكعبة وأتى بهبل من أرض الجزيرة ونصبه فى بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ماسيأتى وأول من أدخل الشرك فى التلبية فانه كان يلبى بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهى لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ الا شريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا بأس به فقال ذلك عمرو فتبعته العرب على ذلك أى فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى تو بيخالهم وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحى فزعم أن الله تعالى لا يرضى تحريم أكل الميتة قال كيف لا تأكلون ماقتل الله لكم وتأكلون ماقتلتم * وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه فى النار وفى رواية أمعاءه أى وهى المرادة بالقصب بضم القاف وفى رواية رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناة الفوقية آخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء

بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فى النار والاندلاق الخروج بسرعة وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعى واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة وهو فى اللغة واسع البطن يا أكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال أكثم فعسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان أى ودين اسماعيل هو دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام استمرت على دينه لم يغيره أحد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم * وفى كلام بعضهم ان أكثم هذا هو أبو معبد زوج ام معبد التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة وأكثم هذا هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الدجال فاذا هو أشبه الناس بك أكثم بن عبد العزى فقام أكثم فقال أيضرنى شبهى اياه فقال لا أنت مؤمن وهو كافر * ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذى فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله فى ذكر عمرو بن لحى وانما كان عمرو بن لحى أول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام فى بعض أموره فرآى بأرض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه قالوا هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرها ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونى منها صنما فأسير به الى أرض العرب فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة على بئرها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح فيه لا وذلك للامر الذى يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا فى ولد هل هو منهم أولا وقدح فيه مياه وقدح فيه ماها اذا أرادوا أرضا يحفرونها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحى هذا ثلثمائة سنة واربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل أى ومكث هو وولده من بعده فى ولاية البيت خمسمائة سنة وكان آخرهم حليل الذى تزوج قصى ابنته كما تقدم * وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وات منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادريس عليهما السلام وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب وأتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام فى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال

المعجمة

المعجمة على وزن مسجد أبو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير
* أى وكانوا هؤلاء على صور عباد ماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس
اللعين أمثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك أهل
ذلك العصر قال اللعين لأولادهم هذه آلهة آبائكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها
فى ساحل جدة فأخرجها اللعين * وفى كلام بعضهم أن آدم كان له خمسة أولاد
صلحاء هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا
شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادوا يفارقونه وذلك بأرض بابل فلما رأى ابليس
ذلك من فعلهم جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم ان أصور لكم صورته
اذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور
صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الآباء والابناء وابناء
الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها
فأرسل الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك * وكان بين آدم ونوح
عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فأول ما حدثت عبادة الاصنام فى قوم نوح
فأرسله الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحى هو الذى نصب
مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك
الاوس والخزرج وغسان * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى تفسيره
لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض
ان أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله
تعالى عن كل شىء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل
وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره
ليتذكروا بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك العلماء أن ذلك لا يجوز
الا باذن من الله تعالى هذا كلامه * وكان فى زمان جرهم رجل فاجر يقال له اساف
فجر بامرأة يقال لها نائلة فى جوف الكعبة أى قبلها فيها كما فى تاريخ الازرقى وقيل
زنى بها فمسخا حجرين فأخرجاهما ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان
عمرو بن لحى أخذهما ونصبهما حول الكعبة أى على زمزم وجعلا فى وجهها
وصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ باساف ويختم بنائلة وذلك قبل أن يقدم عمرو
بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبائحها عندهما * وذكر أنه صلى الله
عليه وسلم لما كسر نائلة عند فتح مكة خرجت منها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها
وهى تنادى بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بأن الرب يشتى بالطائف عند

اللات و يصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى العزى كما يهدون الى الكعبة * وقصى هو الذى أمر قريش أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن اليه كباب بنى شيبة و باب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصى دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة واستمر الامر على أنه ليس حول الكعبة الاقدر المطاف وليس حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضى الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى دورا أخر وغالى فى ثمنها وهدمها وزاد فى سعة المسجد ثم ان ابن الزبير رضى الله عنهما زاد فى المسجد زيادة كثيرة * ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيأ ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام * ثم زاد فيه المهدى والد الرشيد مرتين واستقر بناءه على ذلك الى الآن * وكانت قريش قبل ذلك أى قبل بناء منازلهم فى الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا واذا أراد أحدهم قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم أفصح من فتحها وهو على ثلثى فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم التى فى منازلهم التى بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاة والسلم وشكوا ذلك الى قصى فأمرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا انكروا ان ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصى انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا بهلة الله أى لعنته على من أراد فسادا فقطعها قصى بيده و بدأعوانه * وفى كلام السهيلى عن الواقدى الاصح ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى كيف نصنع فى شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان أحدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله * قال وأول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقيقعان لكنه جعل فداء كل شجرة بقرة فليتأمل الجمع * وأنزل قصى القبائل من قريش فى نواحى مكة بطاحها وظواهرها أى فانه جعلها اثنى عشر قبيلة كما تقدم ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومن الاولى

بنو

بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل فى وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

من بنى هاشم بن عبد مناف * وبنو هاشم بدار الحباء
من قريش البطاح من عرف النا * س لهم فضلهم بغير امتراء

* قال بعضهم كان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيأ كثيرا فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر * ومما يؤثر عن قصى من أكرم لئيما أشركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفى * ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وحاز قصى شرف مكة كله فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة * وكان عبد الدار أكبر أولاد قصى وعبد مناف أشرفهم أى لانه شرف فى زمان أبيه قصى وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه فى الشرف أخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمى عبد مناف الفياض لكثرة جوده فأعطى قصى ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التى هى السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة أى فانه قال له أما والله يابنى لالحقنك بالقوم يعنى أخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له أى بسبب الحجابة للبيت ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك أى وهذا هو المراد باللواء ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا يأكل أحد من أهل الموسم الا من طعامك أى وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك يعنى دار الندوة أى ولا يكون أحد قائد القوم الا أنت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف أراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهؤلاء اخوة لاب وام أمهم عاتكة بنت مرة ونوفل أخوهم لابيهم امه واقدة بنت حرمل أن يأخذوا تلك الوظائف من بنى عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة أى واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لاحلافهم فى المسجد عند باب الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا

المطيبين أي اخرجتها لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله
عليه وسلم وتوءمة أبيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب
منها مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة وبنو
الحارث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم
وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا
ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوءة دما
من دم جزور نحروها * ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا
يضعون أيديهم فيها ويلعقونها فسموا لعقة الدم * وقيل الذي لعق الدم فسموا لعقة
الدم بنو عدي خاصة * ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة
لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك
وتحالفوا على ذلك * هذا والذي رأيته في المشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق
ولما شرف عبد مناف بن قصي في حياة أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي
يحب ابنه عبد الدار أراد أن يبقى له ذكرا فأعطاه الحجابة ودار الندوة واللواء
وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان
وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار * ثم وليها عبد العزى بن عثمان
ابن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده * والسقاية كانت حياضا من أدم توضع بفناء
الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر
زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال لسقي الحاج أيام الموسم
حتى يتفرقوا * وهذه السقاية قام بها والرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده
ولده عبد المطلب * وكان شريفا مطاعا جوادا وكانت قريش تسميه الفياض
لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه أمر السقاية والرفادة فلما مات المطلب
وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه اركاحا أي افنية ودورا فسأل عبد
المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك
فكتب الى اخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل * فلما وقف خاله أبو سعد
ابن عدي النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل
الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال
تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام
نوفل قائما * وقال يا أبا سعد أنعم صباحا * فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا
وسل سيفه * وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأملأن منك

هذا

هذا السيف فقال قد يرده تهاعليه فأشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد
المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل و بنوه
بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل و بني
عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد
المطلب امه احتى بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا والعبد المطلب هلم فلنحالفك
فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا
ماتحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة
والمواساة مابل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما أقام
الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد ❊ وعبد المطلب لما حفر
زمزم صار ينقل الماء منها لتلك الاحواض و يقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده قام
بها ولده أبو طالب ثم اتفق أن أبا طالب أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان
من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب
في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب
شيء فقال لاخيه العباس أسلفني أربعة عشر الفا الى العام المقبل لاعطيك
جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كفلها فقال نعم
فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية
فصارت للعباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك في بني العباس الى زمن
السفاح ثم ترك بنو العباس ذلك ❊ والرفادة اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا
فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه
الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكل من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام
بها ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب
ثم ولده أبو طالب ❊ وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم
وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك في الخلفاء الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ثم من
مصر ❊ وأما القيادة وهي امارة الركب فقام بها عبد شمس بن عبد مناف
ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبي سفيان فكان يقود
الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن
عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست في العير ولا في النفير قال له ويحك العير
والنفير عيبتي أي وعائي لان العيبة ماتجعل فيه الثياب جدي أبو سفيان صاحب
العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ❊ ودار الندوة كانت قريش تجتمع

فيها المشاورة فى امورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصى فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش الا فى دار قصى التى هى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا فى تلك الدار فيشق عنها درعها او يدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصى يتبعون ما كان عليه فى حياته كالدين المتبع فلا زالت هذه الدار فى يد بنى عبد الدار الى أن صارت الى حكيم بن حزام فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضى الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله تعالى فأينا المغبون

* قيل وقصى هو جماع قريش فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشى ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه توصل به الى أن لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما فى الامامة العظمى التى هى الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش أنتم أولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا أن تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصى لان أبا بكر رضى الله عنه يجتمع معه فى مرة كما سيأتى لان تيم بن مرة و بين أبى بكر رضى الله عنه وتيم خمسة آباء وعمر رضى الله عنه يجتمع معه فى كعب كما سيأتى وبين عمر رضى الله عنه و كعب سبعة آباء * وقصى بن كلاب أى واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم ففى كلاب يجتمع نسب أبيه وامه * ابن مرة وهو الجد السادس لابى بكر رضى الله تعالى عنه والامام مالك رضى الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو مرة أيضا * ابن كعب أى وهو الجد الثامن لعمر رضى الله تعالى عنه * وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة أى يوم الرحمة الذى هو يوم الجمعة و يقال انه أول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن فى الحديث كان أهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتى فى ذلك كلام وكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم و يذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم و يعلمهم بأنه من ولده و يأمرهم باتباعه و يقول سيأتى

لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا

ياليتني شاهد نجواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

* وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هي بين موت كعب والفيل الذى هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره أبو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعب أول من قال أما بعد فكان يقول أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون * أي وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم وقيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب وكعب * بن لؤى أي بالهمزة أكثر من عدمها أي وفي سبب تصغيره خلاف * بن غالب بن فهر سماه أبوه فهرا وقيل هو هو لقب واسمه قريش والمناسب أن يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر * قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابي عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن يبني بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب فقاتله وأسره وانهزمت حمير ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره * ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وان صار اليك وفهر هو * بن مالك قيل له ذلك لانه ملك العرب * ابن النضر أي ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشي ويقال لكل من أولاده الذين هم مالك وأولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر * أي

وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش والنضر * بن كنانة قيل له كنانة لانه لم يزل في كن من قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أي تكذبوا ما جاء به فهو الحق * قال ابن دحية رحمه الله كان كنانة يأنف أن يأكل وحده فاذا لم يجد أحدا أكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده * ومما يؤثر عنه رب صوره تخالف المخبره قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر وكنانة * بن خزيمة ابن مدركة ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولعل المراد ظهوره فيه ومدركة * بن الياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة أيضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور قيل سمي بذلك لان أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وأول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان فليتأمل وجاء في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش أي فلا يقال لاولاده من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج * قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو أول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل احزن من خندف والياس * بن مضر قيل هو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوق مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة أقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعني نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس * وجاء في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين * أي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسماعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة * أقول سيأتي في بنيان قريش الكعبة انهم وجدوا فيها كتبا بالسريانية من جملتها كتاب فيه

من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة * وعن أبي عبيدة البكري أن قبر مضر بالروحاء يزاروا لروحاء على ليلتين من المدينة والله أعلم * وكان مضر من أحسن الناس صوتا وهو أول من حدا للابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما سمع وركب حدا وقيل أول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها أي لان الحداء مما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما أخذت ثلاثة أيام في يوم واحد وفي ذلك حكايات مشهورة ولاجل ماذكر ذكر ائمتنا انه مستحب * وفي الاذكار للامام النووي رضي الله تعالى عنه باب استحباب الحداء للسرعة في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها فيه أحاديث كثيرة مشهورة ومضر * بن نزار بكسر النون كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح والامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو نزار * ابن معد بن عدنان هذا هو انسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء بالانساب * ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الاعظم أن يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامعا للشروط التي ذكروها فكناني * قال بعضهم وقياس ذلك أن يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فالياسي فان لم يوجد الياسي فمضري فان لم يوجد مضري فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسماعيل لان من فوق عدنان لا يصح فيه شيء ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسماعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر والظفر * قال بعضهم ولا يخرج عربي في الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان يقال لهم يمن * ولما سلط الله بخت نصر على العرب أمر الله تعالى أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعدان هدأت الفتنة أي بموت بخت نصر * وكان عدنان في زمن عيسى عليه السلام وقيل في زمن موسى عليه السلام * قال الحافظ ابن حجر وهو أولى أي ومما يضعف الاول ما في الطبراني

عن أبي امامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان فيهم النبي الامي النذير البشير الحديث اذ بعد بقاء معد الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ومعلوم انه لا خلاف في أن عدنان من ولد اسماعيل نبي الله تعالى أى أرسله الله تعالى الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحاق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام * وذكر بعضهم من العماليق فرعون موسى عليه السلام ومنهم الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام * وكان اسماعيل بكر أبيه جاء له وقد بلغ أبوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين الرملة وايليا * وكان بين عدنان واسماعيل أربعون ابا وقيل سبعة وثلاثون * وفي النهر لابي حيان رحمه الله أن ابراهيم هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى أن اسماعيل أول من تسمى بهذا الاسم من بني آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله وأول من تكلم بالعربية أى البينة الفصيحة والا فقد تعلم أصل العربية من جرهم ثم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة البينة فنطق بها * وفي الحديث وأول من فتق لسانه بالعربية البينة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة * وفي كلام بعضهم لما خرج ابراهيم بهاجر وولدها اسماعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزودا فيه تمر فلما انزلهما ما ولى راجعا تبعته هاجر وهي تقول آلله أمرك أن تدعني وهذا الصبي في هذا المحل الموحش الذي ليس به أنيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تأكل من التمر وتشرب من الماء الى أن نفد الماء الحديث وكان انزاله لهما بموضع الحجر وذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم * وكون اسماعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية يعرب ابن قحطان وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له أنعم صباحا ويعرب هذا قيل له أيمن لان هودا نبي الله عليه السلام قال له أنت أيمن ولدي وسمي اليمن يمنا بتزوله فيه وهو أول من قال القريض والرجز * وقيل سمي اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة * وقيل ان أول من كتب الكتاب العربي اسماعيل والصحيح ان أول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم * وكذا كون اسماعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية آدم في الجنة

فلما

فلما أهبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها آدم سرا من الملائكة وأنطقه بها * قيل وأول من كتب الكتاب العربى والفارسى والسريانى والعبرانى وغيرها من بقية الاثنى عشر كتابا وهى الحميرى واليونانى والرومى والقبطى والبربرى والاندلسى والهندى والصينى آدم عليه السلام كتبها فى طين وطبخه فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسماعيل الكتاب العربى * أى وأما ما جاء أول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل * وفى كلام بعضهم أول من تكلم بالعربية المحضة وهى عربية قريش الذى نزل بها القرآن اسماعيل وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسماعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن تكلم بلغة اسماعيل العرب المستعربة وهى لغة الحجاز وما والاها * وجاء من أحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق * وقد ذكر بعضهم ان أهل الكهف كلهم أعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وانهم يكونون وزراء المهدى * واشتهر على ألسنة الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أفصح من نطق بالضاد قال جمع لا أصل له ومعناه صحيح لان المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد فى غير لغتهم * واسماعيل عليه السلام أول من ركب الخيل وكانت وحوشا أى ومن ثم قيل لها العراب أولما سيأتى وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل عليه السلام * وفى رواية أوحى الله تعالى الى اسماعيل أن اخرج الى أجياد الموضع المعروف سمى بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الى أجياد فألهمه الله تعالى دعاء ودعى به فلم يبق على وجه الارض فرس بأرض العرب الا جاءته وامكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهى ميراث أبيكم اسماعيل * وذكر الحافظ السيوطى رحمه الله ان له كتابا فى الخيل سماه جر الذيل فى علم الخيل * وفى العرائس أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب انى خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائى ومذلة على أعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح وأنت للطلب وأنت للهرب * وعن وهب انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه عليه أن خيلا بلقا لها أجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين على بها فصبوا

فى العين التى تردها ثم افشربت فسكرت فى بطونها وساسوها حتى تأنست

* قيل و يجوز أن يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءنى به جبريل عليه السلام * وجاء ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شىء مما خلق قال له اختر من خلق ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا و باقيا ما بقوا أبد الآبدين ودهر الداهرين وهذا صريح فى أن الخيل خلقت قبل آدم وقد سئل الامام السبكى هل خلقت الخيل قبل آدم أو بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث أو الاناث قبل الذكور * فأجاب بأن المختار أن خلق الخيل قبل آدم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين أحدهما ان الذكر أشرف من الانثى والثانى حرارة الذكر أقوى من الانثى ولذلك كان خلق آدم قبل خلق حواء فليتأمل * وقد ذكر الامام السهيلى أن فى الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر ذكرها و بينها الاصمعى فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفى الحيوان أعضاء باردة يابسة كالعظام نظير السوداء وأعضاء باردة رطبة كالدماغ نظير البلغم وأعضاء حارة يابسة كالقلب نظير الصفراء وأعضاء حارة رطبة كالكبد نظير الدم * وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شىء أحب اليه بعد النساء من الخيل * وجاء ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها و يقول رب انك سخرتنى لابن آدم و جعلت رزقى فى يده اللهم فاجعلنى أحب اليه من أهله وولده * وقيل لبعض الحكماء أى المال أشرف قال فرس يتبعها فرس و فى بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز و بطونها كنز * و فى الحديث لما أراد ذو القرنين أن يسلك فى الظلمة الى عين الحياة سأل أى الدواب فى الليل ابصر فقالوا الخيل فقال أى الخيل أبصر فقالوا الاناث قال فأى الاناث أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك * واعطى الله اسماعيل القوس العربية وكان لا يرمى شيأ الا أصابه * وفى الحديث ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا أى قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم يتنضلون فقال حسن هذا اللهو مرتين أو ثلاثا زاد فى بعض الروايات ارموا وأنا مع بنى فلان فامسك الفريق الآخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمى وأنت معهم اذا نتضلوا قال ارموا وأنا معكم كلكم أخرجه البخارى فى صحيحه زاد البيهقى فى دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا * وقد جاء

أحب الى من ان تركبوا وجاء أحب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى وجاء كل شىء يلهو به الرجل باطل الا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فانهن من الحق * وجاء علموا أولادكم السباحة والرمى وفى رواية الرماية وفى رواية علموا بنيكم الرمى فانه نكاية العدو وقد جاء تعلموا الرمى فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة * وروى مرفوعا حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وجاء من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا * وفى رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطى رضى الله عنه والاحاديث المتعلقة بالرمى كثيرة قال وقد ألفت كتابا فى الرمى سميته غرس الانشاب فى الرمى بالنشاب وفى العرائس كان اسماعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمى والصراع والرمى سنة اذا نوى به التأهب للجهاد لقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى على حد قوله الحج عرفة والانفعل قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمى والسيوف والسلاح * وسئل الحافظ السيوطى رضى الله عنه هل ما ذكره الطبرى والمسعودى فى تاريخهما أن أول من رمى بالقوس العربية آدم عليه الصلاة والسلام وذلك لما أمره الله تعالى بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع أرسل الله تعالى له طائرين يخرجان ما بذره ويأكلانه فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال آدم ما هذا ياجبريل فأعطاه القوس وقال هذه قوة الله تعالى وأعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالى وأعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله تعالى وعلمه الرمى بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما يعنى السهمين عدة فى غربته وأنسا عند وحشته ثم صار القوس العربية الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم الى ولده اسماعيل وهو يدل على ان قوس ابراهيم هى القوس التى أهبطت على آدم عليه السلام من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم عليه السلام من الجنة * فأجاب الحافظ السيوطى رضى الله عنه بقوله راجعت تاريخ الطبرى فى تاريخ آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم أجده فيه ولا تبعد صحته فان الله تعالى علم آدم علم كل شىء * وذكر ابن أبى الدم فى كتاب الرمى من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أول من عمل القسى ابراهيم عمل لاسماعيل ولاسحاق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم أن اسحاق جاء لابراهيم بعد اسماعيل بثلاثة عشر * وقيل بأربعة عشر سنة

* أي حملت به امه سارة في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنة وفي جامع بن شداد يرفعه كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة ثم استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله تعالى بهم * قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير * وكان أول من اتخذ القوس الفارسية نمرود فليتأمل الجمع * وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون ابراهيم عليه السلام أول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم أن اسماعيل بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام أي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسماعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم * وأما خالد بن سنان وان كان من ولد اسماعيل على ما قيل قال بعضهم لم يكن في بني اسماعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام * أي وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب أن تعبدها كالمجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال * وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيأ الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا كل هدى وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها * ويذكر انه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعى قومه وكذبوه وقالوا انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارا فأسالها عليهم نارا فخرجت فقالوا يا خالدارددها فانا مؤمنون بك فردها * قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه في جيبه فيجيء المطر ولا يقلع الا ان رفع رأسه * قيل وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا بابنة أخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فأسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات * وفي البخاري أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان * وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة ولا ما جاء في رواية أخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولا ما في كلام البيضاوي تبعا للكشاف من أن بين عيسى ومحمد صلى

الله

الله عليه وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن
ابن سنان وبعده حنظلة بن صفوان عليهما السلام أرسله الله تعالى لأصحاب الرس
بعد خالد بستمائة سنة لانه يجوز أن يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة
مستقلة بل كان مقرر الشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا كخالد بن
سنان والرس البئر الغير المطوية أي الغير المبنية * كذا في الكشاف والذي
في القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها وحين
دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم
بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفي أرضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد
الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام * أي وكان ابتلاهم الله تعالى
بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم
اذا اعوزه الصيد وكان اذا خطف أحدا منهم اغرب به * أي ذهب به الى جهة
الغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة الغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك
الى حنظلة عليه السلام فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله تعالى عليها صاعقة
فأهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم * وذكر بعضهم
أن حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسماعيل أيضا عليه الصلاة والسلام
* ثم رأيت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام وانه لما ذكر
ان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا
تابوتا وفي لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا * وقيل
ذراعا ووجدوا عند رأسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيمة وان من وفاته الى ذلك
اليوم ثلاثمائة سنة * وقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبي بل هو
رجل صالح لان عيسى بن مريم عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم نبي بنص الحديث في البخاري * أقول وقد علمت الجواب عن ذلك من
أن المراد بالنبي الرسول وفيه ان هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض
الروايات الا أن يجعل من عطف التفسير والله أعلم * والفترة التي كانت بينهما
اربعمائة سنة وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة * وقالت عائشة رضي الله
تعالى عنها ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا أي كذبا لان
الخراص الكذاب كذا قيل * أقول لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته
لان الخرص حقيقته الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناء على ذلك قيل له
خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس أن يقال الا خرصا أي

حزنا وتخميناً وعلى هذا كان الصديقة رضي الله تعالى عنها أرادت المبالغة للتنفيه عن الخوض في ذلك والله أعلم * وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فن قال غير ذلك أي مما زاد على ذلك فقد كذب * أقول اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من أن المجمع عليه الى عدنان الا أن يقال لا يخالفه لانه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع مازاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي اطلاقه الكذب على ذلك التأويل السابق *وأخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى أن قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المألوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم بأبي الجد وهكذا * وقد جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام واتبعت ملة آباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب * قال بعضهم والحكمة في ذلك انه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب والله أعلم * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا * قال البيهقي والاصح ان ذلك أي قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود رضي الله عنه أي لا من قوله صلى الله عليه وسلم *أقول والدليل على ذلك ما جاء كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم أولا ثم تابعه ابن مسعود عليه *وقد يقال هذه الرواية تقتضي اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه أي زيادة أدد أو نقص عدنان فهي مخالفة لما قبلها * وفي كلام بعضهم أن بين عدنان وأدد أد فيقال عدنان بن أد بن أدد * قيل له أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف * قيل وهو أول من تعلم الكتابة أي العربية من ولد اسماعيل وتقدم ان الصحيح أن أول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم بن عدي أن الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن أمية بن عبد شمس *وقد يقال الاولية اضافية أي من قريش * وعدنان سمي بذلك قيل لان أعين الانس

والجن

والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسماعيل من الآباء فقيل سبعة * وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل أربعون والله أعلم * قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا أي لا يكاد يحاط بها * فقد جاء كان ما بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة قرون * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الدنيا أي من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة أي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة * وعن أبي خيثمة وثمانمائة سنة * قلت وفي كلام بعضهم من خلق آدم الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة * وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها * وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث والآثار على أن مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلا وانما تزيد نحو أربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على ألسنة الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره أكثر من الف سنة باطل لا اصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ما اخرجه أبو داود لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة * وفي كلام بعضهم قد أكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة أي وهي سبعة وبعضهم اثنى عشر ألف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلاثمائة ألف وستون ألفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها * وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي أكمل الله خلق الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد أن انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي أربع وخمسون ألف سنة ثم خلق الله تعالى الآخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام * قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالى الجان في الارض قبل آدم بستين ألف سنة أي ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل آدم خلقا في صورة البهائم ثم أماتهم * قيل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سيأتي * وقال الشيخ محيي

الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أو عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من اولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه * وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سأل بنو اسرائيل المسيح عليه الصلاة والسلام أن يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى فقام واذا رأسه ولحيته بيضاء فقال انك مت وشعرك أسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب رأسي ولحيتي الآن * فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع روحي * وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم ان قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من ان أول من كتب معد أو نزار * وفي كلام سبط بن الجوزي أن سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه أي لو أراد أن يعلم ذلك الناس لعلمه لهم وهذا أولى من يعلمه بفتح الياء وسكون العين * وذكر ابن الجوزي أن بين آدم ونوح شيث وادريس وبين نوح وابراهيم هود ثم صالح وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسماعيل واسحاق ولوط وهو ابن اخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى وتسعون سنة وكان فراقه له وليوسف من العمر ثماني عشرة سنة وبقيا مفترقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة * هذا وفي الاتقان ألقي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام أن سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي أمه فلم يرض الله تعالى له ذلك فأراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى بن عمران ابن منشا وبين موسى بن عمران وهو أول أنبياء بني اسرائيل وداود يوشع وكان

يوشع

يوشع كهارون يكتب لموسى * ويذكر أن مما أوصى به داود ولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يابني اياك والمزح فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان * أى ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فيجترئ عليك ولكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح * وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل آكد أسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه واقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنا واياك وما تعتذر فيه من القول او الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء واذا غضبت فالصق نفسك بالارض * أى وقد جاء فى الحديث اذا جهل على أحدكم جاهل فان كان قائما جلس وان كان جالسا فليضطجع * وممن مات من الانبياء فجأة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل عليهم أفضل الصلاة والسلام * ثم بعد يوشع كالب بن لوقيا رضى الله عنه وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى أن يرزقها ولدا بعدما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك أى فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل أن يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من أعيانهم بل كان راعيا * وقيل سقا وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى عليهما السلام وهو آخر أنبياء بنى اسرائيل أيوب ثم يونس ثم شعياء ثم أحصياء ثم زكرياء ويحيى عليهم السلام * وفى النهر لابى حيان فى تفسير قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير أى وهو من أولاد هارون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وكان بين موسى وعيسى ألف نبى هذا كلامه * وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شأنه وفخامته وعلو مكانه ما جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال * قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا * وفى الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة * قال وعن سعد بن أبى وقاص أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله تعالى انتهى أى وأشد

الاسماعية ما كان في الآخرة وحينئذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم أو المراد المبالغة أو يكون ذلك من خصائص قريش فلا ينافي أن حكم الله المطرد في عدله أن لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازي على الافعال والاقوال الواقعة أو ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها * وعن ام هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أي ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أي على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم * ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم الله تعالى دون غيرهم في تلك المدة * وعن أنس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم * وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش أي وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش * وفي الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما * قال جماعة من الائمة منهم الامام أحمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي * وفي كلام بعضهم ليس في الائمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه أن الامام مالك بن أنس من قريش ويجاب بأنه انما يكون قرشيا على القول الباطل من أن جماع قريش قصي * وقد ذكر ابن السبكي انهم ذكروا ان من خواص الشافعي رضي الله تعالى عنه من بين الائمة ان من تعرض اليه أو الى مذهبه بسوء أو نقص هلك قريبا وأخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله تعالى هذا كلامه * وقال الحافظ العراقي اسناد هذا الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغاني من أنه موضوع وحاشا الامام أحمد أن يحتج بحديث موضوع أو يستأنس به على فضل الشافعي * وقال ابن الهيثمي هو حديث معمول به في مثل ذلك * أي في المناقب

وزعم وضعه حسداً وغلط فاحش * أى وعن الربيع قال رأيت فى المنام كأن آدم
مات فسألت عن ذلك فقيل لى هذا موت أعلم أهل الارض لان الله علم آدم الاسماء
كلها فما كان الا يسير حتى مات الشافعى رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به
* ومما يؤثر عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أطراك فى وجهك بما ليس
فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم بك * ومن اذا ارضيته
قال فيك ما ليس فيك واذا أسخطته قال فيك ما ليس فيك * وقال صلى الله عليه
وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها أى لا تتقدموها * وفى رواية ولا تعالموها
أى لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه * وفى رواية ولا تعالوها أى لا تجعلوها فى المقام
الادنى الذى هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم * وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا
فانه من أحبهم أحبه الله تعالى * وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش
لاخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل * وفى السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى
الله تعالى عنه رواية المزنى عنه قال الطحاوى * قال حدثنا المزنى قال حدثنا
الشافعى رضى الله تعالى عنه ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكأنه نال منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم
رجالا اذا رأيتهم عجبت بهم لولا أن تطغى قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى
أى لولا انها اذا علمت ما لها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما
ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لاعلمتها به لكن فى رواية لاخبرتها بما لمحسنها
عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى
* وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها
العواثر أى من طلب لها المكائد أكبه الله تعالى لمنخريه أى أكبه الله على وجهه
قال ذلك ثلاث مرات * وعن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه
سعيد بن العاصى فسلم عليه فقال له اى والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر ومالى
أن أكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد بن العاصى لو قتلته كنت على الحق
وكان على الباطل فعجب عمر من قوله * وقال قريش أفضل الناس أخلاقا وأعظم
الناس أمانة ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا كلامه والذى قتل العاص
والد سعيد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه * وقيل سعد بن أبى وقاص رضى
الله تعالى عنه فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر العاص
وأخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار
الناس * وفى رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس أى

ولعله سقط من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضى لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانه ممن يقتدى به فكانوا أشر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بأنهم خيار شرار الناس * ثم رأيت فى كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ما رواه المزنى عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى الحديث قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم * ومن ثم قال العلماء قريش أهل أمانة هكذا قرأه علينا المزنى أهل أمانة أى بالنون * وانما هو أهل امامة أى بالميم * وفى كلام فقهائنا قطب العرب وفيهم الفتوة * ومما يدل على شرف قريش هذا النسب أيضا ما جاء عن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارنى على من أنا منه من أولئك العرب * وما جاء عن واثلة ابن الاسقع رضى الله تعالى عنه * قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم * أقول وجاء بلفظ آخر عن واثلة بن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم عليهما السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب والله أعلم * قال وفى رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم * وما جاء عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل فقال يا محمد ان الله بعثنى فطفت شرق الارض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا من مضر ثم أمرنى فطفت فى مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرنى فطفت فى كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حيا خيرا من بنى هاشم ثم أمرنى أن اختار فى أنفسهم أى اختار نفسا من أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك انتهى * أى وفى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانيها * وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من

قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار انتهى * وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت أولاده كلها قريشا * وعن أبي هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقي ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله في مضر * وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم أخرجني من خيار من انا منه * قال بعضهم وما جاء في فضل قريش فهو ثابت لبني هاشم والمطلب لانهم أخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس * وفي الشفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا خير السابقين * ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة * وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا ابن ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر * فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية هذا كلام الشفاء فليتأمل والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

أي ظهر لهذا العالم منك كريم أي جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لي من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من أب كريم سالم من نقص الجاهلية آباؤه الشامل للامهات جميعهم كرماء أي سالمون من نقائص الجاهلية أي ما يعد في الاسلام نقصا من أوصاف الجاهلية * وهذا نسب لاجل منه وجلالته اذا تأملته تظن بسبب ما تحلى به من الكمالات أي معاليه اجملت الجوزاء نجومها التي يقال لها نطاق الجوزاء قلادة لتلك المعالي وهذه القلادة نعم هي قلادة سيادة وتمدح موصوفة بأنك في تلك القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها * لا يقال شمول الآباء الامهات لا يناسب قوله نسب لان

النسب الشرعي في الآباء خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوي أو قد يقال سلامة آبائه من النقائص انما هو من حيث أبويه أي كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم أن تكون امهاته كذلك وسيأتي لم ازل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وسيأتي الكلام على ذلك مستوفي * وقد قال الماوردي في كتاب أعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه أبي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها * ففي هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الافخاذ فخذه * وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم * وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضني * وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم * وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد يوم القيامة بيدي وان أقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب * وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام * وفي كلام فقهائنا العرب أولى الامم لانهم المخاطبون أولا والدين عربي * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله تعالى آدم الا كنت في خيرهما * أقول وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه

ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير
أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وأنا خيرهم
نسبا * وفي لفظ آخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني في خيرهم قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل
الثلث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا
وتقدم عن الشفاء مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالآيات وتقدم الامر بالتأمل
في ذلك والله أعلم * وفيه أنه ورد النهي في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب
الى الآباء في الجاهلية على سبيل الافتخار * من ذلك لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا
في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من آبائكم الذين ماتوا
في الجاهلية أي والذي يدحرجه الجعل هو النتن * وجاء في الحديث ليدعن الناس
فخرهم في الجاهلية أو ليكونن أبغض الى الله تعالى من الخنافس * وجاء آفة
الحسب الفخر أي عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك * وأجاب الامام الحليمي
بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم
أي ومن ثم جاء في بعض الروايات قوله ولا فخر أي فهو من التعريف بما يجب اعتقاده
وان لزم منه الفخر وهو اشارة الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة
وان لزم ذلك الفخر أيضا * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى أخرجت نبيا أي وجدت الانبياء
في آبائه فسيأتي أنه قذف بي في صلب آدم ثم في صلب نوح ثم في صلب ابراهيم عليهما
الصلاة والسلام بدليل ما يأتي فيه * وفي لفظ آخر عنه ما زال النبي صلى الله عليه
وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء أي المذكورين أو غيرهم حتى ولدته أمه أي وهذا
كما لا يخفى لا ينافي وقوع من ليس نبيا في آبائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم في نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة ان آباءه كلهم ليسوا
أنبياء لكن قال غيره لا زال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الى ساجد قال أبو
حيان واستدل بذلك أي بما ذكر من الآية المذكورة أي المفسرة بما ذكر الرافضة
على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أي لان الساجد لا يكون
الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسيأتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال
ظاهري والا فالآية * قيل معناها وتصفحك أحوال المتهجدين من أصحابك لانه
لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على أنه كان واجبا عليه وعلى امته وهو
الاصح * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان واجبا على الانبياء عليهم

الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت أصحابه لينظر حالهم أى هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير أى لان الله عز وجل افترض عليه صلى الله عليه وسلم أى وعلى امته قيام الليل أو نصفه أو أقل أو أكثر فى أول سورة المزمل ثم نسخ ذلك فى آخر السورة بما تيسر * أى وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سيأتى وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت أن آخر هذه السورة ناسخ لاوّلها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بأن الاخبار دالة على أن قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن انما نزل بالمدينة يدل على ذلك * قوله علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله لان القتال فى سبيل الله انما كان بالمدينة * فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اختيار لا ايجاب * وقيل معنى وتقلبك فى الساجدين وتقلبك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا فى الساجدين أى المصلين ففى الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل بساجدا المحذوف * ولا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين ان من جملة آبائه صلى الله عليه وسلم آزر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا * لانا نقول أجمع أهل الكتابين على أن آزر كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما * فقد حكى عن يعقوب عليه السلام أنه قال آبائى ابراهيم واسماعيل ومعلوم أن اسماعيل انما هو عمه أى و يدل لذلك أن أبا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور أهل النسب * وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ فى الفتح لا آزر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان آزر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من أخذ بظاهر الآية كالقاضى البيضاوى وغيره فقال ان أبا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل و يوافقه ما فى النهر نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آزر كان اسم أبيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطى رحمه الله يستنبط من قول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة أن المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار له أى فى قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه هو عمه لا أبوه الحقيقى قال فلله الحمد على ما الهم أى ولا يخفى أن هذه الآية الا اذا كان أبوه الحقيقى

ـه ياوقت التبري منه وان التبري سببه الموت أي موت عمه على الكفر لا الوحي بأنه يموت كافرا فليتأمل * وحينئذ يكون أبوه الحقيقي هو المعني بقول أبي هريرة أحسن كلمة قالها أبو ابراهيم أن قال لما رأى ولده وقد ألقى في النار على تلك الحالة أي في روضة خضراء وحوله النار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين ألقي في النار ست عشرة سنة كما في الكشاف وفي كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما سجن ثلاثة عشر سنة * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه * فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه قال صلى الله عليه وسلم فأهبطني الله تعالى الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط * أقول قوله صلى الله عليه وسلم فأهبطني ينبغي أن لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى الى آخره فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش وانه صلى الله عليه وسلم انفرد عن نور قريش وأودع في صلب نوح عليه السلام الى آخره بل على ما يأتي من قوله كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام اللازم لذلك أن يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره صلى الله عليه وسلم * وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء عليهم السلام لا تخفى وهي أنهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فمن ذرية نوح هود وصالح عليهما السلام * ومن ذرية ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهارون بناء على أنه شقيق موسى أولابيه والانسب أي أن نوره انتقل الى شيث وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسماعيل * وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام * ورأيت في كتاب التشريفات في الخصائص والمعجزات لم أقف على اسم مؤلفه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست أعلم غير ان في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب رواه البخاري هذا كلامه * فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور في ظهره

أى فهو حالة كونه نورا سابق على قريش بل سيأتى ما يدل على أن نوره صلى الله عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور آدم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم وجعل نوره صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم عليه السلام فقد تقدم فى الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور فى ظهره * أى فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الى آخر ما يأتى ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه وكان من جملة ما اوصاه به انه يوصى من انتقل اليه ذلك النور من ولده انه لا يضع ذلك النور الذى انتقل اليه الا فى المطهرة من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الماضية الى أن وصل ذلك النور الى عبد المطلب * أى وهذا السياق يدل على أن ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من آبائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص بعض آبائه بذلك ولم تلد حواء ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور * قيل مكث فى بطنها حتى نبتت اسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام وكانت تلد ذكرا وأنثى معا * أى فقد قيل انها ولدت لآدم أربعين ولدا فى عشرين بطنا * وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا * وقيل خمسمائة ويقال ان آدم عليه السلام لما مات بكى عليه من ولده وولد ولده أربعون ألفا ولم يحفظ من نسل آدم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته * أى فانهم لم يعقبوا أصلا فهو أبو البشر * وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول بأبى أنت وامى أخبرنى عن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الاشياء * قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث وفيه انه أصل لكل موجود والله سبحانه وتعالى اعلم

* واختلف الناس فى عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذى فى الاصل عن الزبير بن بكار انها ست طبقات وان أولها شعب * ثم قبيلة * ثم عمارة بكسر العين المهملة * ثم بطن * ثم فخذ * ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقى فى قوله

للعرب العربا طباق عدة * فصلها الزبير وهى ستة

أعم ذاك الشعب فالقبيلة * عمارة بطن فخذ فصيلة

* أى فالشعب أصل القبائل والقبيلة أصل العمارة والعمارة أصل البطون والبطن أصل الفخذ والفخذ أصل الفصيلة * فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلى الله عليه وسلم وقريش عمارته

صلى الله عليه وسلم وقصى بطنه صلى الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلى الله عليه وسلم و بنو العباس فصيلته صلى الله عليه وسلم * وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء وقيل بعدها الفصيلة قال ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها محمد بن سعد اثني عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة * وفى كلام بعضهم الاسباط بطون بنى اسرائيل والشعب فى لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتأمل

(باب تزويج عبد الله أبى النبي صلى الله عليه وسلم آمنة امه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك)

قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان أحسن رجل فى قريش خلقا وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا فى وجهه وفى رواية أنه كان أحسن رجل رءا بكسر الراء وبضمها ثم همزة مفتوحة منظرا فى قريش وفى رواية أنه كان أكمل بنى أبيه وأحسنهم واعفهم وأحبهم الى قريش وقد هدى الله تعالى والده فسماه بأحب الاسماء الى الله تعالى ففى الحديث أحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح * وذلك لان أباه عبد المطلب حين امر فى النوم بحفر زمزم بئر اسماعيل عليه السلام أى لان الله تعالى اخرج زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل كما يأتى ان شاء الله تعالى فى بناء الكعبة اخرج زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسماعيل عليهما الصلاة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها * أى فان جرهما لما استخفت بأمر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكى ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا * فلما رأى ذلك منهم عمد الى غزالتين من ذهب كانتا فى الكعبة وما وجد فيها من الاموال أى السيوف والدروع على ما سيأتى التى كانت تهدى الى الكعبة ودفنها فى بئر زمزم * وفى مرآت الزمان ان هاتين الغزالتين احداهما الكعبة وكذا السيوف ساسان أول ملوك الفرس الثانية ورد بأن الفرس لم يحكموا على البيت ولا نحوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافى ذلك فليتأمل * وكانت بئر زمزم نضب ماؤها أى ذهب فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك أى ودفن الحجر الاسود أيضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم *ثم لا زالت زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصى ومن بعده الى زمن

عبد المطلب ورؤياه التي أمر فيها بحفرها * قيل وتلك المدة خمسمائة سنة أي وكان قصي احتفر بئرا في الدار التي سكنتها ام هانيء اخت علي رضي الله تعالى عنهما وهي أول سقاية احتفرت بمكة * فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل * وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي فمات بها وانتفخ فنزحت من أجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها التي من ناحية الحجر الاسود * وقوله ولا تذم بالذال المعجمة أي لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أي قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها أحد لان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من جهة الوليد ابن عبد الملك ذمها وسماها ام جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه وهو الذي كان يلعن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنبر فلا عبرة بذمه * وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم * وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق * وقد جاء في رواية يقول الله تعالى ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد الا على اتباعك فيكون بمعنى ما قبله * وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم اني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يكن حقا من الله تعالى بين لك وان يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم * فقال عبد المطلب أين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حين ينقر الغراب الاعصم غدا أي والاعصم * قيل أحمر المنقار والرجلين * وقيل أبيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم

مثل

مثل المرأة الصالحة فى النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعنى الابيض البطن هذا كلامه * وقيل الاعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض احدى الرجلين * فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحارث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أى فى محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها أى التى كانت تتقرب بها وهذا بعد ماجاء فى رواية أنه لما قام يحفرها رأى مارسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها فى الموضع الذى رسم له * وقد يقال لا يبعد لانه يجوز أن يكون فهم أن يكون الفرث والدم موجودين بالفعل ولا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب فى محلهما فأرسل الله له تلك البقرة ليرى الامر عيانا * وذكر السهيلى لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا بأس بها ولعل اساف ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحى من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا يخالف ماذكره القاضى البيضاوى وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا امسحوهما أى ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف أى السعى بينهما وقالوا يارسول الله هذا كان شعارنا فى الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية * ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد فى موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فأقبل غراب أعصم فوقع فى الفرث فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله فى الرواية الاولى فندت بقرة من ذابحها أى ممن شرع فى ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها أى تم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد أو يراد بنحرها فى الحزورة ذبحها وبنحرها فى المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد رأينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع آخر ثم يقع به * وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين تنحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحارث ذدعنى أى امنع عنى حتى أحفر والله لامضين لما أمرت به فلما رأوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى أى البناء فكبر وقال هذا طى اسماعيل عليه السلام أى بناؤه فعرفت قريش انه أصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله ياعبد المطلب انها بئر أبينا اسماعيل وان لنا فيها حقا

فلنشركنا معك فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا نخاصمك فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بأعالي الشام أي ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فيهما وذكرت ان سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح سيأتي ترجمته * وأما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات لا ماء بها * فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه وماء أصحابه فظمؤا ظمأ شديدا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم * فقال عبد المطلب لاصحابه ما ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فقال اني أرى أن يحفر كل أحد منكم حفيرة يكون فيها الى أن يموت * فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أي يترك بلا مواراة أيسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما امرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت * ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله ان القاءنا بأيدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسى الله أن يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ما هم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة فلما جاء وأخذ في الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب اللتين دفنتهما جرهم ووجد فيها أسيافا وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوها الصاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل أي وجعلوا الغزالتين

قسما والاسياف والادراع قسما آخر وقام عبد المطلب يدعو ربه بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالتين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليت به الكعبة ذلك ✽ ومن ثم جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما والله ان أول من جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب ✽ وفي شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالتين في الكعبة فكان أول من علق المعاليق بالكعبة وسيأتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حليا الباب الكعبة ✽ وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله تعالى عنه لما فتحت مدائن كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صحفة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المأمون ياقوتة كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن الموسم في سلسلة من ذهب ✽ ولما أسلم بعض الملوك في زمنه أرسل اليها بصنمه الذي كان يعبده وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة ثم ان الغزالتين سرقتا وأبيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمور وغيرها فاشتروا بثمنهما خمرا ✽ وقد ذكر ان أبا لهب مع جماعة نفدت خمرهم في بعض الايام وأقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمرا وطلبتها قريش وكان أشدهم طلبا لها عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب أبو لهب هرب الى أخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزال الكعبة ✽ وقد قيل منافع الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من النواحي لكثرة ما يربحون فيها لانه كان المشتري اذا ترك المماكسة في شرائها عد وفضيلة له ومكرمة فكانت أرباحهم تكثر بسبب ذلك وما قيل في منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد في الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا ينشأ عنها الصداع والرعشة في الدنيا الشاربها وفي الآخرة يسقى عصارة أهل النار ✽ وفي كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجاءة ومميتة للقلب ومسقطة للرب ومن ثم جاء انها أي

الخمرة ليست بدواء ولكنها داء * وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر أى كان مغلقا * وجاء الخمر أم الفواحش * وفى رواية أم الخبائث * وجاء فى الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى الله من اشتفى بها * وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالتين علقتا فى الكعبة وسرقتا أو سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حليا الباب لانه يجوز أن يكون عبد المطلب استخلص الغزالتين أو الغزالة من التجار ثم جعلهما حليا الباب بعد ان كان علقهما * وفى الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من آبار حفرت بمكة وأول من حفر بها بئرا قصى كما تقدم * وكان الماء العذب بمكة قليلا * ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين يصبح فلما أكثروا من ذلك * وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا فأرى فى المنام ان قل اللهم انى لا أحلها المغتسل وهى لشارب حل وبل أى حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش فى المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه أحد أو اغتسل الا رمى فى جسده بداء * ثم ان عبد المطلب لما قال لولده الحارث ردعنى أى امنع عنى حتى أحفر وعلم أنه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن أحدهم عند الكعبة * أى وقيل ان سبب ذلك ان عدى بن نوفل بن عبد مناف أبا المطعم قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك أى متعدد بل لك ولد واحد ولا مال لك وما أنت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب أتقول هذا * وانما كان نوفل أبوك فى حجر هاشم أى لان هاشما كان خلف على أم نوفل وهو صغير فقال له عدى وأنت أيضا قد كنت فى يثرب عند غير أبيك كنت عند أخوالك من بنى النجار حتى ردك عمك المطلب * فقال له عبد المطلب أو بالقلة تعيرنى فلله على النذر لئن آتانى الله عشرة من الاولاد الذكور لانحرن أحدهم عند الكعبة وفى لفظ ان أجعل أحدهم لله نحيرة * قيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم * فعن معاوية رضى الله عنه ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها أن ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة أى وحفر زمزم أمر فى النوم بالوفاء بنذره * أى قيل له قرب أحد أولادك أى بعد ان نسى ذلك * وقد قيل له قبل ذلك أوف بنذرك فذبح كبشا وأطعمه الفقراء ثم قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له فى النوم قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك * فقيل له

قرب أحد أولادك الذي نذرت ذبحه فضربت القداح على أولاده بعد ان جمعهم
وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء وأطاعوه * ويقال ان أول من أطاعه عبد الله
وكتب اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح لسادن وانقائم بخدمة هبل
وضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله * أى وكان أصغر ولده واحبهم اليه مع
ما تقدم من أوصافه * فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة * ثم أقبل به على
اساف ونائلة وألقاه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من
تحت رجل أبيه حتى أثر فى وجهه شجة * لم تزل فى وجه عبد الله الى أن مات
* كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم * كان عمره ثلاث سنين
ونحوها * فعنه رضى الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأنا ابن
ثلاثة أعوام أونحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لى قبل أخاك
فقبلته * وقيل منعه أخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة أمه وقالوا له
أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة * وفى رواية واعظمت قريش ذلك * أى
وقامت سادة قريش من انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لا تفعل حتى
تستفتى فيه فلانة الكاهنة أى لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل
يأتى بابنه حتى يذبحه * أى ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك
من النذر * وقال له بعض عظماء قريش لا تفعل ان كان فداؤه بأموالنا فديناه
وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة * وقيل غير ذلك كانت بخيبر فأتتها فاسألها فان
أمرتك بذبحه فاذبحه وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فأتاها * أى مع بعض
قومه وفيهم جماعة من اخوال عبد الله بن مخزوم فسألها وقص عليها القصة فقالت له
ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها
فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج
عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها
فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة ثم عشرة حتى بلغت مائة
* فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضى ربك * فقال
عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات * أى ففعل ذلك وذبح الابل
عند الكعبة لا يصد عنها أحد * أى من آدمى ووحش وطير * قال الزهرى
فكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل أى بعد ان كانت عشرة
كما تقدم * وقيل أول من سن ذلك أبو سيار العدوانى * وقيل عامر بن الظرب
فجرت فى قريش * أى وعلى ذلك فأولية عبد المطلب اضافية ثم فشت

في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله أخوه * أى وأما ماقيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله أيضا ولازال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا * وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ابن العباس رضى الله عنهما سألته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل أخذا من هذه القصة * ثم سألت عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن ذلك فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم وكان أميرا على المدينة فأمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها * وقال ان ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما لم يصيبا الفتيا ولايخفى ان هذا نذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شيء وعند أبي حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة في أيام النحر في الحرم أخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال القاضي البيضاوي وليس فيه ما يدل عليه * وفي الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين أى عبد الله واسماعيل * وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحق فقال معاوية على الخبير سقطتم * كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * فأتاه أعرابي أى يشكو اجدب أرضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين * فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه * فقال القوم من الذبيحان يا أمير المؤمنين قال عبد الله واسماعيل * قال الحافظ السيوطي هذا حديث غريب وفي اسناده من لا يعرف حاله * قال بعضهم لما أحب ابراهيم ولده اسماعيل بطبع البشرية أى لاسيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك * وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الاولاد أحب الى الوالد أى وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره أمره الله بذبحه ليخلص سره من حب غيره بأبلغ الاسباب الذى هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا * وجاء مما يدل على أن الذبيح اسحاق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى النسب أشرف * وفي رواية من أكرم الناس فقال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله عليهم السلام كذا روى * قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم ومازاد على ذلك من الراوى * ومما ذكر أن يعقوب

لما بلغه ان ولده بنيامين أخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ ولده يوسف
بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء * أما جدي فربطت
يداه ورجلاه ورمى به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما
* وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله * وأما أنا فكان لي ابن وكان
أحب أولادي الى فذهب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن * وكان
أخاه من أمه وكنت اتسلى به وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت
* ففي كلام القاضي البيضاوي وما روى أن يعقوب كتب ليوسف من يعقوب
ابن اسحاق ذبيح الله لم يثبت أي ولعله لم يثبت أيضا ما في أنس الجليل أن موسى لما
أراد مفارقة شعيب وذهابه الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه * وقال
يارب ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف
الصديق رد على قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته
* وذكر أن يعقوب رأى ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حي وعلمه ما يدعو به وهو ياذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه
أبدا ولا يحصيه غيره فرج عني * وذكر ان سبب ذبح اسحاق * أي على القول
بأنه الذبيح أن الخليل قال لسارة ان جاءني منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحاق
* وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسماعيل ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة
واسحاق اسمه بالعبرانية الضحاك * وجاء في حديث راويه ضعيف الذبيح
اسحاق وان داود سأل ربه * فقال أي ربي اجعلني مثل آبائي ابراهيم واسحاق
ويعقوب فأوحى الله اليه اني ابتليته ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحاق بالذبح
فصبر وابتليت يعقوب أي بفقد ولده يوسف فصبر الحديث * وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا قال بشربه نبيا حين فداه الله
تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده أي لما صبر الاب على ما أمر به
وسلم الولد لامر الله تعالى حصلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة * قال الحافظ
السيوطي وجزم بهذا القول عياض في الشفاء والبيهقي في التعريف والاعلام
وكنت ملت اليه في علم التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك أي كون اسحق هو الذبيح
هذا كلامه * وقد تنبأ كل من اسماعيل واسحاق ويعقوب في حياة ابراهيم
فبعث الله اسماعيل لجرهم واسحاق الى أرض الشام ويعقوب الى أرض كنعان

ولا ينافي ذلك أي كون اسحق هو الذبيح تسميته صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمي العم أبا * وفي الهدى اسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم * وأما القول بأنه اسحق فمردود بأكثر من عشرين وجها * ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذي هو التوراة فان فيه ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك في التوراة التي بأيديهم اذبح ابنك اسحق * أي ومن ثم ذكر المعافا بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود يعلمون انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق أبوهم * ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح رجحت فيها القول بأن الذبيح اسماعيل جوابا عن سؤال رفعه الى بعض الفضلاء وعلى أن الذبيح اسماعيل فمحل الذبح بمنى وعلى أنه اسحاق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس * وفي كلام ابن القيم تأييد كون الذبيح اسماعيل لا اسحاق ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة * واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بأن حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة يوما وحينئذ يشكل قول بعضهم * فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله هذا كلامه * وأجيب عن الاول بأنه يجوز أن يكون له حينئذ أي عند ارادة الذبح ولد اولد * أي فقد ذكر ان لولده الحارث ولدين أبو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة * هذا وذكر بعضهم ان أعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثنى عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وكلاهما أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بني أبيه وقت الذبح لانه يجوز أن يكون المراد انه كان أصغرهم حين أراد ذبحه * أي لا بقيد كونهم عشرة أو بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر * وكان عبد الله كما تقدم أحسن بني رجل في قريش وأجملهم * وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري * أي المضيء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش

ولقي

ولقي منهم عناء وليتظر ما هذا العناء الذي لقيه منهن * قيل انه لما تزوج آمنة لم تبق امرأة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت * أي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء * وأما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في الاصل هي البياض * أي وأم وهب اسمها قيلة بنت أبي كبشة أي وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمانية عشر سنة فمر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى * أي يقال لها قتيلة وقيل رقية وهي أخت ورقة بن نوفل وهي عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة انه كائن في هذه الامة نبي * أي وان من دلائله أن يكون نورا في وجه أبيه أو انها الهمت ذلك فقالت لعبد الله * أي وقد رأت نور النبوة في غرته أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل التي نحرت عنك وقع علي الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وأنشد

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

* قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي

لقد حكم البادون في كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض
وأن أبي ذو المجد والسودد الذي * يشار به ما بين نشز الى خفض

أي ارتفاع وانخفاض * وعن أبي يزيد المدني ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على امرأة كاهنة من أهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله * فقالت يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم انتهى * أقول قال الكلبي كانت أي تلك الكاهنة من أجمل النساء واعفهن فدعته الى نكاحها فأبى ولا منافاة لانه جاز أن تكون ارادته بقولها وقع علي الآن أي بعد النكاح وفهم عبد الله انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته * وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة في هاتين الواقعتين واحدة وانه اختلف في اسمها وانه مر على تلك المرأة في ذهابه مع أبيه ليزوجه آمنة ويدل لذلك فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضي أنهما قضيتان وان الاولى عند انصرافه مع أبيه ليزوجه آمنة * وقوله قد قرأت الكتب أي فجاز انها رأت في تلك الكتب أن النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا في وجه أبيه وانه يكون

من أولاد عبد المطلب لأوانها المهمت ذلك فطمعت أن يكون ذلك النبي منها و ربى بعد الثاني ماسيأتي عنها والله أعلم * فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا وكانت في حجره لموت أبيها وهب بن عبد مناف * وقيل أتى عبد المطلب الى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته آمنة وقدم هذا في الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها * قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى * أقول فيه انه سيأتي في فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب أبي طالب المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم و بنو المطلب * و يمكن أن يقال ذلك الشعب الذي كان في الحجون كان محلا لسكنى أبي طالب في غير أيام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه أبو طالب أيام منى فلا مخالفة والله أعلم * ثم أقام عندها ثلاثة أيام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته أي عند أهلها أي فهي وأهلها كانوا بشعب أبي طالب * ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة * قال وفي رواية انه لما مر عليها بعد ان وقع على آمنة قال لها مالك لا تعرضين على ما عرضت بالامس قالت من أنت قال أنا فلان قالت له ما أنت هو لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ما صنعت بعدي فأخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في وأبى الله الا أن يجعله حيث أراد اذهب فأخبرها انها حملت بخير أهل الارض انتهى * أقول وفي رواية ان المرأة التي عرضت نفسها عليه هي ليلة العدوية وان عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار وانه قال حتى أغسل ما علي وارجع اليك وانه رجع اليها بعد ان وقع على آمنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به * أي وفي سيرة ابن هشام مررت بي و بين عينيك غرة فدعوتك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها لئن كنت * أي وحيث كنت ألممت بآمنة لتلدن ملكا * ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المرأة كان عندها علم بأن عبد الله تزوج آمنة وانه يريد الدخول بها وانها علمت انه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المرأة

لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل فى مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال * ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما فى الوفاء من قوله ثم تذكرا الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل اليها الحديث والله أعلم * وعن الكلبى انه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم * أى من قبل امه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحا * والمراد بالسفاح الزنا أى فان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد (ه) ولا شيأ مما كان من أمر الجاهلية * أى من نكاح الام أى زوجة الاب لانه كان فى الجاهلية يباح اذا مات الرجل أن يخلفه على زوجته أكبر أولاده من غيرها * وفى كلام بعضهم كان أقبح ما صنعه أهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته ويقال له نكاح المقت وهو العقد على الرابة وهى امرأة الاب والراب زوج الام * وما قيل ان هذا أى نكاح امرأة الاب وقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم لان خزيمة احد آبائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته أكبر أولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذى خلف عليها كنانة بعد موت أبيه ماتت ولم تلد منه ومنشأ الغلط انه تزوج بعدها بنت أخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام السهيلى نكاح زوجة الاب كان مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة وهى برة بنت مرة فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها أى واقدة لم تلد جدا له صلى الله عليه وسلم * وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف * أى الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام * وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى اجداده صلى الله عليه وسلم من كان من بغية ولا من سفاح * الا ترى انه لم يقل فى شيء نهى عنه فى القرآن * أى مما لم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا فى شيء من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من كان

قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل واختها ليا * فقوله الاما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه لا التفات اليه ولا معول عليه على أن قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضي البيضاوي ان يعقوب عليه السلام انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل * وفي أسباب النزول للواحدي ان في البخاري عن اسباط قال المفسرون كان أهل المدينة في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المرأة وصار أحق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء أن يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيأ وان شاء عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار فجاء ولده من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه فأتت تلك المرأة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى الآية ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية * وقيل توفي أبو قيس فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت اني أعدك ولدا ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فأتته وأخبرته فأنزل الله تعالى الآية * وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال لقيت خالي يعني أبا الدرداء رضي الله عنه ومعه الراية فقلت أين تريد قال أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه أن أضرب عنقه زاد في رواية أحمد وآخذ ماله * وذكر بعضهم ان في الجاهلية كان اذا أراد الشخص أن يتزوج يقول خطب ويقول أهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول * ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم أي مع استقباحهم له كما تقدم * وذكر بعضهم ان قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين أي ثم حرم ذلك بعد ولما * قال وقد افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجداته أي تحدث بنعمة ربه قصدا به التنبيه على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال أنا ابن العواتك والفواطم * فعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبي أيوب الانصاري فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه * وقال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي في غزوة حنين وفي غزوة احد انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك * وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة * وعن بعض الطالبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم احد انا ابن الفواطم أي ولا ينافيه ما سبق انه قال في ذلك اليوم أنا ابن العواتك لانه يجوز

ان

أن يكون قال كلاماً من الكلام متميز في ذلك اليوم * واختلف الناس في عدد العواتك
من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل الحافظ ابن عساكر
ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة أي
وأولهن ام لؤى بن غالب واللواتي من بني سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف
وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال ام أبي
امه وهب * أي وقيل أراد بالعواتك من بني سليم ثلاثة ابكار ارضعنه كما سيأتي
في قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة * قال وعن سعد ان الفواطم
من جداته عشرة انتهى * أقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم أقف على
من اسمه فاطمة من جداته من جهة أبيه الاعلى اثنتين فاطمة ام عبد الله وفاطمة
ام قصي الا أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه صلى الله
عليه وسلم بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي
هي ام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة امها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة
الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم
هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد * ثم رأيت بعضهم عد فيهن ام عمرو بن عابد
وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وامها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن
عوف ام ام عبد مناف والله أعلم * وعن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت من نكاح غير سفاح أي زنا فقد تقدم
ان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد فكانت العرب تستحل الزنا
الا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض افراد منهم حرمه على نفسه
في الجاهلية * أي وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح
من لدن آدم الى ان ولدني أبي وامي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني
الا نكاح أهل الاسلام * قال وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل
تتنازعني الامم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة
انتهى * أقول والبغايا كن في الجاهلية ينصبن على أبوابهن رايات تكون
علماً لمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا
لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتاط أي تلاق والتحق به ودعي ابنه
لا يمتنع من ذلك والله أعلم * قال وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آباءى من لدن آدم سفاح كلها نكاح * وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كنكاح الاسلام أى يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم يعقد عليها انتهى * وعن الامام السبكى الانكحة التى فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة الاسلام ولم يقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم الا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم * قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة * قال بعضهم وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم أن أجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه من آدم الى أن أخرجه من بين أبويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع فى الجاهلية اذا أراد الرجل أن يتزوج قال خطب وتقول أهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسرى بناء على ان ام اسماعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسماعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك * وعن عائشة رضى الله عنها كما فى البخارى أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم أى بايجاب وقبول شرعيين دون أن يقول الزوج خطب ويقول أهل الزوجة نكح وحينئذ يرد على ذلك النكاح الذى كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع أى ومن أنكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب لأكبر أولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون المراد ليس فى نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلى ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المرأة كانت فى الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها أرسلى الى فلان استبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وليس فيه نكاح الجمع وهو أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل

أن لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل أن يكون ام عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال انه وطئها أربعة وهم العاص وأبولهب وامية بن خلف وأبو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فالحقته بالعاص * وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل أن يكون من القسم الاول ويدل عليه ماقيل انه الحق بالعاص لغلبة شبهه عليه * وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وسيأتي ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة * قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات * أي وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة * وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه انتهى * وقد تقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين * قيل من ساجد الى ساجد وتقدم مافيه * ومن جملته قول أبي حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين أي متمسكين بشرائع أنبيائهم * ثم رأيت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص ان أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سيأتي الكلام فيه * وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال * أحدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة أي لانه سيأتي انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أي لم يعبد الاصنام * والثالث ان الله تعالى أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات وهذا أضعف الاقوال وأوهاها لم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به أحد من أئمة السنة * وانما حكي عن بعض الشيعة قال بعضهم * وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بأنه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز أن يكون المراد بها ماقابل انكحة الجاهلية المتقدمة * وقد أشار الى اسلام آبائه وامهاته صاحب الهمزية بقوله

لم تزل في ضمائر الكون تختا * رلك الامهات والآباء

أي لان الكافر لا يقال انه مختار لله * والسبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار

بني زهرة ما حدث به ولده العباس رضي الله تعالى عنه * قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتاء فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور أي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من الرجل قلت من قريش قال من أيهم قلت من بني هاشم * قال أتأذن لي أن انظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة * قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخرى فقال أنا أشهد أن في احدى يديك وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذلك قلت لا أدري قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة * أي لانها تشائع أي تتابع وتناصر زوجها * قلت أما اليوم فلا أي ليست لي زوجة من بني زهرة ان كان معه غيرها أو مطلقا ان لم يكن معه غيرها * فقال اذا تزوجت فتزوج منهم * أي وهذا الذي ينظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه فيحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال له حزاء بالمهملة وتشديد الزاي آخره همزة منونة * وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني عن شيخه سيدي على الخواص نفعنا الله تعالى ببركتهما انه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه * أي ومن ذلك ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما تزوج امرأة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد اذهبي فانظري اليها فأتتها فنظرت اليها ثم رجعت اليه وقالت هي بديعة الحسن والجمال ما رأيت مثلها لكن رأيت خالا اسود تحت سرتها وذلك يدل على أن رأس زوجها يقطع ويوضع في حجرها فطلقها معاوية رضي الله تعالى عنه ثم تزوجها النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه * وكان واليا على حمص فدعى لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من أهل حمص لما تبعوا مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا رأسه ووضعوها في حجر تلك المرأة ثم بعثوا بتلك الرأس الى مروان وقتل النعمان هذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان أمه لما ولدته * وكان اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ما سيأتي حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بتمرة فمضغها ثم وضعها في فيه فحنكه بها فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يكثر ماله وولده فقال اما ترضين أن يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذي أشار على يزيد بن معاوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من أولاده وأولاد أخيه وأقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه الحالة ففرق لهم يزيد وأكرمهم وردهم وأمره باكرامهم على ما سيأتي

ذكره ان شاء الله تعالى * ومما روى عنه انه قال * سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان فخوخا ومصالي وان مصاليه وفخوخه البطر بنعمة الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله *وقد ذكر ان حمص نزل بها تسعمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا * وفي حياة الحيوان ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قيل لطلسم بها وفي حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة * وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو الذي يحزر الاشياء و يقدرها بظنه ويقال للذي ينظر في النجوم فانه ينظر فيها بظنه فربما اخطأ أي لان من علوم العرب الكهانة والقيافة والزجر والخط أي الرمل والطب ومعرفة الانواء ومهاب الرياح * فلما رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب أخي وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه أي فاز بظفر لان الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر أي فاز وظفر بما لم ينله أبوه من وجود هذا المولود العظيم الذي وجد عند ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره * أي وفي كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم آمنة في مجلس خطبة عبد الله لآمنة وتزوجا وأولما ثم ابتنيا بهما ثم رأيت في أسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد * قيل وفيه تصريح بأن عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من أين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز أن يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه ان هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بني زهرة لجواز أن يكون عبد المطلب تزوج من بني زهرة غير هالة فاولدها عبد الله * ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احدى منخريه الملك وانه يكون في بني زهرة مشكل أيضا لان الملك لم يكن الا في أولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت ام العباس من بني زهرة أيا هالة التي هي ام حمزة أو غيرها وام العباس ليست من بني زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا أن يقال جاز أن يكون الملك والنبوة اللذين عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما أي كلا من الملك والنبوة

المنبة لابن الي ه من أبيه عبـد الله بناء على ان ام عبد الله من بنى زهرة ولعله لا ينافيه
قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل
من الذهب فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن
تكون فاطمة هذه من بنى زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم
أى من بنى زهرة بعد قوله الث شاعة * وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة
من بنى زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهى عمة وهب والد آمنة
امه صلى الله عليه وسلم وكان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شيماء أى
سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية
لا يمسكون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة أى لانه سيأتى ان الجاهلية
كانوا يدفنون البنات وهن أحياء خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف العار
أو خوف الفقر والاملاق * فكان عمرو بن نفيل يحيى المؤودة لاجل الاملاق
يقول للرجل اذا أراد أن يفعل ذلك أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال
لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان صعصعة جد الفرزدق
يفعل مثل ذلك * وأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها
الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيأ
فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى أبيها وأخبره
بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة
فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكن فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة
منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة
أو تلد نذيرا له شأن وبرهان منيرا * أى فاختيار عبد المطلب لآمنة من بنى زهرة
لهذا السبب واضح من سياق قصة هذه الكاهنة وأما اختياره لتزوجه بعض
نساء بنى زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على ان ام عبد الله كانت من بنى زهرة
وأما جعل الشمس الشامى ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله
امرأة من بنى زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف يتأتى ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج
منهم بعد قوله الث شاعة أى زوجة ثم رأيت ابن دحية رحمه الله ذكر فى التنوير
عن البر فى أن سبب تزويج عبد الله آمنة ان عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل
فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له
ائذن لى أن أفتش منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما
فى النافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب

انطلق

انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أوضح لأنه أسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الى آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بني زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرهان رحمه الله أن يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله آمنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

(باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين)

عن الزهري رحمه الله قال قالت آمنة لقد علقت به صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها كانت تقول ما شعرت بفتح أوله وثانيه أي ما علمت بأني حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي بكسر الحاء الهيئة التي تلزمها الحائض من التجنب وأما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض أي والذي ينبغي أن يكون الثاني هو المراد واستعملت المرة في مطلق الدم الذي تراه الحائض وربما يؤيد ان هذا هو المراد أن بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض * قالت وربما ترفعني وتعود أي فلم يكن رفعها دليلا على الحمل أي وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم أقف على مقدار تكرره وقد ذكر أن مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين * قالت آمنة وأتاني آت أي من الملائكة وأنا بين النائمة واليقظانة وفي رواية بين النائم اي الشخص واليقظان فقال هل شعرت بأنك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها أي وفي رواية بسيد الانام أي اعلمي ذلك وأمهلني حتى دنت ولادتي أتاني فقال قولي أي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد أي ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض وفي القرآن محمد أي والقرآن كتابه وسيأتي عن محمد الباقر رضي الله عنه أن تسميه أحمد * قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت أبيات لا أصل لها واذا ثبت انها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان آمنة رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين * أقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الامن قول الملك لانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان حيضها ربما عاد بعد عدم وجوده في زمنه المعتاد لها * أي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور الى وجهها على ما ذكره بعضهم في كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل الى وجه آمنة ولا على خروج النور منها مناما أو يقظة بناء على أنه غير الحمل على ما يأتي لخفاء دلالة ما ذكر على ذلك ولعل أباه

صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها قول المرأة التي عرضت نفسها عليه أذهب فأخبرها انها حملت بخير أهل الارض ولنقل في ابتداء الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سيأتي ويجوز أن يكون بعد أخبار الملك لها لكن في المواهب في رواية عن كعب رضي الله عنه أن مجيء الملك لها كان بعد ان مضى من حملها ستة أشهر فليتأمل فان الستة أشهر لا يقال انها ابتداء الحمل ونص الرواية كانت آمنة تحدث وتقول أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شأنك الا أن يقال يجوز تعدد الملك أو تكرر مجيء الملك لها فليتأمل والله أعلم * وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة أي التي حمل فيها أي في اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم أي بناء على ما هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا أي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي * أقول دلالة الاول على مطلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم حينئذ واضحة وأما دلالة الثاني عليه فقد يتوقف فيها الا أن يقال ان ذلك كان من علامة الحمل به في الكتب القديمة مع ان المدعى في كلام ابن عباس رضي الله عنه انما هو خصوص حمل آمنة به على أن السياق يدل على أن المراد علم أمه بحملها به والله أعلم * وعن كعب الاحبار رضي الله عنه ان في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة أي ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه به في الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسيأتي ان عند ولادته أيضا تنكست الاصنام ولا مانع من التعدد * قال وروى الحاكم وصححه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور وفي لفظ سراج وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام * قال الحافظ العراقي وسيأتي انها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكونه طارقه متصلة ويجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته أي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك أو هذه أي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين انتهى * أقول الرواية الآتية هي رواية شداد بن أوس ولفظها انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج

نورا وهي تفيد أن ذلك النور ونفس حملها فهو بعد تحقيق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد أن النور غيره وانه كان وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل أحدهما على الاخرى الا أن يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل لكن الذي ينبغي أن يكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبيل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة تأنيسا لها على أنه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن امه أنها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة فبصرى أول بقعة من الشام خلص اليها نور النبوة وعلى انه مرتين ناسب قدومه صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه أبي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها كما سيأتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فأثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل مسجد * ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من أرض حوران والله أعلم * ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عائذ بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء * أي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور وكانت أمه صلى الله عليه وسلم تقول ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه * وروى ابن حبان رحمه الله عن حليمة رضي الله عنها عن آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني هذا شأنا اني حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف علي ولا أعظم منه بركة * وقيل بقي عشرة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر * أي ويكون ذلك انه كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو أقل مدة الحمل * أي فقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك في الشهر

الثامن ولذلك تقل حركته فى البطن فى ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه * وفى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله لم أر للثمانية صورة فى نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد فى الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت * أى وقيل بل كان حمله ووضعه فى ساعة واحدة وقيل فى ثلاث ساعات أى وقيل بذلك فى عيسى عليه السلام * أى وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الوفد من كل جانب فى تلك السنة * وفى حديث مقطعون فيه قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم * أى ولم أقف على ما يجرى على ألسنة المداح من أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله فى بطن أمه كما نقل عن عيسى عليه السلام انه كان يكلم أمه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهى تسمع * وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ كبير من بنى عامر هو بدرة قومه أى المقدم فيهم يتوكأ على عصى فمثل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب انى أنبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى من الانبياء الا انك نهيت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء أى معظمهم فى بيتين من بنى اسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فمالك وللنبوة ولكن لكل حق حقيقة فانبئنى بحقيقة قولك وبدء شأنك قال فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا أخا بنى عامر ان لهذا الحديث الذى سألتنى عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا أخا بنى عامر ان حقيقة قولى وبدأ شأنى انى دعوة أبى ابراهيم عليه السلام * أى حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم * أى وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن فى آخر الزمان كذا فى تفسير ابن جرير قال فى ينبوع الحياة أجمعوا على ان الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم * أقول وفيه ان جبريل عليه السلام أعلم ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بأنه يوجد نبى من العرب من ذرية ولده

اسماعيل

اسماعيل فقد جاء ان ابراهيم لما أمر باخراج هاجر أم ولده اسماعيل عليه السلام حمل هو وهي وولدها على البراق فلما أتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبي الامي الذي من ذريته ولدك يعني اسماعيل عليه السلام الذي تتم به الكلمة العليا الا أن يقال الغرض من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان أم اسماعيل قالت لابراهيم ما قاله لجبريل والله أعلم * ثم قال و بشرى أخي عيسى و في رواية أنا آخر من بشر بي عيسى عليه السلام أي آخر نبي بشر بي من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان آخر من بشر بي عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

مامضت فترة من الرسل الا * بشرت بها قومك الانبياء

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذقال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد أي والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم أيضا أربعة اسحاق و يعقوب ويحيي وعيسى قال تعالى في حق سارة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قيل بشرت بأن تبقى الى أن يولد يعقوب لولدها اسحاق وقال في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيي وقال في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح * ثم قال واني كنت بكر أبي وأمي وانها حملتني أمي كأثقل ماتحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ماتجد ثم انها رأت في المنام ان الذي في بطنها اخرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى أضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وستأتي تتمته في الرضاع * أي وقال ابن الجوزي ممن روى عن أمه صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يارسول الله ما كان بدأ أمرك قال دعوة أبي ابراهيم و بشرى عيسى ورؤيا أمي قالت خرج مني نور أضاءت له قصور الشام قال الحافظ أبو نعيم الثقل الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال * أقول قد قدمنا أنه يجوز أن يكون هذا الثقل الواقع في ابتداء الحمل كان بعد أخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ماسبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهري قال قالت آمنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن أن يكون المراد بالمشقة لما تقدم في بعض الروايات لم تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي ذلك شكواها ماتجده من ثقله والله تعالى أعلم

﴿باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم﴾

* عن ابن اسحاق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفى وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به أى كما عليه أكثر العلماء (٥) أى وصححه الحافظ الدمياطى وسيأتى فى بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة * قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان فى المهد حين توفى أبوه ابن شهرين * وذكر السهيلى ان عليه أكثر العلماء فليتأمل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة أشهر * أى وقيل ابن تسعة أشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا الاكثرين (٥) وقيل ابن ثمانية عشر شهرا * وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا أى وما يأتى فى الرضاع من أن المراضع أبته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذى قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران * وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها ليمتار تمرا أو لزيارة أخواله بها أى أخوال أبيه عبد المطلب (٥) بنى عدى بن النجار أى ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى غزة فى عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهى التى تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال انا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار لانه اختتن بقدوم أى وهو آلة النجار * وقيل لانه بخروجه رجل بقدوم فأقام عندهم مريضا شهرا أى وهذا أثبت من الاول (٥) ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى ابن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب كما تقدم * أى ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفى * أى وفى أسد الغابة ان عبد المطلب أرسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن فى دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة أى وهو رجل من بنى عدى ابن النجار * أى فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى أمى وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه يسبحون فى غدير أى فى الجحفة فقال النبى عليه السلام لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى النبى عليه السلام وأبو بكر فسبح النبى عليه السلام الى أبى بكر

رضي الله عنه حتى اعتقه وقال أنا وصاحبي أنا وصاحبي * وفي رواية انا الى صاحبي ثم لم ترد تقول بعد هم * وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم اظاهر لا لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سافر في بحر ولا بالحرمين بحر * قال وقيل قد توفي ودفن أبوه بالابواء محل بين مكة والمدينة انتهى * أقول سيأتي أن الذي بالابواء قبر أمه صلى الله عليه وسلم على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز أن يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر أحد أبوي * وقد ذكر بعضهم في حكمة تربيته صلى الله عليه وسلم يتيما مالا نطيل به * وقد جاء ارحموا اليتامى واكرموا الغرباء فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا * وقد جاء ان الله ينظر كل يوم الى الغريب ألف نظرة والله أعلم * وأورد الخطيب عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أحياله أباه وآمن به * وفي المواهب أحيا الله له أبويه حتى آمنا به * قال السهيلي وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع ويرده القرآن والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا أي معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل أين أبي فقال في النار فلما قفا أي ولى دعاه وقال له ان أبي وأباك في النار وفيه ان هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا أي معارضا له * أقول هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على أن حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان أبي وأباك في النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا أثبت من حماد فان حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها * وأما معمر فلا يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه وأيضا ما رواه معمر ورد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقد أخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه ان أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبي فقال في النار قال فأين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوي رواه بالمعنى بحسب ما فهم فأخطأ وذكر الحافظ السيوطي أن مثل هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة * من ذلك حديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ كذا أجاب امامنا الشافعي رضي الله تعالى

عنه عن حديث نفي قراءة البسملة والذي ينبغي أن يقال يجوز أن يكون هذا أي ما في الصحيح كان قبل أن يسأل الله تعالى أن يحييه له فأحياه وآمن به * كما أشار اليه الاصل أو أنه قال ذلك لمصلحة ايمان ذلك السائل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعدما قفا فظهر له صلى الله عليه وسلم من حاله انه تعرض له فتنة أي يرتد عن الاسلام فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا أبا بيه عمه أبا طالب لا عبد الله لأنه كان يقال لابي طالب قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا وقالوا له اعطنا ابنك ونخذ مكانه قال أعطيكم ابني تقتلونه الى غير ذلك مما يأتي على انه تقدم أن العرب تسمي العم أبا لا يقال على ثبوت هذا الحديث وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت * لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم * لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه الدليل أي لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح * وفي كلام القرطبي قد أحيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان أبويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن احياء أبويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا في بقاء الوقت لم ترد والله أعلم * قال الواقدي المعروف عندنا وعند أهل العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم * ونقل سبط بن الجوزي ان عبد الله لم يتزوج قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة قط غيره * ونقل اجماع علماء النقل على ان آمنة لم تحمل بغير النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم أحمل حملا أخف منه المفيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم انه خرج على وجه المبالغة انتهى * أقول هذه الرواية لم أقف عليها والذي تقدم ما رأيت من حمل هو أخف منه وفي أخرى حملت به فلم أجد حملا قط أخف منه على وجه الرؤية والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك انها حملت بغيره ولا ينافيه قولها أخف على لان المراد فيما علمت والله أعلم * قال والحافظ ابن حجر نسب سبط بن الجوزي في نقل الاجماع الى المجازفة فقال وجازف سبط ابن الجوزي كعادته في نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون آمنة اسقطت من عبد الله سقطا فأشارت بقولها المذكور اليه انتهى * أقول وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على أن والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه ونها وجدت المشقة في حمل ذلك السقط وأن اخبارها بذلك تأخر

عن

عن حملها بذلك السقط وانها رأت في حملها بذلك السقط من الشدة مالم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم * وأما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا يتأتى لمخالفته لما تقدم من أن عبد الله دخل بها حين أملك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولانه يخرج بذلك عن كونه بكر أبيه وأمه *وأما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا فقال فيها الواقدي لا تعرف عند أهل العلم كما بيناذلك في الكوكب المنير على أن امكان حملها بسقط لا يقدح في نقل الاجماع على أنها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان أن مراده حملا تاما * وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد أبواه غيره صلى الله عليه وسلم والله أعلم * قال وترك عبد الله جاريته ام أيمن بركة الحبشية أسلمت قديما هي وولدها أيمن وكان من عبد حبشي يقال له عبيد انتهى * أقول في كلام ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم أعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيدا الحبشي بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن * ولا ينافيه ما في الاصابة كانت ام أيمن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد الحبشي بن زيد وكان قدم مكة وأقام بها *ثم نقل ام أيمن الى يثرب فولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلادري والله أعلم *قال وقد زوجها صلى الله عليه وسلم أي بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة أي وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج بام أيمن فجاءت منه بأسامة فكان يقال له الحب بن الحب وقيل أعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك أي عبد الله خمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه انتهى أي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث * قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتي متن في حياته فعلى تقدير صحته جاز أن يكون صلى الله عليه وسلم ترك أخذ ميراثه تعففا وسيأتي * وقال ابن الجوزي وأصاب ام أيمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت أي الى المدينة على قدميها وليس معها أحد وذلك في حر شديد فسمعت شيأ فوق رأسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما اصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر ما عطشت * أي وفي مزيل الخفاء قال الواقدي كانت ام أيمن عسرت اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم أي بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم

هـذا كلامه فليتأمل فان هـذا يقتضى ان الصيغة الاصلية فى السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة فى السلام اما السلام عليكم أوسلام عليكم وكذا عليه السلام ولم يذكر أئمتنا ثالث الصيغة ❊ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وام أيمن عنده فقالت يا رسول الله اسقنى فقال لها الرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هـذا فقالت ما خدمته أكثر فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وذكر بعض المؤرخين ❊ ان بركة هذه من سبى الحبشة أصحاب الفيل وكانت سوداء أى لونها أسود ولهذا خرج ابنها اسامة فى السواد ❊ أى وكان أبوه زيد أبيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون فى نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك ❊ وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال ألم ترى أن مجززا المدلجى دخل على فرأى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت أقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض ❊ وقد جعل أئمتنا ذلك أصلا لوجوب الاخذ بقول القائف فى الحاق النسب ❊ قال لابى رحمه الله والمعروف أن الحبشية اغاهى بركة اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى ام يوسف كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم أى وهى التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ❊ قيل وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

❊(باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم)❊

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا أى مقطوع السرة ❊ وجاء أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته وأذن فى اذنه وكساه ثوبا أبيض ❊ وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا أى على صورة المختون أى زمكحولا ونظيفا ما به قذر ❊ أقول أى لم يصاحبه قذر بلل فلا ينافى جواز وجود البلل والقذر بعده أى فى زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على أن امه صلى الله عليه وسلم لم ترنفاسا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة فى زمن امكانه وهو قبل مضى خمسة عشر يوما الا الحاصل مع الولد والله أعلم ❊ قال وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى انى ولدت

مختونا

مختونا ولم يرأحد سوأتى أى لئلا يرى أحد سوأتى عند الختان * قال الحاكم تواترت الاخبار بأنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي فقال ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا * وأجيب بأنه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ بن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان أى وقد يدعى أنه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز أن يكون من قال صحيحة أرادت صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة أراد في حد ذاتها * وفي الهدى ان الشيخ جمال الدين بن طلحة صنف في أنه ولد مختونا مصنفا أجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام * ورد عليه في ذلك الشيخ جمال الدين بن العديم * وذكر أنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب * وولد من الانبياء على صورة المختون أيضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا * وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

* وليس هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك * ومن خرافات العامة أن يقولوا لمن يولد كذلك ختنه القمر أى لان العرب تزعم ان المولود في القمر تنفسخ غلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة وبهذا يرد على ما ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا * وقيل ختن صلى الله عليه وسلم أى ختنه الملك الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظئره اى مرضعته حليمة * قال الذهبي أنه خبر منكر * وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم قال العراقي وسنده غير صحيح انتهى * أى لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سيأتي * أقول وقد يجمع بأنه يجوز أن يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم يرأحد سوأتى أى لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمناه أى وفي كلام بعضهم ان عيسى عليه السلام ختن بآلة وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم * والظاهر ان المراد بالآلة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى الله عليه وسلم بناء على ان جده ختنه كانت بالآلة المعروفة التي هي الموسى والالمقلت لان ذلك مما تتوفر

الدواعي على نقله * لا يقال عدم وجود القلفة نقص من أصل الخلقة الانسانية فقد قالوا في حكمة وجود العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانساني * لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السوداء * وكره الحسن أن يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبيها باليهود أي لان ابراهيم عليه السلام لما ختن ولده اسحاق عليه السلام يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسماعيل عليه السلام لثلاث عشرة سنة * قال أبو العباس بن تيمية فصار ختان اسماعيل عليه السلام أي في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب * ويؤيده قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك أي لان الثلاثة عشر هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون أي في أوائل زمن الختان والله أعلم * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها * أقول وفي رواية عن أمه انها قالت لما خرج من بطني فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز أن يراد بأصبعيه السبابتان من اليدين والله أعلم وفي سجوده اشارة الى أن مبدأ أمره على القرب من الحضرة الالهية * قال وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا رأسه الى السماء * وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء انتهى * أقول وفي رواية وقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من أنها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز أن يكون سجوده بعد رفع رأسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة أصابع يده ووقوعه على كفيه لجواز أن يكون قبض أصابعه ماعدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنهما من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لا ينافي الجمع بينهما وبين الكفين * ورأيت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سوأتيه فليتأمل والله أعلم * والى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السماء يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا رأسه وفي ذلك الرفع * الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

* أى وضعته حالة كونه رافعا رأسه الى السماء وفى ذلك الرفع الذى هو أول فعل وقع منه بعد بروزه صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووضعته حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف * قال وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من تراب وأهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لان صدق هذا الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت فى يده والفأل بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفأل ضد الطيرة بكسر الطاء * وقد جاء انى أتفاءل ولا أتطير * وقيل له ما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة * وفى رواية وأحب الفأل الصالح * وفرق بعضهم بين الفأل والتفاؤل بأن الاول يكون فى سماع الآدميين والثانى يكون فى الطير بأسمائها وأصواتها وممرها * وقوله لا عدوى معارض لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه كان فى وفد ثقيف رجل مجزوم فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع ولم يصافحه * وجاء لا تديموا النظر للمجزومين وسيأتى الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء انه أخذ بيد مجزوم فوضعها معه فى القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه * وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حى من الازد أعلم الناس بالزجر أى زجر الطير والتفاؤل بها وبغيرها فقد كان فى الجاهلية اذا أراد الشخص أن يخرج لحاجة جاء الى الطير وأزعجها عن أوكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا واستبشر بريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمى بارحا بالموحدة والراء والحاء المهملة وقعد مريد الحاجة عنها تفاؤلا بعدم قضائها أى وهذا ما فسر به امامنا الشافعى الحديث الآتى أقروا الطير فى مكانها فعن سفيان بن عيينة * قال قلت للشافعى رضى الله تعالى عنه يا أبا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان فى زجر الطير كان الرجل منهم اذا أراد سفرا جاء الى الطير فى مكانها فطيرها الحديث * ويحكى عن وائل بن حجر وكان زاجرا حسن الزجر أنه خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذى ألحقه معاوية بأبيه أبى سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذى قاتل الحسين وكان أميرها المغيرة بن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة أى يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا غراب يرحلك من ها هنا

الى خيبر بقدم رسول معاوية الى زياد من يومه بولاية البصرة * وقد ذكر ان أبا ذؤيب الهزلي الشاعر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بي هاتف وأنا نائم وهو يقول

قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

* قال فقمت من نومي فزعا فرأيت في السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وحثثتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فأخبر في بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج فسألت فقيل لي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلى به أهله وأبو ذؤيب هذا هو القائل

امن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة اذ أرغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

* ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي أبي الحسين الازدي المالكي فجاء غراب فقعد على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف ففي سابع يوم مات هذا القاضي * وقد جاء النهي عن ذلك أي عن الزجر والطيرة في قوله صلى الله عليه وسلم اقروا الطير على مكاناتها أي لا تزجروها * وجاء الطيرة شرك * وجاء من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك أي حيث اعتقد أنها تؤثر * وجاء اذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك * وفي رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته * وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر والهامة هو انه كان أهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يؤخذ بثاره يخرج له طائر يقول عند قبره اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك حتى يؤخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف وأما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهي الحيات والعقارب وما شاكلها * ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في تعويذه للحسن والحسين أعيذكما

بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسماعيل واسحاق * وقوله ولا صفر ذكر الامام النووى ان المراد به حية صفراء تكون فى جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذى عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوى الحديث فتعين اعتماده * وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمى حين وضعتنى سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى وفى رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى * وفى الخصائص الصغرى ورأت أمه عند ولادته نورا خرج منها أضاء له قصور الشام وكذلك أمهات الانبياء عليهم السلام يرين انتهى ولعل المراد يرين مطلق النور لا الذى تضيء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الى آخره ظاهر فى أن المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى ولعل الاقتصار على بصرى فى الروايات لكون النور كان بها أتم ومن ثم قالت حتى رأيت أعناق الابل ببصرى أو رأت مرة وصول النور الى بصرى خاصة ومرة جاوزها تأمل والى هذا النور يشير عمه العباس رضى الله تعالى عنه بقوله فى قصيدته التى امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له فى مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله انى اريد أن امتدحك فقال له رسول الله قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو * ر وسبل الرشاد نخترق

والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

أى رؤيت قصور ملك الروم فى بلاد الروم يبصرها الذى داره بمكة * قال وهذا ظاهر فى انها رأت ذلك النور يقظة وتقدم فى حديث شداد انها رأته مناما وقد تقدم الجمع انتهى أى وتقدم ما فى ذلك الجمع * وذكر أن ام امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه رأت وهى حامل به ان النجم المسمى بالمشترى خرج من فرجها فوقع فى مصر ثم وقع فى كل بلدة منه شظية فتأول ذلك أصحاب تأويل الرؤيا بأنها تلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر الى سائر البلدان * وروى السهيلى عن الواقدى انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع * وروى ان أول ما تكلم به لما ولدته امه حين خروجه من بطنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع من انه صلى الله

عليه وسلم تسكلم بكل ذلك والاولية فى الرواية الثانية اضافية لما لا يخفى * وقد وقع الاختلاف فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم أى هل كان ليلا أو نهارا وعلى الثانى فى أى وقت من ذلك النهار * وفى شهره * وفى عامه * وفى محله * فقيل ولد يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة أى فعن قتادة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم * سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه * وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لى الليلة مع الصبح مولود * وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار أى وسطه وكان ذلك اليوم لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول أى وكان ذلك فى فصل الربيع * وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع

* قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الآن أى فى الامصار خصوصا أهل مكة فى زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم * وقيل لعشر ليال مضت وصحح اه * أى صححه الحافظ الدمياطى أى لان الاول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحاق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح أصلا ولو أسنده ابن اسحاق لم يقبل منه لتجريح أهل العلم له فقد قال كل من ابن المدينى وابن معين ان ابن اسحاق ليس بحجة * ووصفه مالك رضى الله تعالى عنه بالكذب * قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه انه قال هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحاق انما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة * قال بعضهم وابن اسحق من جملة من يروى عنه شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق فقيه ثقة لكنه مدلس * وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه * وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذى لا يصح غيره وعليه اجمع أهل التاريخ وقال القطب القسطلانى هو اختيار أكثر أهل الحديث أى كالحميدى وشيخه ابن حزم * وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر * وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن أبى شيبة وهو حديث معلول * وقيل لاثنتى عشرة بقين منه وقيل لاثنى عشرة * وقيل لثمان ليلة خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه صلى الله عليه وسلم حملت به فى أيام التشريق أو فى يوم عاشوراء وانه مكث فى بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند

قائله

قائله انه أوحي اليه صلى الله عليه وسلم في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها
حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الاقوال * قال وقيل
ولد في صفر * وقيل في ربيع الآخر * وقيل في محرم * وقيل في عاشوراء أي كما
ولد عيسى عليه السلام * وقيل لخمس بقين منه انتهى * أي وذكر الذهبي أن
القول بأنه ولد صلى الله عليه وسلم في عاشوراء من الافك أي الكذب وفيه ان كان
ذلك لانه لا يجامع انها حملت به صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق وانه مكث
في بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل يأتي فيما عدى القول
بأنه ولد في رمضان * ثم رأيت بعضهم حكى انه حمل به في شهر رجب وحينئذ يصح
القول المشهور بولادته في ربيع الاول * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول
وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين
في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول * قال بعضهم وهذا غريب
جدا * وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان بن أبي العاص عن امه رضي الله
تعالى عنهما انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء أنظر اليه
من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي * قال
ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه ولد ليلا لقوله
صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل انه سئل عن صوم يوم الاثنين
فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن وأيضا الصوم لا يكون الا
نهارا * وأفاد البدر الزركشي ان هذا الحديث أي المتقدم عن ام عثمان بن أبي
العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح
للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا أي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا
ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل * والى التردد في وقت ولادته صلى الله عليه
وسلم هل هو في الليل أو النهار أشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذي كان للديـ ... ـن سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضـ ... ـل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحـ ... ـمد أو انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهـ ... ـب من فخار مالم تنله النساء

* أي ليلة المولد الذي وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد أضاف كلا من
الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيئا لآمنة الفضل الذي حصل لها

بسببب ولادته له صلى الله عليه وسلم أي لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي
شرفت بذلك الفضل حواء التي هي ام البشر ومن يشهد لحواء في انها حملت به وانه
أصابها نفاس به يوم اعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وما يتمدح به
من الخصال العلية والشيم المرضية مالم يعطها غيرها من النساء * أي وقد أقسم الله
بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى والضحى والليل * وقيل أراد بالليل
ليلة الاسرى ولا مانع أن يكون الاقسام وقع بهما أي استعمل الليل فيهما * ويدل
لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب
لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة
الى آخر ما يأتي وسيأتي ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة * وولادته صلى
الله عليه وسلم * قيل كانت في عام الفيل قيل في يومه * فعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل * وعن قيس
ابن مخرمة ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل ضدا فنحن لدان
* قال الحافظ بن حجر المحفوظ لفظ العام أي بدل لفظ اليوم وقد يراد باليوم مطلق
الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان معناه متقاربان
في السن بالموحدة وعلى أن المراد باليوم حقيقته يكون بالنون * وفي تاريخ ابن حبان
ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله تعالى الطير الابابيل فيه على اصحاب الفيل
* وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعني عام الفيل انتهى * أي لما تقدم عن ابن حجر
وعليه فيكون قول ابن حبان في اليوم تفسير العام على ان المراد باليوم مطلق الوقت
الصادق بالعام * وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم
السهيلي قال بعضهم وهو المشهور * قال وقيل بخمسة وخمسين يوما * وقيل
بأربعين يوما * وقيل بشهر * وقيل بعشر سنين * وقيل بثلاث وعشرين سنة
وقيل بثلاثين سنة وقيل بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة انتهى * أي وعلى انه
بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله * وعبارة
المواهب حكاه الدمياطي في آخرين وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير
هو المشهور عند الجمهور * وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري رحمه الله لا يشك فيه
أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم * أي
وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف
أيضا * أقول والقول بأنه ولد قبل عام الفيل أو فيه أو بعده بعشر سنين يقتضي
تضعيف ما ذكره الحافظ أبو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم

كان يضيء في غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التي بناها وقال انها القليس كقبيط لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها في اعلى الرأس مكان الكعبة في الحج اليها * وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ العامل في عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز فتضرعت اليه في أن لا يقطع يد ولدها فأبى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فأخذته موعظتها فعفى عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال وألقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك * قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا أن يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه * أي فكان يخور كالثور عند ذبحه * فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب * أي فان صاحب الفيل أمره أن يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا بينه وبينه لم يزد على هدمه وان احلتم بينه وبينه أتى عليكم فقال له عبد المطلب ما عندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه أي وفي لفظ * قال عبد المطلب والله ما نريد حربه ومالنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان منعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وامر ابرهة رسوله أيضا أن يأتي له بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد أمرني أن آتيه بك * فقال عبد المطلب ابعل فجاءه راعي ابله وخيله وأخبره ان الحبشة أخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز * وفي سيرة ابن هشام بل وفي غالب السير الاقتصار على الابل وعلى أنها كانت مائتي بعير * وقيل اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحارث فاستأذن له على ابرهة * أي وقيل له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة

يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال فأذن له فلما دخل ورآه ابرهة أجله وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره وأجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسأله عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال الترجمان بلسان الحبشة قل له كنت أعجبتني اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتني ابلا وخيلا وتركت أن تسأل عن البيت الذي هو عزك * فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب أنا رب الابل والخيل التي سألتها الملك * وأما البيت فله رب ان شاء أن يمنعه منع الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان أخذه وانصرف * وابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه * ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك ياعبد المطلب * وفي كلام بعضهم أن ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه أمر أن عبد المطلب قبل دخوله عليه ان يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان أبيض اللون * أقول رأيت أن ملك الصين كان في مربطه ألف فيل أبيض * وكان مع الفرس في قتال أبي عبيد بن مسعود الثقفي أمير الجيش في خلافة الصديق أفيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين أيديهم فيلا عظيما أبيض وصارت خيول المسلمين كلما صهلت وسمعت حس الجلاجل نفرت فأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة فقتلوها عن آخرها * وتقدم أبو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة وحمل على أبي عبيد فتخبطه برجله ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان أبو عبيد أوصى أن يكون أميرا بعده فقتله ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من أغرب الاتفاقيات والله أعلم * وانما أرى عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ماعدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة * وأما الفيل الاعظم لم يسجد الا للنجاشي * فلما رأت الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم * وقيل أن ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم * ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم أمر بادخال عبد المطلب عليه فلما رآه ألقيت له الهيبة في قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب * ثم رأيت ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري من أن النور استدار في وجه عبد المطلب الى آخره أي وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك ياعبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه

وسلم

وسلم فى ذلك الوقت يلزمها أن يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ثم انتقل من عبد الله الى آمنة بأن النور وان انتقل عن عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى أكرم عبد المطلب فأحدث ذلك النور فى ظهره وفى وجهه وأطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتأمل * وذكر بعضهم أن الفيل مع عظم خلقة صورته ضئيل أى ضعيف ويفرق أى يخاف من السنور الذى هو القط ويفزع منه * وفى المواهب والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه * وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذى هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذى هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضى البيضاوى انها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم فى الهدى ان مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدى الانوار العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه * قال فلما شرع ابرهة فى الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى أول الحرم وفى المواهب اسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتأمل * وعند وصوله الى أول الحرم برك فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب فى مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا * فأمر ابرهة أن يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على أمره * ويقال انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمى قام الى جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام * ثم أرسل أذنه فبرك قال السهيلى رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من أمر الله سبحانه وتعالى ويحتمل أن يكون فعل البرك وهو الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبرك عن ذلك * قال وقد سمعت من يقول ان فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل * وعند ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر امثال الخطاطيف ويقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فأهلكتهم * وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذى قيل انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والا فسيأتى أن حمام الحرم من نسل الحمام الذى عشش على فم الغار على ما سيأتى فيه وفى حياة الحيوان ان الطير الابابيل يعيش ويفرخ بين السماء والارض * ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس

كلهم وقالوا أهل الله لان الله معهم * وفى لفظ لان الله سبحانه وتعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أموال أصحاب الفيل * أى ومن حينئذ مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيأ أصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفى رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها * وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون فى رؤس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو واياهم الى ذلك بعد ان أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لهم ان العبد يمنع رحله * فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم * غدوا محالك

أى فانهم كانوا نصارى * ولاهم أصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفى بما يبقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى أنت فيه * ويقال ان عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بهن وجمع ابن ظفر بينه وبين ما تقدم من انه خرج مع قومه الى رؤس الجبال بأنه يحتمل انه أمر أن تكون الذرية فى رؤس الجبال أى وخرج معهم تأنيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة أى * ويؤيد ذلك قول المواهب ثم ان ابرهة أمر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى آخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قومه ثم ان ابرهة أرسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن * ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجىء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أى غالبهم وذهب غالب من بقى فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء ثم آذن أى اعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا * وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنا عثمان بن عفان ان أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا من أموال ابرهة وأصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنا قريش وأكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه

* أى ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقى بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * وأورد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شىء * و يجاب بأن الحجاج لم يجىء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ليسلم نفسه وهذا أولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله أعلم * وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة فى الدار التى صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج أى وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبى طالب ولم تزل بيد أولاده بعد وفاته الى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار قاله الفاكهى أى فأدخلها فى داره وسماها البيضاء أى لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سيأتى فى فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله تنزل فى الدور فقال هل ترك لنا عقيل من رباع أودور فان هذا السياق يدل على أن عقيلا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده * الا أن يقال المراد باع ماعدا هذه الدار التى هى مولده صلى الله عليه وسلم أى لانه كما سيأتى فى الفتح باع دار أبيه أبى طالب لانه وطالبا أخاه ورثا أبا طالب لانهما كانا كافرين عند موت أبى طالب دون جعفر وعلى رضى الله عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى دار خديجة أى التى يقال لها مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى الآن مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضى الله تعالى عنه أيام خلافته * قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام * أى واشتهر بمولد فاطمة رضى الله تعالى عنها لشرفها والا فهو مولد بقية اخوتها من خديجة * ولعل معاوية رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل * و يدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التى أبقاها فى يد عقيل أى التى هى دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فأخذها عقيل * وفى كلام بعضهم لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ضرب خيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك فى الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بنى هاشم * وفى كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم فى الاسلام والهجرة فانه أسلم عام الحديبية التى هى السنة السادسة وباع دورهم

فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها * وهي أي تلك الدار التي ولد بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا لما حجت * وفي كلام ابن دحية أن الخيزران أم هارون الرشيد لما حجت أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز أن تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسيأتي أن الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا أيضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا * وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم * أقول قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بني هاشم * ثم رأيت التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحمل من أن شعب أبي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم *قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم أي في ردم بني جمح وهم بطن من قريش ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحارث فقد وقع بين بني جمح وبين بني الحارث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحارث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل * وقيل ولد بعسفان انتهى * أقول مما يرد القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض فقهائنا أن من جملة ما يجب على الولي أن يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا أن يقال ذلك بناء على ما هو الاصح عندهم * والردم هو المحل الذي كانت ترى منه الكعبة قبل الآن ويقال له الآن المدعى لانه يؤتى فيه بالدعاء الذي يقال عند رؤية الكعبة ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته لما جاء السيل العظيم الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة بن ربيعة ابن سعيد بن العاص فانه أخذها وألقاها أسفل مكة فوجدت هنالك ميتة ونقل المقام الى أن ألقاه بأسفل مكة أيضا فجيء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر رضي الله عنه بذلك فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فهاله ذلك ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضي الله تعالى عنه أنا يا أمير المؤمنين عندي علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل ذلك فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بحفاظ فقال له اجلس عندي وأرسل فأرسل فجيء بذلك الحفاظ فقيس به ووضع المقام بمحله الآن وأحكم ذلك

واستمر

واستمر الى الآن فعند ذلك بنى هذا المحل الذى يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة تشاهد منه والآن قد مالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا بأس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف * ولعل هذا محل قول من قال أول من نقل المقام الى محله * وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلا ينافى أن الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سيأتى * لكن رأيت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر أى الذى هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخره عنه لئلا يشغل المصلون عنده الطائفين بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فليتأمل * وعن كعب الاحبار انى أجد فى التوراة عبدى أحمد المختار مولده بمكة * أى وهو ظاهر فى أن كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية * قال وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن أمه الشفا أى بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء * وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى أى فهى دايته صلى الله عليه وسلم * ووقع فى كلام ابن دحية أن ام أيمن دايته صلى الله عليه وسلم وقد يقال اطلاق الداية على أم أيمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفاء قابلته وقد قيل فى اسم الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفى اسم الحاضنة البركة والنماء وفى اسم مرضعته أولا التى هى ثويبة الثواب وفى اسم مرضعته المستقلة برضاعه التى هى حليمة السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن * فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله تعالى أو رحمك ربك أى أو يرحمك ربك * ولهذا القول الذى لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة * حمل بعضهم الاستهلال الذى هو فى المشهور صياح المولود أول ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بأنه لم يجئ فى شئ من الاحاديث تصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى * أى فقد قال الحافظ السيوطى لم أقف فى شئ من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانها * أى وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن فى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان هما مجرد رفع الصوت والعطاس * وحمل هنا على العطاس بقرينة

الجواب الذى لايقال الاعند العطاس * وقد أشار الى التشميت صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

أى قالت له الاملاك رحمك الله أو رحمك ربك وقت وضع أمه له وفرحتنا بقولها المذكور الشفا التى هى ام عبد الرحمن بن عوف * أقول قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه * ويدل لما ترجاه ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن امه قال الحمد لله كثيرا * وفى كلام بعض شراح الهمزية ويجوز أن يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلى الله عليه وسلم * وقد جاء العاطس ان حمد الله تعالى فشمتوه وإن لم يحمد فلا تشمتوه * وجاء اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل من سمعه أن يشمته * وفى الصحيح أن رجلا عطس عند النبى صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد الله فلم يشمته * وفى حديث حسن اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث * وتمسك بذلك أى بالامر بالتشميت بصيغة افعل التى الاصل فيها الوجوب وبقوله حق أهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الائمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضى الله تعالى عنه * أى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس على ابليس أشد من تشميت العاطس * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعى وكان من أهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم بقوله يغفر الله لى ولكم * ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت فى نفسى فقال قد شمتك فى نفسى فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابنى لاتحابى غيرى * قال بعضهم والحكمة فى قول العاطس ماذكر انه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك * وقال غيره لان الاذى وهى الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذى فيه قوة التذكر والتفكر أى فهو بحران الرأس كما ان العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغى أن يحمد الله تعالى عليها أى ولان الاطباء كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من أنواع الصرع أعاذنا الله تعالى من أنواع الصرع * وقد

ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطباء أن العطاس للدماغ كالسعال للرئة قال والعطاس أنفع الاشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الرأس فيحصل منه النشاط والخفة * وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا * وفي الجامع الصغير أن الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل * وفي حديث حسن أصدق الحديث ما عطس عنده * وقد جاء أن روح آدم عليه السلام لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فمه ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم عليه السلام فقال الحق يرحمك الله يا آدم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك أي للموت * وقد روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان * وروى ابن أبي شيبة موقوفا بسند ضعيف أيضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس في الصلاة أي فيحكون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها أحب الى الله تعالى من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها أكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة * ومن ثم جاء اذا عطس أحدكم أي هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته * أي ولا ينافي وجود الشفاء ووجود ام عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روى عنها انها قالت لما أخذني ما يأخذ النساء عند الولادة واني لوحيدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي * وفي كلام ابن المحدث ودخل على نساء طوال كأنهن من بنات عبد المطلب ما رأيت اضوء منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد على الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد * فقالت لى اشربي فشربت * ثم قالت الثالثة زدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى ففلن لى * أي تلك النسوة نحن آسيه امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين لجواز وجود الشفاء وأم عثمان عندها بعد ذلك وتأخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفاء لما تقدم من قولها وقع على

بدى * واصل حكمة شهود آسية ومريم ولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم اخت موسى * ففى الجامع الصغير ان الله تعالى زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون واخت موسى * وسيأتى عند موت خديجة انه صلى الله عليه وسلم قال لما اشعرت ان الله تعالى قد أعلمنى انه سيزوجنى وفى رواية أما علمت ان الله تعالى قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله أعلمك بهذا قال نعم قالت بالوفاء والبنين * وقد حمى الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن أحد * فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون أحب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضى منها بالنظر اليها * وأما مريم فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرفقها الى مصر لما أرادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى عليه السلام وأقاموا بها اثنى عشر سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا القاصرة * وأخت موسى عليه السلام لم يذكر انها تزوجت * وهذا يفيد أن بنات عبد مناف أو بنات عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء فى افراط الطول * وقد رأيت ان عليا ابن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور أول خلفاء بنى العباس أبوا بيهما محمد كان مفرطا فى الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب أبيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب أبيه العباس وكان العباس الى منكب أبيه عبد المطلب * لكن ابن الجوزى اقتصر فى ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب ابن سلمة وعلى بن عبد الله بن العباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن أبيه العباس وعن أبيه عبد المطلب * وفى المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا * ورأيت ان عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان أجمل شريف على وجه الارض * وكان يصلى فى كل ليلة ألف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو الذى سماه عليا وكناه أبا الحسن * فقد روى ان عليا رضى الله تعالى عنه افتقد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فى وقت صلاة الظهر * فقال لاصحابه ما بال أبى العباس يعنى عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهناه فقال شكرت

الواهب وبورك لك فى الموهوب * زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ أشده ماسميته * قال أو يجوز لى أن اسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعى له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن * فلما ولى معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته يعنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه كراهة فى ذلك وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه * وقد يخالف ذلك ماذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك ابن مروان قال له غير اسمك أو كنيتك فلا اصبر لى على اسمك وهو على وكنيتك وهى أبا الحسن * قال أما الاسم فلا أغيره * وأما الكنية فأكنى بأبى محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة فى اسم على بن أبى طالب وكنيته * وعلى هذا دخل هو وولداه ولداه محمد وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا الامر يعنى الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه فى ذلك الى الحمق * ويقال ان الوليد بن عبد الملك * أى لما ولى الخلافة وبلغه عنه انه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبد الله بن عباس الكذاب * قال بعضهم فأتيته وقلت له ماهذا الذى يسنده اليك من الكذب قال بلغهم عنى انى أقول ان هذا الامر يعنى الخلافة ستكون فى ولدى والله لتكونن فيهم فكان الامر على ماذكر فقد ولى السفاح الخلافة ثم المنصور * وفى دلائل النبوة للبيهقى ان عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قدم على معاوية رضى الله تعالى عنه فأجازه وأحسن جائزته * ثم قال يا أبا العباس هل تكون لكم دولة قال أعفنى يا أمير المؤمنين قال لتخبرنى قال نعم * قال فمن أنصاركم قال أهل خراسان * أى وهو أبو مسلم الخراسانى يجىء بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بنى أمية ويجعل الدولة لبنى العباس * يقال ان أبا مسلم هذا قتل ستمائة ألف رجل صبرا غير الذى قتله فى الحروب * وهذه الرايات السود غير التى عناها صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى فان تلك الرايات تأتى قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة فى أولاد المنصور وقول على فى ولدى واضح لان ولد الولد ولد * وقد حكى فى مرآة الزمان عن المأمون انه قال حدثنى أبى يعنى هارون الرشيد عن أبيه المهدى عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن على عن أبيه على عن أبيه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم * وذلك

انه مما يؤثر عن المأمون انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم * وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني أخاف أني لا أوجر على العفو أي لانه صار لي طبيعة وسجية * قالت امه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله أعلم * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا * فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة * زاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا اتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فعجبوا من ذلك * وعن امه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب أي يسيل لبنا انتهى * أي وفي العرائس أن فرعون لما أمر بذبح ابناء بني اسرائيل جعلت المرأة أي بعض النساء لما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد أو غار فأخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي أتى السامري لما جعلته امه في غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان أي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من المص قد جعل له فيه رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام ويخفي الكفر * وفي رواية أن عبد المطلب هو الذي دفعه للنسوة ليضعوه تحت الاناء * أقول هذا هو الموافق لما سيأتي عن ابن اسحاق من أن امه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت الى جده أي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا ابا الحارث ولدلك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب * وقال أليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها * وبه يظهر التوقف في قول ابن دريد أكفئت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه * الا أن يقال يجوز أن يكون جده أخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لما وللنسوة ليضعوه تحت جفنة أخرى الى أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم عن امه فوجدت الاناء قد تفلق وهو يمص ابهامه وعن اياس الذي يضرب به المثل في الذكاء قال أذكر الليلة التي وضعت فيها امي على رأسي

جفنة

حفنه وقال لامه ماشي "بمعتسه لماولدت قالت يابني طست سقط من فوق الدار الى
أسفل ففزعت فولدت تلك الساعة قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام
العقل وان ابا سامنهم ولعل هذا هو المراد بما جاء في الحديث يبعث الله على رأس كل
مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها والمراد برأسها آخرها بأن يدرك أوائل
المائة التي تليها بأن تنقضي تلك المائة وهو حي الآن لم أقف على ان ابا ساهذا كان
من المجددين وفي تفسير ابن مخلد الذى قال في حقه ابن حزم ماصنف مثله أصلا ان
ابليس رن أى صوت بحزن وكآبة أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة
حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة
حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى
الله عليه وسلم أشار صاحب الاصل بقوله لمولده قدرن ابليس رنة فسحقا له ماذا
يفيد رنينه وعن عطاء الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها
جنوده من اقطار الارض قائلين ماهذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل بي لم ينزل
قط أعظم منه قالوا وماهو فتلا عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا
ماعندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب قال فلبثوا ماشاء الله ثم صرخ أخرى
فاجتمعوا اليه وقالوا ماهذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل
وجدتم شيأ قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما الذى وجدت قال أزين لهم
البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون أى لان صاحب البدعة يراها بجهله
حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها وقد جاء في الحديث أبا الله أن يقبل
عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أى لا يثيبه على عمله مادام متلبسا بتلك البدعة
وعن الحسن قال بلغني ان ابليس قال سوّلت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي
فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء أى
البدع وقد جاء في الحديث أخاف على أمتي عبدى ثلاثا ضلالة الاهواء الحديث
وأهل الاهواء هم أهل البدع وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأى تساقط النجوم قال أى لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا وهذا
يدل على ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه
وسلم فقالوا له جنوده لوذهبت اليه فخبلته فلما دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط
النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل

مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها في السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا أمر حدث في الارض وأمرهم ان يأتوه بتربة من كل أرض فصار يشمها الى ان أتى بتربة أرض تهامة فلما شمها قال من ها هنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن في أي أرض على ان بعضهم انكر كون ما ذكر كان عند الولادة وقد تقدم ان المذكور في كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روي ان الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تجاوز سماء الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع أي في سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنعوا من التردد الى السماء الا قليلا أي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين وفي أكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون السمع الا دون سماء الدنيا ثم رأيتني نقلت في الكوكب المنير في مولد البشير النذير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها ما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد أحدهم استراق السمع الا رمي بشهاب وسيأتي عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال اني لغلام يفعه أي غلام مرتفع ابن سبع سنين أو ثمان اعقل ما رأيت وسمعت اذا بيهودي بيثرب يصيح ذات غداة على أطمة أي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا اسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتي انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام مثلها وكذا عاش هذا القدر وهو مائة وعشرون سنة أبوه وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم سواهم وكان حسان رضي الله عنه يضرب بلسانه ارنبة انفه وكذا ابنه وأبوه وجده وعن كعب الاحبار رضي الله عنه رأيت في التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أي من بطن أمه وموسى

عليه السلام أخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم كذا اذا تحرك وسار عن
موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى وصار ذلك يتوارثه العلماء
من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى يسكن مكة فلما
كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس
قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما اقوله لكم
ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة أى وهو منكم معاشر قريش على كتفه أى عند
كتفه علامة أى شامة فيها شعرات متواترات أى متتابعات كأنهن عرف فرس
أى وتلك العلامة هى خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك
فى الكتب القديمة من دلائل نبوته أى وعدم ارضاعه لعله لتوعك يصيبه * وفى
كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده
فى فيه * وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من
قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم آله وفى لفظ أهله فقالوا لقد ولد
الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا لليهودى
وأخبروه الخبر أى قالوا له اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معى حتى انظر اليه فخرجوا
حتى ادخلوه على أمه فقالوا أخرجى الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره
فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة
من بنى اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج
خبرها من المشرق الى المغرب * أى وعن الواقدى رحمه الله انه كان بمكة
يهودى يقال له يوسف لما كان اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الامة
الليلة فى بحرتكم أى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى
الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له وقد ولد لابن عبد المطلب أى لعبد الله غلام
فقال هو نبى والتوراة * وكان بمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيص
وقد كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول
يوشك أى يقرب ان يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أى تذل وتخضع
ويملك العجم أى أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أى ادرك بعثته واتبعه اصاب
حاجته أى ما يؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة
مولود الا ويسأل عنه ويقول ما جاء بعد أى الآن فلما كان صبيحة اليوم أى الوقت
الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا

فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب * أى وقيل الجائى له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وأمه حامل به ولعل قائله أخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه أى على ذلك المولود فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت احدثكم عنه وان نجمه أى الذى طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك أى أيضا انه الآن وجع فيشتكى ثلاثا ثم يعافا * اقول أى ولا يرضع فى تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ما سبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة فى قوله كن أباه على ان الجائى للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له أبو النبى صلى الله عليه وسلم ويقال للنبى صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب كما تقدم والله أعلم * ثم قال له فاحفظ لسانك أى لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد حسده أحد ولم يبغ على أحد كما بغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها فى احدى وستين أو ثلاث وستين زاد فى رواية وذلك أجل اعمار امته * وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تكسرت الاصنام أى اصنام الدنيا وتقدم أيضا انها تنكست عند الحمل به وتقدم انه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته أمه خر كل شئ يعبد من دون الله فى مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب بن منبه لما كانت الليلة التى ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم اصبحت الاصنام فى جميع الارض منكسة على رؤسهم وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس فى الارض ثم عاد اليهم فقال رأيت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع ان ادنو اليه وما كان نبى قبله اشد على وعليكم منه وانى لارجو ان أضل به اكثر ممن يهتدى به * اقول قد علمت ان تنكيس الاصنام تكرر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه السلام له فى ذلك وبهذا يعلم ما فى قول الجلال السيوطى فى خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لمولده * وعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك به الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام * ولا يقال قال ابليس فى حق عيسى عليه السلام لا استطيع ان ادنو اليه وتقدم فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل

عليه السلام لانا نقول يجوز ان يكون الدنو فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى محله الذى هو فيه لا الى جسده والدنو المنفى فى حق عيسى عليه السلام دنوا الى جسده فان قيل جاء فى الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها عليهما السلام رواه الشيخان أى لقول أم مريم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفى رواية كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب أى وهى المشيمة التى يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه فى جنبه فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم وأمه مريم ضرب الله لهما حجابا فأصابت الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شىء ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون غيرها قلنا جاء عن مجاهد ان مثل عيسى فى عدم طعن الشيطان فى جسده حين يولد سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الرأى وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وأمه بالذكر كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعيسى وأمه وهذا الكلام يرد بيان القاضى عياض للضرر المنفى فى قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أراد أن يأتى أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما فى ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا بأن المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا أى عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون فى حقه خصوصية ابليس فلا ينافى ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم فى ليلتين بوضع عفريت من الجن يده فى فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف أخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان فى اغوائه وتبعه القاضى على ذلك وسيأتى فى شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك * وفى كلام الشيخ محيى الدين ابن العربى اعلم انه لا بد لجميع بنى آدم من العقوبة والالم شيأ بعد شىء الى دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الالم اذا ناله سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف على نفسه أو غيره وأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكى فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وقال بعد ذلك فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام على يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج

من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه السلام بل وضع ساجدا لله حين خرج فليتأمل هذا مع قولهما ان استهلال المولود وصراخه حين يولد لحسه الم البرد الذى يجده بعد مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله أعلم * وذكر ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم و يتعجب من أمره و يسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أى مرتفع يقول

تردى لمولود اضاءت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد * ولد المصطفى وحق الهناء

أى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور * وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وارتجس أى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان ومعنى أنوشروان مجدد الملك أى وكان بناء محكما بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة أى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان أربع عشرة شرفة بضم الشين المعجمة وسكون الراء أى وليس ذلك لخلل فى بنائه وانما أراد الله تعالى ان يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الدهر * أى وقد ذكر ان الرشيد أمر وزيره يحيى بن خالد البرمكى والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء دل على فخامة شأن بانيه قال بلى يا مجوسى ثم أمر بنقضه فقدر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شىء بناه غيرك * وهذا والذى رأيته فى بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد احب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه و بينها مرحلة فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن رآه علم ان من هذا بناؤه لا يزول أمره وهو مصلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والمؤنة فى نقضها اكثر من الانفاق عليه ولا مانع

من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولده وولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيي بن خالد يا مجوسي لان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان من خراسان وكان أولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا للعلوم كثيرة جاء الى الشام في دولة بني أمية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما زالت دولة بني امية وجاءت دولة بني العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بني العباس * ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه سار الى زيارة ملك الهند فاكرمه وأنس به واحضر له طعاما قال فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا اقدر يا ايها الملك فأمر باحضار قضيب فأخذه الملك وامره على صدري فكأني لم آكل شيأ قط ثم أكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لي كل فقلت والله لا اقدر ايها الملك فأمر بالقضيب على صدري فكأني لم آكل شيأ قط فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت ما اقدر على ذلك فأراد ان يمر بالقضيب على صدري فقلت أيها الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك * ومما يحفظ عن يحيي بن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه أيضا وقد قال له ولده وأظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهب اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا أبت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذه الحالة فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت ليلا غفلنا عنها وما غفل الله عنها * أي فقد قال أبو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام أي ولان الله تعالى يقول انا أظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم وانما يسأل الله حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه وجاء اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السماء السابعة المعني بقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام أي لا تقوى على حمله اذا سقط ونصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالى وان أمهل الظالم لا يهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة أي تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وجاء اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القائل

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل في يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ

سألت الندا هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والده خالد التهنئة بعد ثلاث استحقاق بالمودة * ومما يحفظ عن جعفر والد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسيء لا يظن في الناس الا السوء لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنا * ولكن معروفه أوسع

وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي كتب له صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة أي بحيث صارت يابسة كان لم يكن بها شيء من الماء مع اتساعها أي كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت * مبانيه وانحطت عليه شؤنه
لمولده خرت علاء شرفاته * فلا شرف للفرس يبقى حصينه
لمولده نيران فارس اخمدت * فنورهم اخماده كان حينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة * واعقب ذاك المدحور مشينه
كان لم يكن بالامس ريا لناهل * وورد العين التهام معينه

والى ذلك أيضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتداعى ايوان كسرى * ولولا آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت * فهل كان لنيرانهم بها اطفاء

أي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تهدم ايوان كسرى وأنوشروان الذي كان يجلس به مع ارباب مملكته وكان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك الى الوجود ما تهدم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك أيضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من اجل سكون لهب تلك النيران التي يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم

فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران و يقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره * ورأى الموبذان أي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم ورأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا * أي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة أي وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها أي والابل كناية عن الناس ورأى كسرى ما هاله وافزعه أي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فلما اصبح تصبر أي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى أنه لا يدخر ذلك أي هذا الامر الذي هاله وافزعه عن مرازبته بضم الزاي أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت اليكم قالوا الا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران أي ورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب من صاحب الشام يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم بما رأى وما هاله أي وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا اصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شيء هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني أي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما اريد ان اسألك عنه قال ليسألني الملك عما احب فان كان عندي علم منه والا اخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي يسكن مشارف الشام بالفاء أي أعاليها أي وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى أي اشرف على الضريح أي الموت أي احتضر وعمره اذ ذاك ثلاثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة أي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى عظم رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا

من ماء المرأة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب أى كما سيأتى عنه صلى الله
عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها
اللحم والدم قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سأله اليهود فقالوا له مم يخلق الولد فلما
قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك أى من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وفيه ان عيسى عليه السلام على تسليم انه خلق من نطفة وهى نطفة امه
كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك فى صفة شاب امرد حتى انحدرت
شهوتها الى اقصى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة أصلا وقد صرح بالاول الشيخ
محيى الدين بن العربى رحمه الله حيث قال انكر الطبيعيون وجود ولد من ماء احد
الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء
أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا لشدة اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها
الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب
للذة بها فهو من ماء أمه فقط هذا كلامه * أى وكون سطيح كان وجهه فى صدره
لم يختص سطيح بهذا الوصف فقد رأيت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبى
امة وجوهها فى صدورها فذعرت الناس منهم وعمرو هذا كان فى زمن سليمان بن
داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس بعد قتلها اله * وكان
لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا اريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى
طرقوته وفى لفظ الى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى
حيث يشاء واذا أريد استخبار ه وليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض
أى سقاء اللبن الذى يخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيخبر عما
يسئل عنه وكانت جمجمته اذا لمست اثر اللمس فيها للينها قيل وهو أول كاهن
فى العرب وهذا يدل على انه سابق على شق وقد تقدم فى حفر زمزم ان الكاهنة
التى ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت فى فم سطيح وفم شق
وذكرت ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن أحد أشرف فى الكهانة ولا اعلم
بها ولا أبعد فيها صيتا من سطيح وكان فى غسان وذكر بعضهم ان سطيحا كان فى زمن
نزار بن معد بن عدنان وهو الذى قسم الميراث بين بنى نزار وهم مضر واخوته وهو
يؤيد ما تقدم من انه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح وهؤلاء كانوا رؤس الكهنة
وأهل العلم الغامض منهم بالكهانة أى والا فمنهم أى من أهل العلم الغامض
مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة وسجاح كانت فى بنى تميم وسجاح اخرى كانت فى بنى
سعد والكهانة هى الاخبار عن الغيب والكهانة عن خواص النفس الانسانية

لان لها استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن ✽ أي سيدهم الى آخر ابيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه اقول قد يقال لا منافاة بين اثبات الرأس هنا ونفيه في قوله ولم يكن له رأس لانه يجوز ان يكون المراد بالرأس المثبت الوجه لكن قد تقدم انه لم يكن له عظم سوى رأسه أو الا جمجمته ففي ذلك اثبات الرأس وقد يقال لما كانت رأسه تلك الجمجمة يؤثر فيها اللمس لينها لمخالفتها الرأس غيره ساغ اثبات الرأس له ونفيه عنه والله أعلم وعند رفع رأسه قال عبد المسيح على جمل مشيح أي سريع الى سطيح وقد وافى على الضريح أي القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا وقد دخلت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة أي تلاوة القرآن وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكلما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه أي مات من ساعته والهراوة بكسر الهاء وهي العصا الضخمة أي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي اليها التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبياء وفي الحديث من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عدله أي عدم أخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز ويصلي اليها في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء ✽ وذكر الطبري ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه ✽ وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضي العزم شميري ✽ ولا يغرنك تفريق وتغيير

والناس اولاد علات فمن علموا ✽ ان قد اقل فمحقور ومهجور

وهم بنو الام اما ان رأوا نشبا ✽ فذاك بالغيب محفوظ ومنصور

والخير والشر مقرونان في قرن ✽ فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قاله سطيح قال كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون

الى خلافة عثمان رضي الله عنه أي فقد ذكر ان آخر من هلك منهم كان في أول خلافة عثمان رضي الله عنه (ه) أي وكانت مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وأربعا وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلاثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجيء به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث في آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافؤنك عليها ويحفظونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وأحسن اليهم بعد ذلك ✽ وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم أقف على انه ملك منهم من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحاق رحمه الله ان امه صلى الله عليه وسلم لما ولدته ارسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته بما رأته فأخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة أي وقام يدعو الله أي وأهله يؤمنون ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم مافيه ✽ قال وتكلم صلى الله عليه وسلم في المهد في أوائل ولادته وأول كلام تكلم به أن قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى ✽ اقول وتقدم انه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما أورده السهيلي عن الواقدي وانه روى انه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه في المهد وانه زاد في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا وحينئذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن امه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سيأتي بخلاف تكلمه في المهد على انه سيأتي انه يجوز ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير اوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذى ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التى هي جلال ربي الرفيع والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل وحينئذ تكون الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية قال

وقد

وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لذي الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم اه

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه أي فقد روى عن أبي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافي أي ثلاثة من بني اسرائيل أو ان ذلك كان قبل أن يعلم بما زاد وذكر أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن أربعين يوما أشار بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله لما مر بنو اسرائيل على مريم عليها السلام وهي حاملة له صلى الله عليه وسلم وأنكروا عليها ذلك وأشارت اليهم أن كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم ما قصه الله سبحانه وتعالى ثم رأيتني في الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال أمه يوسف النجار وقد خرج في طلب أمه وقد خرجت لما أخذها ما يأخذ النساء من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها ابشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد أخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتي بني اسرائيل وأدعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا عليه السلام وأخبره بولادة مريم وقول الدها له ماذكر صلى الله عليه وسلم * وفي النطق المفهوم أن عيسى عليه السلام كلم يوسف المذكور وهو في بطن أمه فقد قيل انه أول من علم بحمل مريم عليها السلام وقال لها مستغربا يا مريم هل تنبت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى عليه السلام قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان عادة أي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بمحمد لم تسمع الآذان مثله فقال اللهم أنت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك * ومبرى جريج تكلم كذلك أي في بطن أمه قيل له من أبوك فقال

الراعى عبدبنى فلان و تكلم بعدخروجه من بطن أمه فقدتكلم مرتين مرة فى بطن
أمه ومرة وهو طفل كذا فى النطق المفهوم ولم أقف على وقت كلامه ولا على
ما تكلم به حينئذ * وأما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين وكونه من
تكلم وقت ولادته يكون فى المهد نظر الا ان يكون المراد بالتكلم فى المهد التكلم
فى غير أوان الكلام ولم أقف على سن من تكلم فى المهد حين تكلم غير من
ذكر وغير الطفل الذى لذى الاخدود فانه لما جىء به لتلقى فى نار الاخدود لتكفر
وهو معها رضع فتقاعست قال لها يا أماه اصبرى فانك على الحق قال ابن قتيبة
كان سنه سبعة أشهر * وفى النطق المفهوم ان شاهد يوسف الصديق عليه السلام
كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله
عليه وسلم بكلام الصبيان فى المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر
الدمامينى رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هؤلاء
الا مبارك اليمامة حسبما وقفت عليه * ورأيت فى الاجوبة المسكتة لابن عون
رحمه الله أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ألست لم تزل نبيا قال نعم قالوا
فلم لم تنطق فى المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا أنه نطق
فى المهد لما كان لمريم عذر وأخذت بما يؤخذ به مثلها وأنا ولدت بين أبوين
هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد
الا أن يقال مرادهم لم ينطق فى المهد بمثل الذى نطق به عيسى أو أن ذلك منه صلى الله
عليه وسلم ارخاء للعنان فليتأمل ثم رأيت أن ابراهيم الخليل عليه السلام لما سقط
على الارض استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد الحمد لله الذى هدانا لهذا * قال فى النطق المفهوم ولد بالغار الذى ولد به
نوح وادريس عليهما السلام ويقال لهذا الغار غار النور ويضم لهؤلاء ما ذكره
الشيخ محيى الدين بن عربى رحمه الله قال قالت لبنتى زينب مرة وهى فى سن الرضاعة
قريبا عمرها من سنة ما تقولين فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه
الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة
فى مكة وكنت أذنت لوالدتها فى الحج فجاءت مع الحج الشامى فلما خرجت للاقاتها
رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن ترانى أمها هذا
أبى وضحكت وأرمت نفسها الى * وقد رأيت أى علمت من أجاب أمه بالتشميت وهو
فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها شهد عندى الثقاة
بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو فى بطن أمه ولا يعجبك قوله تعالى

والله

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً لأنه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه واقعاً * وفي النطق المفهوم أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم في بطن أمه فقال أنا المفقود والمغيب عن وجه أبي زماناً طويلاً فأخبرت أمه والده بذلك فقال لها اكتمي أمرك * وفيه أن نوحاً عليه السلام تكلم عقب ولادته فان أمه ولدته في غار خوفاً على نفسها وعليه فلما وضعته وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحداً علي يا أماه فان الذي خلقني يحفظني * وفيه أن أم موسى عليه السلام لما وضعت موسى استوى قاعداً وقال يا أماه لا تخافي أي من فرعون ان الله معنا * ومبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه عجباً جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال الغلام بلسان طلق أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو في مهده أي يحدثه يقال ناغت المرأة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه في حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة الى علامة نبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه فتشير اليه بأصبعك فحيث ما أشرت اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته أي سقطته حين يسجد تحت العرش ولم أقف على سنه صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى من خصائصه

(باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمد)

لا يخفى أن جميع أسمائه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال وكأن لله ألف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الباقر من بقر العلم أتقنه قال أمرت آمنة أي في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه أحمد وعن ابن اسحاق رحمه الله ان تسميه محمداً وقد تقدم قال والثاني هو المشهور في الروايات أي وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله والمسمى له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه أي يوم سابع ولادته جده

بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم آبائه * وفى لفظ وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال اردت ان يحمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الارض انتهى * اقول وهذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التى يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضى الله عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لا ينافى ان تكون أمه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاءه بانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمى أحمد ولم يسم به أحد قبله ولافادته الكثرة فى معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة أى الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور واستعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة فى الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى يوم العقيقة وان العقيقة كانت فى اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى ليلة ولادته أو يومها * وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا معناه اظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب فى الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لابى الحكم بأبى جهل وتسميته لابى عامر الراهب بالفاسق * وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه ادع لى أنسانا يحلب ناقتى فجاءه بانسان فقال له ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه بآخر فقال ما اسمك فقال يعيش فقال احلبها * وروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا فجاءه رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة التى كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح * ومن ثم

كان

كان صلى الله عليه وسلم يكتب لامرائه اذا ابردتم لي بريدا فابردوه أي اذا ارسلتم لي رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر رضي الله عنه لما قال لمن أراد ان يحلب له ناقته أو يحفر له البئر ما تقدم لا ادري أقول أم اسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن آثرت الاسم الحسن * وللجلال السيوطي كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم اقف عليه ورأيت في كلام بعضهم ان حزن بن أبي وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب أراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه ويسميه سهلا فامتنع وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله أعلم * أي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما جاءته النبوة * قال الامام أحمد هذا منكر أي حديث منكر والحديث المنكر من أقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله أصلا لعمل المولد * قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار الشكر على ايجاد الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلي على نفسه لذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه * ويروى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها أي في منامه رأى كأن سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق وأهل المغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا أي مع ما حدثته به امه بما رأته على ما تقدم * وعن أبي نعيم عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا التي فزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير فقالت ما بال سيدهم قد أتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت اني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا ازهر منها ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا * ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه

الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ضئضئه رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه أبي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعدما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي محمد صلى الله عليه وسلم * وفي الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا اشد يدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى أخبرته أمه آمنة انها أمرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا أي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز ان يكون نسي تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤال ما حملك على ان تسميه محمدا وليس من اسماء قومك أي لم استقر امرك على أن تسميه محمدا * وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم يعني محمدا قبله الا ثلاثة طمع آباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك * وكان عنده علم من الكتاب الاول وأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم أي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل على ان اسمه في بعض الكتب القديمة محمد * وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك * وفي الشفاء ان في هذين الاسمين محمد وأحمد من بدائع آياته أي المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما عن ان يسمى بهما أحد قبل زمانه أي قبل شيوع وجوده * اما أحمد الذي أتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم السلام فمنع الله تعالى بحكمته ان يتسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي لا في زمن أصحابه رضي الله عنهم حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك أي فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى انه من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد * وقال الصلاح الصفدي ان أحمد ابلغ من محمد كما ان احمر واصفر ابلغ من محمر ومصفر وأصله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله * وفي الهدى لو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان يسمى الحماد كما سميت بذلك أمته * وأما هذا فهو الذي يحمده أهل السماء والارض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التي تزيد على عد العادين واحصاء المحصين أي أحق الناس وأولاهم بان يحمدوه كمحمد في المعنى فهو مأخوذ من الفعل

الواقع

أو واقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وحينئذ فالفرق بين محمد وأحمد أن محمدا من كثر حمد الناس له وأحمد من يكون حمد الناس له أفضل من حمد غيره وسيأتي عن الشفاء أنه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين فيجوز أن يكون أحمد مأخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز أن يكون مأخوذا من الفعل الواقع من الفاعل * وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له وأطال في بيان ذلك * وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعية أنه ليس في أحمد من التعظيم ما في محمد لانه اشهر أسمائه الشريفة وأفضلها ولذلك لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد * وقد جاء أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن قال بعضهم وعبد الله أحب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح ومن ثم سمى نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن بعبد الله في قوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ما ذكرهنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القرآن في قوله تعالى وعباد الرحمن أحمد ثم محمد أي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن * وذكر بعضهم أن أول من تسمى بأحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد لجعفر بن أبي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل أي ولعل المراد به الخليل ابن أحمد صاحب العروض ثم رأيت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال وأول من تسمى في الاسلام أحمد والد الخليل بن أحمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به أحد في زمن الصحابة تسمية ولد جعفر بن أبي طالب بذلك الا أن يقال لم يصح ذلك عند العراقي أو يقال مراد العراقي أصحابه الذين تخلفوا عنه بعد وفاته فلا يرد جعفر لانه مات في حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة كل يسمى الخليل بن أحمد وزاد بعضهم سادسا وكذلك محمد أيضا لم يتسم به أحد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد أن شاع أن نبيا يبعث اسمه محمد أي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك وحمى الله تعالى هؤلاء أن يدعي أحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شيء من سماتها أي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفي دعوى أن الذي في الكتب القديمة انما هو أحمد يخالف ما سبق وما يأتي عن التوراة والانجيل أي فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي أن في بعضها اسمه محمد وفي بعضها اسمه أحمد وفي بعضها الجمع بين محمد وأحمد * قال بعضهم سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا قال سألت أبي أي عما سألتني عنه قال خرجت رابع أربعة

من تميم نريد الشام فنزلنا عند غدير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه لغة قوم ماهي لغة أهل هذه البلد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من أي المضائر فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا أي سريعا فسارعوا اليه وخذوا احظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله مابقي أحد منا الا وزرع قوله في قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله أي فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ماسبق قال فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء ان يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته * اقول يجوزان يكون هؤلاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافي نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمنا ه ويجوزان يكونوا غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفران سفيان بن مجاشع نزل على حي من بني تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله أبوك فقالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا أي آن حين يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقدا كثرت ياسفيان فأمسك عن سؤالها ومضى الى أهله وكانت امرأته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه ان يكون هو النبي الموصوف والله أعلم * وقد عد بعضهم ممن سمي بمحمد ستة عشر ونظمهم في قوله

ان الذين سموا باسم محمد * من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن البراء مجاشع بن ربيعة * ثم ابن مسلم يحمدي حرماني
ليثي السلمي وابن اسامة * سعدي وابن سواني همداني
وابن الجلاح مع الأسيدي يافتى * ثم الفقيمي هكذا الحمراني

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحارث ومحمد بن عمر بن مغفل بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في أول من سمي بذلك الاسم منهم اقول وفي شرح الكفاية لابن الهائم ويمكن ان يكون من زاد على أولئك الاربعة أو السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة أعلم بني اسرائيل بحضور اجله وكان أول انبيائهم فقالوا له يانبي الله انا نحب ان تعلمنا بما يؤول اليه أمرنا بعد خروجك من بين اظهرنا في امر ديننا فقال

لهم ان اموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط يدعي
الربوبية يذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه
موسى ابن عمران فينجيكم الله به من ايدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرائيل
اذا جاءه ولد يسميه عمران رجاء ان يكون ذلك النبي منه ولا يخفى ان بين عمران أبي
موسى وعمران أبي مريم أم عيسى وهو آخر انبياء بني اسرائيل ألف وثمانمائة سنة
والله أعلم * والذي أدرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد
ابن ربيعة ومحمد بن الحارث ومحمد بن مسلمة * وادعى بعضهم ان محمد بن مسلمة
ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من خمسة عشر سنة أي وقد ذكر ابن
الجوزي ان أول من تسمى في الاسلام محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمي
في القرآن أي كالتوراة محمد وفي الانجيل أحمد * وأما فضل التسمية بهذا الاسم
اعني محمدا فقد جاء في احاديث كثيرة وأخبار شهيرة أي منها انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى باسمك في النار أي باسمك
المشهور وهو محمد أو أحمد * ومنها ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه
أحمد أو محمد * أي وفي رواية فيها اسمي الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين
ومنها قال يوقف عبدان أي اسم أحدهما أحمد والآخر محمد بين يدي الله تعالى
فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة
فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه
أحمد أو محمد * لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكلما
ورد فيه فهو موضوع * قال بعض الحفاظ وأصحها أي اقربها للصحة من ولد له
مولود فسماه محمدا حبالي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة * وعن أبي رافع
عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا
تضربوه ولا تحرموه * وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا
تسبوه ولا تجبهوه ولا تعنفوه وشرفوه وعظموه واكرموه وبروا قسمه وأوسعوا له
في المجالس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد وفي مجلس فيه محمد
وفي رواية تسمونه محمدا ثم تسبونه * وفي رواية طعن فيها أما يستحي أحدكم ان
يقول يا محمد ثم يضربه * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة
أولاد فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل * أي وفي رواية فهو من الجفاء وفي اخرى فقد
جفاني * وذكر بعضهم انه لم يرد في المرفوع من أراد ان يكون حمل زوجته
ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا فانه يكون

ذكرا * وجاء عن عطاء قال ماسمي مولود في بطن أمه محمدا الا كان ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم * أي وروى ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه أي في الامر الذي اجتمعوا له * وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد أو أحمد فشاوروه الاخير لهم أي الاحصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسمه محمد في بيت الاجعل الله في ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بانه مجروح * وروى ماقعد قوم قط على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيهم البركة أي اسمه المشهور وهو أحمد أو محمد كما تقدم * وفي الشفاء ان لله ملائكة سياحين في الارض عبادتهم أي بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد أي حراسة أهل كل دار فيها اسم محمد * وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى * قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا * وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما * وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة بأنها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك ان تسميه أي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها * وعن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا ليس أحد من أهل الجنة الا يدعى باسمه أي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يكنى أبا محمد تعظيما له وتوقيرا النبي صلى الله عليه وسلم أي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل ولده قاله الحافظ الدمياطي * وفي رواية ليس أحد أي من أهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى أبا محمد أي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب فيقوم كل من كان اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمنعون وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة أي في بني اسرائيل ثم مات فأخذوه والقوه في مزبلة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن أخرجه فصل عليه قال يارب ان بني اسرائيل شهدوا انه عصاك مائة سنة فأوحى الله اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء * ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وصفه صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها أي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله

تعالى

تعالى عنه فى اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة * وقد قال العز بن عبد
السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكروا من امثلة كل ما يطول ذكره
ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة
* وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث فى أمرنا أى شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه
لان هذا عام أريد به خاص فقد قال امامنا الشافعى قدس الله سره ما أحدث وخالف
كتابا أو سنة أو اجماعا أو اثرا فهو البدعة الضلالة وما احدث من الخير ولم يخالف
من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم
من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقى الدين السبكى وتابعه على
ذلك مشايخ الاسلام فى عصره * فقد حكى بعضهم ان الامام السبكى اجتمع عنده
جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط احسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكى رحمه الله وجميع من فى المجلس فحصل انس كبير بذلك
المجلس ويكفى مثل ذلك فى الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيثمى والحاصل ان البدعة
الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أى بدعة حسنة ومن
ثم قال الامام أبو شامة شيخ الامام النووى ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل
كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف
واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما من به من ايجاد
رسوله صلى الله عليه وسلم الذى ارسله رحمة للعالمين هذا كلامه * قال السخاوى
لم يفعله أحد من السلف فى القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لازال أهل
الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع
الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل
عميم * قال ابن الجوزى من خواصه انه امان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل
البغية والمرام * وأول من احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية
كتابا فى المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بألف دينار وقد استخرج له
الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطى وردا على الفاكهانى
المالكى فى قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

(باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به)

يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن عن عزيرة قالت أول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة أى بعد ارضاع امه له كما سيأتى قال وثويبة هى جارية عمه أبى لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أى فانها قالت له اما شعرت ان آمنة ولدت ولدا ❊ وفى لفظ غلاما لاخيك عبد الله فقال لها أنت حرة فجوزى بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقى ماء فى جهنم فى تلك الليلة أى ليلة الاثنين فى مثل النقرة التى بين السبابة والابهام انتهى أى ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة فى تلك النقرة ❊ ويذكر ان بعض أهل أبى لهب أى وهو أخوه العباس رضى الله عنه رآه فى النوم فى حالة سيئة ❊ فعن العباس رضى الله تعالى عنه قال مكثت حولا بعد موت أبى لهب لا أراه فى نوم ثم رأيته فى شر حال فقلت له ماذا لقيت فقال له أبو لهب لم أذق بعدكم رخاء ❊ وفى لفظ فقال له بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسرها اى وهى سوء الحال غير انى سقيت فى هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتى ثويبة ذكره الحافظ الدمياطى والذى فى المواهب وقد رؤى أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار الا انه يخفف عنى كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعى هاتين ماء واشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقى لثويبة عند ما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتأمل ❊ وقيل انه انما اعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى فان خديجة رضى الله تعالى عنها كانت تكرمها وطلبت من أبى لهب ان تبتاعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها أبو لهب اقول قد يقال لا منافاة لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها او اباؤه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله أعلم ❊ وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان اياما قلائل قبل ان تقدم حليمة ❊ وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا فى النور وفى السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت قبله أبا سفيان بن عمه صلى الله عليه وسلم الحارث ❊ وفى كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يألفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا أصحابه رضى الله تعالى عنهم فانه كان شاعرا مجيدا وسيأتى اسلامه رضى الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها قبلهما عمه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل

بأربع سنين * أقول هذا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بنى زهرة
هالة وأتى منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بنى زهرة آمنة وذلك فى مجلس واحد
وان آمنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وانه دخل
بها حين املك عليها فكيف يكون حمزة اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين
الا ان يقال ليس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما
فى وقت واحد وعبارة السهيلى هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة
بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله
آمنة فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول
اسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد تصريح
بانهما دخلا بزوجتيهما فى وقت واحد لامكان حمل اتزوج على الخطبة المصرح بها
فيما تقدم عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة فى مجلس خطبة عبد الله
لآمنة والله أعلم * ثم رأيت فى الاستيعاب قال كان أى حمزة اسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وهذا لا يصح عندى لان الحديث الثابت ان
حمزة ارضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان تكون ارضعتهما
فى زمانين هذا لفظه وفيه ما علمت * وفيه أيضا على تسليم انها ارضعتهما فى زمانين
لكن بلبن ابنها مسروح كما سيأتى ويبعد بقاء لبن ابنها مسروح اربع سنين ثم
ارضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب عنه وارضعت ثويبة
رضى الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ابن عبد الاسد أى ابن عمته
الذى كان زوجا لام حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فقد
ارضعت ثويبة حمزة ثم أبا سفيان ابن عمه الحارث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم أبا سلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبرى وارضعته ثويبة جارية أبى
لهب وارضعت معه حمزة ابن عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها
مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت * وقد يجاب بانه يمكن بان تكون لم تحمل
على ولدها مسروح فى المدة المذكورة فاستمر لبنها وأيضا هى ارضعت بين حمزة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه أبا سفيان الحارث كما علمت * وذكر
بعضهم ان أبا سلمة أول من يدعى للحساب اليسير * وقد روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم حديثا واحدا * فعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت أتانى أبو سلمة
يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم قولا سررت به * قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع
عند مصيبته * ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به
قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون أبي سلمة أخاه صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة ما جاء عن أم حبيبة * قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت له هل لك في اختي بنت أبي سفيان أي وهي عزة بعين مهملة ثم زاي أي
وفي رواية هل لك في اختي حمنة بنت أبي سفيان والذي في مسلم انكح اختي عزة
أي وفي البخاري انكح اختي بنت أبي سفيان قال أو تحبين ذلك قالت نعم لست لك
بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية أي لست لك بتاركة عدم
أخذها وأحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك
لا يحل لي قالت فوالله اني انبئت أي وفي لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة أي
وفي لفظ تريدان تنكح درة بنت أبي سلمة أي بضم الدال المهملة وأما ضبطه بفتح
الذال المعجمة * قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعني بدرة بنتها من أبي سلمة قال
ابنة أبي سلمة قلت نعم فقال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها
لابنة أخي من الرضاعة ارضعتني واياه ثويبة * أي وفي رواية لو اني لم أنكح
أم سلمة يعني أم حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان أباها أخي من الرضاعة أي وأختك
على فرض ان لا تكون بنت أخي من الرضاعة لا يحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن
على بناتكن ولا اخواتكن * قيل وفي هذا أي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري
وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة لا تحرم
الا اذا كانت في حجر زوج أمها فان لم تكن في حجره فهي حلال له أي وقيل لها ربيبة
لانها مأخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج أمها يقوم باصلاح احوالها * قال
ولك ان تقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان أم حبيبة هي التي
عرضت أختها ولم تعرض بنتها التي هي درة * وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم
جعل خطاب أم حبيبة خطابا لجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الحكم
لا يختص بواحدة دون اخرى انتهى * اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته
صلى الله عليه وسلم من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغي لكن
ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل * ثم رأيت الامام النووي رحمه
الله ذكر ان هذا من أم حبيبة أي من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم
الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم * قال وكذا لم يعلم من عرض بنت
أم سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس عرض عليه

بنت أم سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن على بناتكن تأمل * وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين المرأة وأختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول خعر بجواز ذلك له ولا يجمع بين المرأة وبنتها خلافا لوجه حكاه الرافعي وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لولم انكح أم سلمة لم تحل لى يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها فى أحد الوجهين وبين المرأة وابنتها فى وجه حكاه الرافعي وتبعه فى الروضة وجزموا بانه غلط والله أعلم * ومما يدل أيضا على ان عمه صلى الله عليه وسلم حمزة أخوه من الرضاعة ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله مالك لا تتوق فى قريش أى بمثناتين فوق مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف أى لا تتشوق اليهم مأخوذ من التوق الذى هو الشوق * وفى رواية بالتاء والنون أى لا تختار ولا تتزوج منهم * قال وعندك شئ قلت نعم ابنة حمزة أى يعنى عمه وهى امامة وهى أحسن فتاة فى قريش قال تلك ابنة أخى من الرضاعة أى وهذا من على رضى الله تعالى عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم أوانه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وفيه انه جاء فى رواية اليس قد علمت انه أخى من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ماحرم من النسب الا أن يراد بقوله قد علمت أى اعلم * قال ولعله لم يقل ارضعتنى واياه ثويبة كما قال ذلك فى أبى سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبا سلمة لان حمزة رضيعه أيضا من امرأة من بنى سعد غير حليمة كان حمزة رضى الله تعالى عنه مسترضعا عندها فى بنى سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهى عند حليمة أى فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المرأة السعدية ولم اقف على اسم تلك المرأة انتهى أى ولو اقتصر على ثويبة لا وهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر فى الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر * اقول وتقدم ذلك ونسب هذا البعض فى ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التى هى أم بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم * وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابراهيم وان خولة التى ارضعته صلى الله عليه وسلم هى السعدية التى كانت ترضع حمزة التى قال فيها الشمس الشامى لم اقف على اسم تلك المرأة والله أعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده * قال الحافظ ابن حجر وفى طبقات

ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به * وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا اسلمت ولم اقف على اسلام ابنها مسروح * اقول ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامة اشفع لاخ لي في الجاهلية * قال الحافظ السيوطي يعني أخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من أين انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سيأتي عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله أعلم أي وقد يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور الذي هو مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها أي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة * اقول وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا أدرك الاسلام وقد ينافي علم وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ما ذكر السهيلي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فأخبر انهما ماتا * وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سؤاله الثاني للتثبت لوصوله محل اقامتهما والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله أعلم قال وجاء ان امه ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة أيام * أقول وعن عيون المعارف للقضاعي سبعة أيام وفي الامتاع انها ارضعته صلى الله عليه وسلم سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلائل هذا كلامه * وقوله ثم ارضعته ثويبة يخالف ما تقدم من ان أول من ارضعه ثويبة الا ان يقال المراد أول من أرضعه غير امه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل أول من ارضعه ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقية الا ان يدعي ذلك في نقل ابن المحدث أيضا أي أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم بعد لبن أمه والله أعلم * قال وارضعه صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة أي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت في فيه فرضع منهن وارضعته صلى الله عليه وسلم أم فروة انتهى أي وهؤلاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهن التي عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك من سليم على ما تقدم وما تقدم من ان أم أيمن ارضعته صلى الله عليه وسلم ذكره في الخصائص الصغرى ردبانها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته

ينظر بلبن أي ولدلها كان فانه لا يعرف لها ولد إلا أيمن واسامة الا ان يقال جاز ان لبنها درله صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في القسوة الابكار وارضعته صلى الله عليه وسلم حليمة بنت أبي ذؤيب وتكنى أم كبشة أي باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها أيضا والدها الذي هو زوج حليمة أي وكانت من هوازن أي من بني سعد ابن بكر بن هوازن وسيأتي الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحارث ابن عبد العزى ويكنى أبا ذؤيب أي كما يكنى أبا كبشة ادرك الاسلام واسلم * فقد روى أبو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن أبي اسحاق بلغني ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحارث كثير ممن ألف في الصحابة انتهى أقول يدل للاول ظاهر ما روى ان الحارث هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له قريش الا تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه أي يعذب في احداهما من عصاه وهي النار ويكرم في الاخرى من اطاعه وهي الجنة فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا أي ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك * وفي لفظ انا ازعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت فلآخذن بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحارث بعد ذلك وحسن اسلامه أي وقد كان يقول حين أسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني حتى يدخلني الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم وفي شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه وفي الاصابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا أي على ثوب فاقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت أمه صلى الله عليه وسلم فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقاة ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ

فتفاعل جاس النبي صلى الله عليه وسلم وضمير بدنه راجع لاخيه أى قام صلى الله
عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب واجلس أخاه على الثوب مكانه وجاس
صلى الله عليه وسلم قبالة أخيه فعل ذلك ليكون أخوه هو وابواه جميعا على الثوب
والله أعلم * قالت وخرجت فى نسوة من بنى سعد أى ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن
الرضعاء فى سنة شهباء أى ذات جدب وقحط لم تبق شيأ على أتان قمراء بفتح القاف
والمد أى شديدة البياض ومعنا شارف أى ناقة مسنة ماتبض بالضاد المعجمة
وبعا روى بالاهملة أى ما ترشح بقطرة لبن * قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع مع صبينا
الذى معنا من بكائه من الجوع مافى ثديى * وفى رواية ثديى ما يغنيه ومافى شارفنا
ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال
المعجمة وضم الباء الموحدة أى ما يكفيه بحيث يرفع رأسه وينقطع عن الرضاعة قالت
حليمة ولكنا نرجوا الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد ادمت بالدال المهملة
وتشديد الميم بالركب أى حبسته بتأخرها عنه لشدة عنائها وتعبها لضعفها وهزالها
حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة فلتمس أى نطلب الرضعاء جمع رضيع وآدم
مأخوذ من الماء الدائم يقال ادام بالركب اذا أبطأ حتى حبسهم وروى بالمعجمة أى جاء
بما يذم عليه وهو هنا الابطاء قال لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولدلهم ولد
يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وأفصح له وقيل لانهم كانوا يرون
انه عار على المرأة ان ترضع ولدها انتهى أى تستقل برضاعه ويدل للاول ماجاء انه
صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه أنا اعربكم أى افصحكم عربية أنا قرشى
واسترضعت فى بنى سعد وجاء ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال له صلى الله
عليه وسلم مارأيت أفصح منك يا رسول الله فقال له ما يمنعنى وأنا من قريش وارضعت
فى بنى سعد * فهذا كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات ومن
ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعنى ولده لانه
لمحبته له أبقاه مع أمه فى المصر ولم يسترضعه فى البادية مع الاعراب فصار لحانا
لاعربية له وأخوه سليمان استرضع فى البادية مع الاعراب فصار عربيا غير لحان
قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه
اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجوا المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم ما عسى
ان تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة معى الا أخذت رضيعا غيرى
فلما اجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبى والله انى لاكره ان ارجع من بين
صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلا آخذنه قال لا عليك

أى

أي لا بأس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته
* أقول وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع
فالتمس له حليمة ابنة أبي ذؤيب * الا ان يقال جاز ان يكون التماسه لمراضع غير
حليمة كان عند قدومهن وأبين ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم يجد رضيعا
* ويدل لذلك قول صاحب شفاء الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب
فقال من أنت فقلت انا امرأة من بني سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب
وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما
وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس
الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى
اشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكأن الله قذف في قلبه فرحا وسرورا
فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم
الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وادخلني بيت آمنة فقالت لي أهلا وسهلا
وادخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف
أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك
فأشفقت أي خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم
ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا انظر فقبلته
بين عينيه وأخذته وما حملني على أخذه أي أكد أخذه الا اني لم أجد غيره
* والا فما ذكرته من اوصافه مقتضى لاخذه أي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره
قبل ذلك وان ابائها كان قبل رؤياها له قالت فلما أخذته ورجعت به الى رحلي فلما
وضعته في حجري أقبل ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روي أي من الثدي
الايمن وعرضت عليه الايسر فأباه قالت حليمة وكان تلك حالته بعده أي بعد ذلك
لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن * وفي السبعيات للهمداني ان احد ثديي حليمة
كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت
وشرب منه أخوه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع
فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا هي لحافل أي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها
ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا
تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا
وركبت أتاني وحملته صلى الله عليه وسلم معي عليها فوالله لقطعت بالركب أي
صيرته خلفها ما يقدر عليها أي على مرافقتها ومصاحبتها شيء من حمرهن حتى ان

صواحبي يقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها أي تخفضك طورا وترفعك أخرى فأقول لهن بلى والله انها هي فيقلن والله ان لها لشأنا أي وقالت حليمة فكنت اسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا أي بعثني الله بعدموتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين بذكره في النطاق المفهوم وذكرت انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أي خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أراضي الله اجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعا البنا أي غزيرات اللبن فحلب ونشرب وفي لفظ فحلب ماشئنا وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجده في ضرع حتى كان الحاضر أي المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب يعنونني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا البنا فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبي الى كل جانب أي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع من ان أمه صلى الله عليه وسلم ارضعته سبعة أشهر * قالت حليمة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها رضي الله تعالى عنها انها قالت انه لم يجرى ذات يوم اذ مرت بي غنيمات في فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها أقول وقد سجدت له صلى الله عليه وسلم الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة * فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أي بستانا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي ان يسجد احد لاحد ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا أمر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان نولها أي حقها ان تفعل * وحرب جمل بكسر الراء أي اشتد غضبه

فصار لا يقدر أحد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يارسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه * فلما رآه الجمل خر ساجدا أي وأخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله وأحسن علفه فقال القوم يارسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث * وفي هذا دلالة على عظيم حق الزوج على زوجته * وجاء مما يدل على ذلك أيضا ما روى ان اسماء بنت يزيد الانصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم أولادهم أفنشاركهم في الاجر يارسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يارسول الله * فقال انصرفي يا اسماء واعلمي بانك من النساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها الموافقته يعدل كلما ذكرت للرجال أي من حضور الجماعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت اسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المرأة لزوجها والله أعلم * قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه * والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد ابتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست * ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجر * عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا * لسعيد فانهم سعداء

أي وظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم امور خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى على العيون فمن ذلك ان المراضع ابت ان تأخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته أتته فتاة من آل سعد قد أبتها الرضعاء لفقرها فسقته

لبنها فسقتها و بنيها الشاء ألبانها * وكانت تلك الشياه لالبن بها بل هزيلات فصارت ذات البان وثمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذاء النبي صلى الله عليه وسلم بالها أى ان تلك الخصلة الصادرة من حليمة وهي سقيها اله لبنها نعمة منها عليه لقد كثر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله اذا احضر انسانا المحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء * اقول لم اقف على رواية فيها ان حليمة ابتها الرضعاء لفقرها وكان الناظم أخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري وما حملني على أخذه الا انى لم اجد غيره ولا دلالة في ذلك واستفتى الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد حادثات أى وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار وهى مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم فى حيز من يرحم لا فى حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع لم تأخذه لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم فى ذلك * فأجاب بما نصه ينبغي لمن يكون فطنا ان يحذف من الخبر أى الحديث ما يوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب كما وقع لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه حيث قال فى بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لمرأة شريفة لقطعتها يعنى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تأدبا معها ان تذكر فى هذا المعرض * وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على ان الخلق عنده صلى الله عليه وسلم فى الشرع سواء * فهذا من كمال ادب الامام رضى الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا ببركاته أى فاذا جاز حذف بعض الحديث الموهم نقصا فى بعض أهل بيته فما بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على أن اباء المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث اقره ولم ينكره والله أعلم * قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة رضى الله تعالى عنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا أى وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن أمه و فى رواية أول كلام تكلم صلى الله عليه وسلم به فى بعض الليالى أى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم * وكان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيأ من الطيب الا قال بسم الله * وعن حليمة رضى الله عنها

لما

لما دخلت به صلى الله عليه وسلم الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته صلى الله عليه وسلم أى واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به اذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى * قالت حليمة فقدمنا مكة على أمه صلى الله عليه وسلم أى بعد ان بلغ سنتين ونحن احرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا أمه وقلت لها لو تركتى بنى عندى حتى يغلظ وفى كلام ابن الاثير قالت لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فانى اخشى عليه وباء مكة أى مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا * وقيل ان أمه صلى الله عليه وسلم آمنة قالت لحليمة ارجعى بابنى فانى اخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شأن أى ولا مخالفة بينهما لجواز ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعى بابنى على الفور فانى اخاف عليه وباء مكة أى كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم بأشهر وعبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه يعنى من الرضاعة فى بهم لنا ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبرى * فلما شب وبلغ سنتين لانه الغى ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم وأخوه فى بهم لنا خلف بيوتنا والبهم أولاد الضأن اذا أتى أخوه يشتد أى يعدو فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى صلى الله عليه وسلم قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما فى بطنه * قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه * وفى لفظ لونه أى متغيرا أى صار لونه كلون النقع الذى هو الغبار وهو صفة الوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع أى من رؤية الملائكة لامن مشقة نشأت عن ذلك الشق لما يأتى فى بعض الروايات فلم اجد لذلك حسا ولا ألما * ومن ثم قال ابن الجوزى فشقه وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التى هى الاولى * وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صلى الله عليه وسلم صغير فى بنى سعد قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض أى وهما جبريل وميكائيل أى وهما المراد بقوله فى رواية فاقبل على طيران ابيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فأقبلا يبتدران فأخذانى فأضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيأ أى طلبا فوجداه فأخذاه فطرحاه ولا ادرى ما هو أى وسيأتى

ان هذا الذى قال صلى الله عليه وسلم فيه وما أدرى ماهو انه علقة سوداء استخرجاها من قلبه بعد شق بطنه فى هذه الرواية على ذكر القلب وشقه وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات * وفى رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا أو بردا وقد يقال ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفى كون مجىء جبريل وميكائيل على صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء فى الحديث هبط جبريل فقال يا محمد ان لكل شىء سيدا فسيد البشر آدم وأنت سيد ولد آدم وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفى بحر الملوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الشهداء هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبائنا أى محل الاقامة وقال لى أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل ان يظهر به ذلك وفى رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده واخرجى من امانتك وفى رواية وقال زوجى أرى ان ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الاحسد من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه * قال الواقدى وكان ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين أى وزاد فى الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم وكان غيره أى غير ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وذكر الآمدى انه رجع الى أمه وهو ابن ست سنين انتهى * أقول سياق ان ماقبله يدل على ان قدوم حليمة به على أمه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كان سنتين واشهر وسيأتى مافيه والله أعلم * وعن ابن عباس ان حليمة كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يوما يا اماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار يعنى أخواته من الرضاعة وهم أخوه عبد الله واختاه انيسة والشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية أولاد الحارث قالت فدتك نفسى انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثينى معهم فكان عليه السلام يخرج مسرورا ويعود مسرورا أى وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ولا قوله فبينما أنا ذات يوم منتبذ

من أهلي في بطن وادمع اتراب لي من الفتيان كالايخفى قالت حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه أي وفي رواية اذ أتى ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبت ويا أمه الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الاميتا قلت وما قضيته قال فبينما نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدري مافعل به أقول ولعل ضمرة هذا هو أخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز ان يكون ضمرة سبقهم والله أعلم قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زبرجد خضراء والزبرجدة بالضم والذال المعجمة الزبرجد وهو معرب فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعوني على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الآتي فأخذوني حتى أتوا شفير الوادي فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي وسيأتي الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدري الى عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم ومايأتي قال وأنا انظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفي هذه الرواية على ذكر القلب وشقه أيضا أقول ولا منافاة في تلك الرواية بين قولها نوجدناه قائما وبين قولها في هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز أن تكون أرادت بقولها قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ما كثا كما لا منافاة بين قولها في تلك الرواية منتقعا وجهه وبين قولها في هذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافي الفزع أو الجواز أن يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التي عليها أمه من التعب والشدة والله أعلم * قال وذكر ابن اسحاق أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم مكة لترده على أمه أي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ أربع سنين أو خمس أو ست على ما تقدم اضلته في اعالي مكة فأتت جده عبد المطلب فقالت اني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعالي مكة اضلني فوالله ما ادري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده عليه وفي مرآة الزمان انه انشد

يارب أردد ابني محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

وسيأتي ان هذا البيت أنشده عبد المطلب حين أبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليرد ابلاله ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل * وسيأتي بعض ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال وأنا عبد المطلب جدك فداك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر واطعم أهل مكة * اقول وقول جده له من أنت يا غلام لعله لما كونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان * وفي السيرة الشامية ان الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب أي ويقال ان عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه فقال له من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب * وفي كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة

يا رب رد ولدي محمدا البيت * فجاء بي أبو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدي ما تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال انخت الناقة واركبته من خلفي فابت ان تقوم فاركبته من امامي فقامت ويحتاج الى جمع على تقدير صحة ما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن حليمة مرضعته وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت امه ما اقدمك به يا ظئر أي يا مرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك كما تحبين فقالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني شأنا افلا اخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور اضاء له قصر بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي ما علمت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة * قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة

من اليهود فقالت الا تحدثوني عن ابني هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لهما أمه أي فانها ذكرت لهما ذلك مرتين عند دفعه لهما وعند أخذه منها انتهى أقول ولا ينافي ذلك قول آمنة لحليمة أولا اخبرك خبره وقول حليمة لهما بل لجواز أن تكون أمه لم تكن متذكرة انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك أو جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عن ما أخبرتها به أولا بناء على اتحاد ما أخبرتها به أولا وثانيا والله أعلم * قالت ولما أخبرت اولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا أبوه وانا أمه فقالوا لو كان يتيما اقتلناه * اقول وهذا يدل على ان ما ذكرته أمه لحليمة من انها حين حملت به خرج منها نورا الى آخر ما تقدم وان يكون لا أب له مذكور في بعض الكتب القديمة انه من علامة النبوة النبي المنتظر والله أعلم * قال وعنها انها نزلت سوق عكاظ أي وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت بهذا السوق شهر شوال فكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمي عكاظ يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فراغت أي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى أي وفي الوفاء لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون أي صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيأ فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انفضاضهم من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينظرن أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات * أي وفي السيرة الهاشمية

أن نصارى من الحبشة رأوه صلى الله عليه وسلم مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه أى رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة فى عينيه وقالوا الها هل يشتكى عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه (ه) ثم قالوا لنا أخذن هذا الغلام ولنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم منهم وأتت به الى أمه وعنه صلى الله عليه وسلم فاسترضعت فى بنى سعد فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بيد أحدهما طست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء أى فطرحها أى وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله وفى رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين * أى ولا مخالفة لجواز أن تكون تلك العلقة انفلقت نصفين و فى رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان أى وهو المعبر عنه فى الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافى ذلك قوله فى الرواية السابقة ولا أدرى ماهو لجواز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا بعد أن علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه أى محل ما يلقيه من الامور التى لا تنبغى لان تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيأ فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هى محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضى ان يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل أجاب السبكى بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء * أى بالفعل فليتأمل وسئل السبكى رحمه الله تعالى فلم خلق الله ذلك القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه الله فيها وأجاب بأنه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم أى ليظهر الخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره أى لانه لو خلق خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه أنه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة واجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل ذلك * وذكر السهيلى رحمه الله ما يفيد ان هذه العلقة هى محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث قال عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من منى الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس أعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام

على

على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز
هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التى لا تنبغى
وان ذلك مخلوق فى كل أحد من الانبياء عيسى عليه السلام وغيره ولم تنزع الا من
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبى بذلك الثلج
أى الذى فى ذلك الطست حتى أنقياه أى وملآه حكمة وايمانا كما فى بعض
الروايات أى وفى رواية ثم قال أحدهما لصاحبه ائتنى بالسكينة فأتى بها فذرها
فى قلبى وهذه السكينة يحتمل ان تكون هى الحكمة والايمان ويحتمل ان
تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا فى الرواية الآتية
وفى الرواية قبل هذه كانت من زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكره فى هذه
الرواية وكذا الرواية الآتية ان الثلج كان فى الطست وفى الرواية قبل هذه كان
فى يد أحدهما ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة
وفى غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكره السهيلى رحمه الله وذكر
فى حكمة كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل
الخاتم بين كتفى كما هو الآن وتتمة الرواية السابقة طى ذكر الخاتم وفى الجواب
الذى أجاب به صلى الله عليه وسلم أخا بنى عامر التى وعدنا بذكرها هنا هو قوله
صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا فى بنى سعد فبينا أنا ذات يوم منتبذا أى
منفردا من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى أى المقارنين بالموحدة أو النون لى
فى السن من الصبيان اذ أتى رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فأخذونى
من بين أصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى أتوا على شفير الوادى ثم اقبلوا على الرهط
فقالوا ما أربكم أى ما حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش
وهو مرتضع فينا يتيم ليس له أب فما يرد عليكم ان يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك
فان كنتم لا بد قاتلوه أى ان كان لا بد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شئتم
فليأتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما رأى الصبيان ان القوم
لا يجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الى الحى يؤذنونهم أى يعلمونهم
ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم الى فاضجعنى الى الارض اضجاعا لطيفا ثم
شق بطنى ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا انظر اليه فلم اجد لذلك مسا
أى ادنى مشقة واستخرج احشاء قلبى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها أى بالغ
فى غسلها ثم اعادها مكانها أى وقد طوى ذكر استخراج الاحشاء وغسلها
فى الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثانى

منهم لصاحبه تنح عنه فتنحا عني ثم ادخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ وإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي أي بعد التئام شقه فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة وقد تقدم وملآه حكمة وايمانا وأن السكينة ذرت فيه ثم اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فأنا الساعة اجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي * اقول نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطي عن معاذ بن عائذ في حديثه صلى الله عليه وسلم لاخي بني عامر واقبل أي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتأمل * وقوله فصدعه يدل بظاهره على أن صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بآلة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى في هذه الرواية ذكر ملء قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم كان لقلبه * وفي الرواية قبلها انه كان بين كتفيه * وفي رواية ابن عائذ وبين ثدييه ويحتاج الى الجمع والظاهر ان متعاطي الختم جبريل ويدل عليه قول صاحب الهمزية رحمه الله * ختمته يمنى الامين * وسيأتي التصريح بذلك لكن في غير هذه القصة والله أعلم * قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني فأمر بيده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفي رواية قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه * أقول وقد يقال معنى خطه الجمه فخاطه أي لحمه أي مر بيده عليه فالتحم فلا يخالف ما سبق ولا ينافيه ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون المراد يرون اثرا كأثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم وهو اثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا طوى ذكره في الروايات السابقة وقوله ختم عليه يقتضي ان الختم كان في صدره وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد بين كتفيه وتقدم ان الختم كان بقلبه وقد يقال في الجمع لا مانع من تعدد الختم في الحال المذكور أي في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب الى القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضي عياض رحمه الله بان الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفي وفيه السكوت عن ختم قلبه

ولا

ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا
عن ختم الصدر واولى من جواب الحافظ ابن حجر رحمه الله أيضا بانه يجوز ان يكون
الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب في ذلك الجانب لما علمت
وفيه ما ان الذى عند الايسر خاتم النبوة أى الذى هو علامة على النبوة الذى ولد صلى
الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح * و في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه
وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء
كلهم كان الختم في يمينهم أى فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال
لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه
وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف على بيان تلك
الشامات التى كانت للانبياء ما هي وكتب الشهاب القسطلانى على هامش
الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول
لقلوب الانبياء غير نبينا لم يختم ولا يخفى عليه من الظهور ما فيه من المحظور فما اشنعها
من عبارة واخطأها من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره في قوله حيث
يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر في النفوس من عصمة الانبياء
من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بالختم المذكور في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع اطماعه
فليتأمل لا يقال كل من جواب القاضى والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون نبينا على
ان خاتم النبوة هو اثر هذا الختم بل هو موافق لما تمسك به القائل بأن خاتم النبوة لم يولد به
وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعن
أبى نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء
الذى انبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على
كتفيه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس أثرا لهذا الخاتم وكلام
السهيلى يقتضى انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذى فيه شق صدره في الرضاعة
فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به أو وضع فيه بعد ما ولد
أو حين نبئ فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله تعالى
علما وأوزعنا شكر ما علم هذا كلامه أى ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر ما يوافقه
حيث قال ومقتضى الاحاديث الذى فيه شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا
حين ولادته وانما كان أول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به
أو حين وضع هذا كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان الخاتم غير خاتم النبوة اولى لان

به تجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من انه ولد به وعلى انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفى صدره وفى قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الوجود بين كتفيه انما هو اثر ما فى صدره وقلبه لانا نقول سطله ما تقدم عن الدلائل لابى نعيم ما تقدم عن بعض الروايات ما قبل الملك وفى يده خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه وأيضا يلزم عليه أن يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا فى قصة البعث وثالثا فى قصة الاسرى ففى قصة البعث فا كفانى كما يكفى الاناء ثم ختم فى ظهره وفى قصة الاسرى ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كون ما فى ظهرى أو بين كتفيه اثرا لذلك الختم الذى وجد فى صدره أو قلبه الا ان يقال ما فى قصة البعث وقصة الاسرى غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه فى قصة الرضاعة وانه تكرر الختم على ذلك الاثر فى البعث وفى قصة الاسرى وفيه انه لا معنى لتكرر الختم فى محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة فى الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا فى محل واحد وأيضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه فى الحال الثلاثة خاتم النبوة ويؤيده انه المتبادر من القول فى قصة الاسرى ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه والافما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع أى خاتم النبوة فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز أن يكون الباء فى كلامهم بمعنى مع أى مع خاتم النبوة فتأمل والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال الاول للذى شق صدرى زنه بعشرين من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنته بأمته لرجحهم كلهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك

* أقول فى بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففى هذه الرواية طى ذكر وزنه بعشرين وفى تلك الرواية طى ذكره وزنه بعشرة والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينما نحن كذلك اذا بالحى قد اقبلوا بحذافيرهم أى بأجمعهم واذا ظئرى أى مرضعى امام الحى تهتف أى تصيح بأعلا صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا على يعنى الملائكة الذين هم أولئك الرهط الثلاثة وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى يا وحيداه

فأكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت من وحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا على وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله أو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني امي وهي ظئري قالت لا أراك الاحيا فجاءت حتى أكبت على ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني في حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعني الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم أى لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم أى طرف من الجنون اوطائف من الجن أى وهي اللامة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هذا ما بي مما تذكران اراني أى أعضاءى سليمة وفؤادي صحيح ليس بي قلبة أى علة يقلب لها الى من ينظر فيها فقال أبي وهو زوج ظئري الا ترون كلامه صحيحا اني لارجو ان لا يكون بابني بأس واتفقوا على ان يذهبوا بك اليه أى الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه اعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب قائما الى وضمني الى صدره ثم نادى باعلى صوته يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله و في رواية ليسفهن احلامكم أى عقولكم وليكذبن أوثانكم وليدعونكم الى رب لم تعرفونه ودين تنكرونه فعمدت ظئري وانتزعتني من حجره وقالت لانت اعته واجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى أهلهم واصبحت مفزعا مما فعلوا يعني الملائكة بي أى من حلى ما بين أترابي والقاءى الى الارض لامن خصوصة الشق لما تقدم واصبح أثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي أى أثر القيام الشق الماشي عن أمر اريد الملك كانه الشراك أقول الشراك أحد سيور النعل الذي هو المداس الذي يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجوب الشق واعلم انه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة واحدة تكون هذه الروايات المراد منها واحدوان بعضها وقع في بعض فيه الاقتصار عما وقعت به الاطالة في بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة

كانوا ثلاثة لا ينافى اخبارهم بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن أو الصدر الى الثلاثة أو الى الاثنين لا ينافى ان متعاطى ذلك واحد منهم كما أخبر به أخوه وجاء التصريح به فى بعض الروايات وان التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة فى بعضها وانه ليس المراد بشق البطن أو شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى فصدعه الحديث وانه يجوز ان يكون الطست كان متعددا واحدا من زمردة خضراء وواحد من ذهب وان الاول كان فارغا معدا لان يلقى ما يغسل به باطنه أى مع احشائه ومنها أى من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثانى كان مملوءا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه أى داخل قلبه وحينئذ يكون فى بعض الروايات اقتصر على القلب وفى بعضها جمع بينه وبين الاحشاء فى ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق فى ذروة الجبل وكونه فى شفير الوادى به وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز ان تكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادى وانه عبر عن الذى أخرجه وألقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى ان هذه العلقة يحتمل انها غير حبة القلب التى أخذت منها المحبة وهى علقة سوداء فى صميمة المسماة بسويد القلب ويحتمل انها هى والله أعلم ولقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله * فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن صدره وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد * أودع ما لم يدع له انباء
صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

أى وأتت حليمة به جده والحال انها فطمته والحال انه لحق بها من أجل فطامه ورده التام الزائد وردها له لاجل انه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذى هو الحب تحترق الاحشاء به وهى ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء

ختموت على ذلك القلب بعين الامين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف
قد أودع من الاسرار الالهية مالم تنشره أخباره لان تلك الاسرار لايعلمها الا الله تعالى
حفظا ذلك الخاتم اسراره التى أودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة
واقعة لتلك الاسرار أقول وقد علمت ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة
مرة عند مجيء الوحى ومرة عند المعراج وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشرة سنين
كما فى مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة أى ولعلها هى المعينة
بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولم تثبت وسيأتى ذلك الخامسة عن الدر
المنثور وسيأتى ما فيها والله أعلم قال وفى المرة التى كان ابن عشر سنين أى واشتهر قال
صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعنى لحلاوة
القفا ثم شقا بطنى وكان أحدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل
جوفى ثم شق قلبى فقال أخرج الغل والحسد منه فأخرج منه العلقة والمتبادر أن
أل فى العلقة للعهد وهى العلقة السوداء التى تقدم أنها حظ الشيطان وأنها مغمزه
فهى محل الغل والحسد وفيه أنه تقدم أيضا أن تلك العلقة أخرجت وألقيت قبل
هذه المرة وتكرر نبذها مستحيل الا أن تحمل العلقة على جزء بقى من أجزائها بناء
على جواز أنها تجزأت أكثر من جزء بن المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات
علقتين سوداوين الا أن يقال المراد بقوله فأخرج منه العلقة أى اخرج ما هو كالعلقة
أى شيأ يشبه العلقة كما سيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات فأدخل شيأ
كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه أى على شق القلب ليلتحم به ثم نقر
ابهامى ثم قال أغدو أسلم * أقول ولم يذكر فى هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية أن
الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم فى قصة الرضاع أن ذلك كان من امرار يد الملك
واستمر أثر التئام الشق يشاهد كالشراك * وفى الدر المنثور عن زوائد مسند الامام
أحمد عن أبى بن كعب عن أبى هريرة قال يارسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة
فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت أبا هريرة انى لفى
صحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا برجل يقول لرجل
أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا الى
يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأخذهما مسا فقال أحدهما
لصاحبه أضجعه فأضجعانى بلا قصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال أحدهما
لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد
فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل

الذي أخرج أي ليدخله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت أغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم ولكن قول الرجل للآخر اهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع وقد يدعي ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنه غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رأيت ما يصرح بذلك وكان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المدة أي كونه ابن عشرين سنة على ان ذلك كان في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق * وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي هي عند ابتداء الوحي جاء في جبريل وميكائيل فأخذني جبريل وألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم اعاده مكانه ثم لامه أي بذلك الذرور او بامراريده أو بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفى الاناء ثم ختم في ظهري يحتمل ان يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل ان المراد بظهره الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه انه لا معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن ان تكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي هي عند المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومافي بعض الآثار ان التابوت أي تابوت بني اسرائيل كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشاء التي غسلت بغسل الصدر او البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه اثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم أتى بطست ممتلىء حكمة وايمانا فافرغه في صدره ومنه قول الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين أي شق قلبه وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج بما هو ابسط مما هنا * وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا أي عنها فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته

أي من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها أي ولذلك تدعى أم النبي أيضا (٥) أي وكانت ترقصه بقولها هذا أخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي * فأنمه اللهم فيما تنمي * فقالت في هذا الحر أي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول احقا يا بنية قالت اي والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني أي وفي كلام بعضهم ورأت يعني حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت * وقد يقال الرؤية في حق حليمة علمية وفي حق أخته بصرية فلا مخالفة أو انها صيرتها بعد الاخبار بها كما يدل على ذلك القول بانه افزعها ذلك من أمره أي وفي كلام بعضهم انها فزعت من ذلك بعد اخبار أخته لها بذلك شيء فقدمت به على أمه * أقول عن الواقدي أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده لامه رأت غمامة تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذا يقتضي انها ردته الى امه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره في القدمة الاولى كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وفي هذه القدمة كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين واشهرا وتكون هذه المرة الثانية محل قول حليمة فوالله انه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين أو ثلاثة * واما في القدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وتركها له صلى الله عليه وسلم عند امه كان سنه اربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما يأتي * وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم فلزم الاشكال فتأمل ذلك تأملا جيدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله اعلم * ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة بعد تزويجه خديجة تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الثنية من الابل * أي وفي رواية اربعين شاة وبعيرا اه ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه * أي فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين احداهما بعد تزوجه خديجة أي وعليه تكون هذه المرة هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم على ردائه أي ثوبه الذي كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين * وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت ابا بكر ففعل ذلك أي بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك (٥) وفي كلام ابن كثير ان حديث مجيء امه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين

غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة أى بعد رجوعه من حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما تزيد المدة على المائة * وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة أى بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل امه التى ارضعته صلى الله عليه وسلم * وفى رواية استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه اه وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها * وفى الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها واشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطى فانه من جملة المنكرين حيث قال أى فى سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها فى الصحابة وليس بشئ * وكان الانسب ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشئ ويوافقه قول الحافظ بن كثير الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتأخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دل على اسلامها واذكر الحافظ الدمياطى وفودها عليه فى حنين وقال الوافدة عليه فى ذلك انما هى اخته من الرضاعة وهى الشيماء * اقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطى لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم أمي أمي لانه كان يقال لاخته الشيماء ام النبي صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة امه التى ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حملها على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى كون الوافدة عليه فى حنين اخته اقتصر فى الهدى والله اعلم * اقول قال الحافظ ابن حجر بعد ان اورد عدة آثار فى مجيء امه من الرضاعة اليه صلى الله عليه وسلم فى حنين وفى تعدد هذه الطرق ما يقتضى ان لها اصلا اصيلا فى اتفاق الطرق على انها امه رد على من زعم ان التى قدمت عليه اخته اه * اقول لا رد فى ذلك لانه علم ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين انها اخته ما سيأتى انها لما اخذت فى حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا اخت صاحبكم فلما قدموا على

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله انا اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضيتنيها في ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتي ✽ وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها امه من الرضاعة حيث ذل ✽ وقد روى ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة التي هي الشيماء فقالت انا اخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه واجلسها عليه فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت فيها اخته لم تكن في حنين وان امه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من امه واخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداءه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه ✽ وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله ابن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع أبيه الذي هو جعفر ابن أبي طالب في خيبر سنة سبع وتبعد حياتها وبقاؤها الى ذلك الزمن وفيه ان حنين بعد خيبر وابعد من ذلك وفودها على أبي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير ✽ والذي يتجه ان الوافدة عليه في حنين اخته لا امه كما يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم ✽ قال قال أبو الفرج ابن الجوزي ثم قدمت أي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت أي فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه أي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها اه ✽ اقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله قدمت عليه بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون قول بن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هي دعوى تحتاج الى دليل ✽ الا ان يقال قول بن الجوزي فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله اعلم ✽ وذكر الذهبي ان التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة

وافلم فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع أى من الهجرة أى مرجعه من خيبر على ما تقدم * اقول ذكر فى النبراس الحافظ مغلطاى له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة * وذكر بعضهم انه لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض * قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن أيضا وهو يرد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة * وأما اسلام امه آمنة فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته صلى الله عليه وسلم تقدم ما فيه والله سبحانه وتعالى اعلم

(باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه)

أى اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت أمه لما بلغ ست سنين * وقيل كان سنه اربع سنين وبه صدر فى المواهب * أى وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى امه كان عمره خمس اوست سنين * قال وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنى عشرة وشهرا وعشرة أيام اه ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة * أى وهو الى المدينة اقرب وسمى بذلك لان السيول تتبوأه أى تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء فى عمرة الحديبية * قال ان الله اذن لمحمد فى زيارة قبر امه فاتاه واصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم * وقيل له فى ذلك فقال ادركتنى رحمتها فبكيت وكان موتها وهى راجعة به من المدينة من زيارة اخواله أى اخوال جده عبد المطلب لان ام عبد المطلب من بنى عدى بن النجار كما تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت فى الطريق ومعها ام ايمن بركة الحبشية التى ورثها من أبيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب أى بعد خمسة أيام من موت أمه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا * وفى كلام بعضهم وبقى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالابواء حتى أتاه الخبر الى مكة وجاءت ام ايمن مولاة أبيه عبد الله فاحتملته وذلك لخامسة من موت أمه فليتأمل وكون موت أمه صلى الله عليه وسلم كان فى حياة عبد المطلب هو المشهور الذى لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت أمه صلى الله عليه وسلم بسنتين * أى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت أمى بعد أمى ويقول أم أيمن أمى بعد أمى * وفى القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن أمه صلى الله عليه وسلم

ولم

ولم اقف على محل ذلك الدار من مكة * قال وقيل توفيت أي دفنت بالحجون بشعب أبي ذؤيب وغلط قائله * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق أي شرع يقول يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم فم ذاك قال ذهبت لقبر أمي فسألت ربي ان يحييها فاحياها فآمنت وردها الله تعالى * وفي هذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر الدين والجوزاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان جعله بن شاهين ومن تبعه ناسخا الاحاديث النهي عن الاستغفار * أي لها منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أي ولعله في عمرة القضاء لانه لم يقدم مكة نهارا مع أصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك اتى رسم قبر أمه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى * قال ابن مسعود فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة الحديث وفي رواية أتى قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي * وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما رؤي باكيا أكثر منه يومئذ * وفي رواية استأذنته في الدعاء لها أي بالاستغفار فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد * قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به أي النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما * ونص مسلم استأذنت ربي ان استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وفي لفظ تذكركم الموت * وهذا الحديث أي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها على تسليم ضعفه أي دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة * اقول ذكر الواحدي في اسباب النزول ان آيتي ما كان للنبي والذين آمنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذي قرابتنا

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لابيه أى فنزولها كان عقب موت أبى طالب لا ينافى جواز ان تكون آية ما كان للنبى تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر لامه لا نا نقول كونه يعود للاستغفار بعد ان نهى عنه فيه ما فيه أو المراد بالفسخ المعارضة يعنى قول ابن شاهر انه ناسخ أحاديث النهى عن الاستغفار * أى معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهى عن الاستغفار لها كان قبل ان تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطى فى سيرته وكذا ابن هشام فى سيرته * وفى الوفاء عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء * وقد يقال على تقدير صحة الحديثين أى انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت أولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يحييها الله له وتؤمن به * قال الحافظ السيوطى ان هذا الحديث أى حديث عائشة * قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله لشخص أمى وأمكما فى النار على تقدير صحته التى ادعاها الحاكم فى المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك فى أبيه صلى الله عليه وسلم وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر فى علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح فى المستدرك لما عرف من تساهله فيه فى التصحيح وقد بين الذهبى ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا أى منع الاستغفار لها انما يأتى على القول بان من بدل أو غير أو عبد الاصنام من أهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبنى على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل * والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل وان اسماعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا أو بدلوا أو عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر * أى من غير أو بدل أو عبد الاصنام مؤولة أو خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام * ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده أى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول دعى الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه

حيث

حيث بلغه انه دعى الى ذلك أو امكنه علم ذلك * وان التكاليف بغير ذلك من الفروع
لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته * وعلى
هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على
الاشراك بالله بعبادته الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة أحد من الرسل
السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد
بعث الرسل لا قبله * وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما * قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم
ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد أخرج الشيخان عن أنس عن النبى صلى الله
عليه وسلم * قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها
قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط أى حسبى بعزتك وكرمك * وأما
بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة
رسول اليهم * فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد
حكى الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهى عن ذلك على
ألسنة الرسل السابقين * ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان
الشرائع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه
* قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم
المراد من الآية استواء الشرائع كلها فى أصل التوحيد * أى ومن ثم قال فى تمام الآية
ولا تتفرقوا فيه * وقال لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره * وقال والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان
والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها مختلفة * وقال
بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم فى الاستعداد والمقابلة والدليل على
الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء
أولاد علات أى أصل دينهم واحد وهو التوحيد * وان اختلفت فروع شرائعهم لان
العلات الضرائر فأولادهم اخوة من الاب وامهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير
فى نفس الحديث فى بعض الروايات الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم
واحد * وبه يعلم ما فى كلام العلامة ابن حجر الهيتمى حيث ذكر ان الحق الواضح الذى
لا غبار عليه ان أهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم بالايمان

بالله عز وجل فالعرب حتى فى زمن انبياء بنى اسرائيل أهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان ✽ قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بانه من أهل النار فان أمكن تأويله فذاك والا الزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه ✽ قال وأما قول الفخر الرازى لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما أرسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ماصح من تعذيب أهل الفترة انها اخبار احاد فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه أى حيث لا يقبل التأويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم أى أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة ✽ فقد أخرج البزار عن ثوبان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان أمرتكم بان تطيعونى فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما ✽ قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ونرجوا ان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها طائعا الا أبا طالب فانه أدرك البعثة ولم يؤمن به أى بعد ان طلب منه الايمان ✽ ومما استدل به الحافظ السيوطى على أن أبويه صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار قال لانهما لو كانا فى النار لكانا أهون عذابا من أبى طالب لانهما أقرب منه وأبسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف أبى طالب ✽ وقد أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه اهون أهل النار عذابا فليسا أبواه صلى الله عليه وسلم من أهلها قال وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة ✽ وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته أى ولا أحد من اشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر أى شديد قوى حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى أى علم ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه و يمسح ظهره و يسره ما يراه يصنع ✽ قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشىء أى بشرف وارجو ان يبلغ من الشرف

مالم يبلغه به عربي قبله ولا بعده * وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا * وفي لفظ ردّوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعدما كف بصره مالابني يبكي قالوا له أراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف أي يتيقن في نفسه شرفا وارجوان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده * أي فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب أي ولعل هذا كان في آخر الامر فلا ينافي ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل ان اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بني مدلج أي وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام * أقول أي فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه في المقام وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتي وهو الذي يزار الآن بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم أي وقد أشار الى ذلك عمه أبو طالب في قصيدته بقوله مقسما

وبالحجر الاسود اذ يلثمونه * اذا كشفوه في الضحى والاصايل

وموطيء ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة * وعن انس رضي الله تعالى عنه رأيت في المقام اثر أصابع ابراهيم وعقبيه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بأيديهم اذهبت ذلك ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم تدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد بن أسامة رضي الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤسهما وبدت أقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك صلى الله عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب اسامة بن زيد كما تقدم وذكر بعضهم أن نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر أيضا * فقد اثر في صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الآن * وذكر الجلال السيوطي انه لم يقف

لذلك أي لتأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر على أصل ولا سند قال ولا رأيت من
خرجه في شيء من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة من ان
مرفقه الشريف لما ألصقه بالحائط غاص في الحجر وأثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بمكة
بزقاق المرفق * ومن العجب ان الجلال السيوطي مع قوله المذكور قال في الخصائص
الصغرى ولا وطىء على صخر الا واثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد
انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطىء على صخر الا واثر فيه قديتوقف فيه
ثم رأيت الامام السبكي ذكر تأثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته

وأثر في الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل أو ببطحاء رطبة

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه
وسلم الى الغار أي وليس كان هذا شأنه في كل رمل مشى عليه وكان صلى الله عليه
وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم
أراد به اخفاء أثر سيره ليتحير المشركون في طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتضى لتأثير
قدمه الشريف في الرمل لا لعدم تأثيره في ذلك ويؤيد ذلك انه سيأتي انهم قصوا أثره
الى ان انقطع الاثر عند الغار أي وقال لهم القاص القائف هذا أثر قدم ابن أبي قحافة
وأما القدم الآخر فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم
فقالت قريش ما وراء هذا شيء أي محل كما سيأتي وفيه ان هذا أي تميز قدمه الشريف
من قدم سيدنا أبي بكر رد بما ينافيه قوله لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل
لا ينم * وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون قدم أبي بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى
الله عليه وسلم ولا يضر في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز أن يكون
المراد لا يظهر فيه قدمي ظهورا بينا فصح قول القايف هذا أثر قدم بن أبي قحافة وأما
القدم الآخر الى آخره ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم
في الحجارة بل أبدى لذلك حكما لا بأس بها فلتراجع وقوله في الاحجار يدل على انه تكرر
تأثير قدمه الشريف في الاحجار ولكن لم يكن ذلك شأنه في كل حجر مشى عليه كما دلت
عليه عبارة الجلال السيوطي والله أعلم قال وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده
اسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم اشتق من السقف بالتحريك
وهو طول الانحناء لانه يتخاشع أي يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول له
انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسماعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا وأتى
برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه
وقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابني قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابني وقدمات

ابوه

أبوه وأمه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه انتهى وعن أم أيمن كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة قلت لبيك قال اتدرين أين وجدت ابني قلت لا أدري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب أي ومنهم سيف بن ذي يزن كما سيأتي يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا يأكل يعني عبد المطلب طعاما الا يقول على بابني أي احضروه قال وكان عبد المطلب اذا أتي بطعام اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه انتهى وعن بعضهم أي وهو حيدة بن معاوية العامري كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم مات وهم ألف رجل وامرأة قال حججت في الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية اذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول رد الى راكبي محمدا وفي رواية يارب رد راكبي محمدا أردده ربي واصطنع عندي يدا فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في طلب ابل له ضلت وما بعثه في شيء الا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة فاذا ضل منها شيء بعث بنيه فيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة الا انجح فيها وقد بعثه في حاجة اعيى عنها بنوه وقد أبطأ عليه انتهى فما برحت أي ما زلت عن مكاني حتى جاء بالابل معه فقال له يا بني حزنت عليك حزنا لا يفارقني بعد أبدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا يحتاج الى اعادته هنا وعن رقيقة بنت أبي صيفي أي ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات أقول وقال أبو نعيم لا أراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله أعلم قالت تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين أي أشرفن * على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا أبان أي وقت خروجه وبه يأتيكم الحياء أي بالقصر المطر العام * والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم * نسبا طوالا عظاما أي طويلا عظيما * أبيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أي لا نتوء بهما رقيق العرنين أي الانف * وقيل أوله فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم أرقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا

نوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنوا امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أي الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فاشفت على الانفس أي اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحياء والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفي رواية اخرى عن رقيقة قالت تتابعت على قريش سنون جدبة اقحلت أي ايبست الجلد وادقت العظام فبينا أنا نائمة أو مهومة أي بين اليقظانة والنائمة اذ هاتف وهو الذي يسمع صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل أي فيه بحوحة وهي خشونة الصوت وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد اظلتكم أيامه أي قربت منكم وهذا أبان مخرجه فحيهلا بالحياء والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما أبيض بضا أي شديد البياض أوطف الاهداب أي كثير شعر العينين أسيل الخدين اشم العرنين أي مرتفع الانف له فخر يكظم عليه أي يسكت عليه ولا يظهره وسن يهتدي اليها أي يرشد اليها فليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف أي يتقدم اليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء أي يفرغوه على أجسادهم أي يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم يلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ما شئتم أي جاءكم الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي ووله أي ذهب عقلي واقتصصت رؤياي أي ذكرتها على وجهها فنمت أي فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقي ابطحي الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وتتامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فشنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهلة وهي التؤدة والتأني ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع أي ارتفع أو كرب أي قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك أي افنيته يشكون اليك سنتهم التي اقحلت أي ايبست الظلف والخف أي الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا سريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي أي ضاق بثجيجه أي بسيله فسمعت شيخان من قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء انتهى أي والظاهر ان القصة واحدة فليتأمل الجمع

وقد يدعى ان الاختلاف من الرواة فمنهم من عبر بالمعنى وفى سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحياء واجلوذ المطر

أى امتد زمن تأخره فجاد بالماء جونى له سبل دان * أى مطرها طل كثير

أجل ذا الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر * منا من الله بالميمون طائره

أى المبارك حظه * وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الاسم يستسقى الغمام به * مافى الانام له عدل ولا خطر

أى لامعادل ولا مماثل له ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسأل الله تعالى فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك واجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد العاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم افتح لهم سحابا خواره وسماء خراره لتضحك ارضهم ويزول ضررهم فما أستتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوى وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعاشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر بعضهم انهم كانوا فى الجاهلية يستسقون اذا أجدبوا فاذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهى سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيأ من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور صعب وأضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون وفى حياة الحيوان كانت العرب اذا أرادت الاستسقاء جعلت النيران فى اذناب البقر واطلقوها فتمطر السماء فان الله يرحمها بسبب ذلك قال وذكر ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم اخرج اليك لخر على ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه واعطاه مايعالجه به هذا ورأيت عن كتاب سماه مؤلفه كريم الندماء ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث أياما يشكو فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فأخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هو ارمد قال نعم قال ان دواءه معه يا عبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرئ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وبالله هذا هو الذى اقسم على الله به فابرأ المرضى واشفى الاعين من الرمد فليتأمل فان تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد

(باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له صلى الله عليه وسلم)

ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أى بناء على الراجح من الاقوال المتكاثرة ويرجحه ما يأتي توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل وأربعون أى ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكره لابن الجوزى لعبد المطلب فى المعمرين * قال وقيل اثنان وثمانون أى وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى * قال وقيل مائة واربعة واربعون انتهى * وقد قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أتذكر موت عبد المطلب قال نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين * وعن ام ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصي وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وابهة الاشراف ولما حضرته الوفاة أوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق أبيه أبى طالب أى وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كأبيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قال الحافظ ابن كثير وقد اخطؤا فى ذلك خطأ كبيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأت

عمران

عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا وحين أوصى به جده لابى طالب احبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام أى وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب فسيأتى انه كان مشاركاله فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب أى بعد موت الزبير وغلط قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا فى أسد الغابة متقدما الاقتراع على ما قبله وفى كون عمره صلى الله عليه وسلم فى حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظرا لما سيأتى ان عمره اذذاك كان أربعة عشر سنة وفى كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ففى خبر سيف بن ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه أى وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهى أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وام حكيم البيضاء أى وهى جدة عثمان بن عفان لامه وأميمة واروى فقال لهن ابكين على حتى اسمع ما تقلن فى قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهن شعرا فى وصفه مذكور فى تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه أن هكذا فابكينى ويقال انه انما أشار بذلك لما سمع قول أميمة وقد امسك لسانه وكان من قولها

أعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وأرى الزفا * دجميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرما * ت وذوى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبا * ت كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه أى ابن اسحق لما رآه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك أحد بعد موته ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة وروى أبو نعيم والبيهقى ان سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين

أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنيه أى بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم
أى لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة
ثم ان سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة
ابائه وجاءت العرب تهنيه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم
عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب وجهائهم أى كعبد الله بن جدعان بضم
الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمى وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى
عنها وكأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصى بن عبد الدار فاخبر
بمكانهم أى وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه
وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد
المطلب وفى الوفاء وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على
كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب
فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك
فقد أذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا أى مرتفعا
باذخا أى عاليا منيعا وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته أى والارومة
والجرثومة هما الاصل وثبت أصله وبسق أى طال فرعه فى أطيب موضع واكرم
معدن وأنت أبيت اللعن أى أبيت ان تأتى من الامور ما تلعن عليه ملك العرب
الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى تلجأ اليه العباد سلفك
خير سلف وأنت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمد ذكر
من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا أى احضرنا اليك الذى
أبهجنا من كشف الكرب الذى فرحنا أى انقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الرزيه
أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم
قال ابن اختنا بالتاء المثناة فوق لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم
قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا
وملكا ربحلا أى كثير العطاء يعطى عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف
قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء
أى العطاء اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى عليهم الانزال
فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة
فارسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال له يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى
أمرا لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه أى عليه فليكن

عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون
الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه أى كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما
فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد
المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة
غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة أى السيادة الى يوم القيامة
فقال له عبد المطلب أيها الملك أبت أى رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة
الملك واجلاله واعظامه لسألته من ساره أى من سارته اياى بما ازداد به سرورا
فقال له الملك هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وامه ويكفله جده
وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم أولياءه ويذل
بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض
يعبد الرحمن ويدحض أى يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله
فصل وحكمه عدل ويأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له
عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح فقد
وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب أى الطرق
انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك
ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشىء مما ذكرت لك قال نعم أيها
الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رقيقا وانى زوجته كريمة من
كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا
مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب * وهذا يدل على ان وفود
عبد المطلب على سيف بن ذى يزن كان بعد موت أمه صلى الله عليه وسلم وحينئذ
لا ينافى ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنه حين
ولى سيف بن ذى يزن على الحبشة وتأخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت أمه
صلى الله عليه وسلم * ويدل على ان أبا طالب كان مشاركا لعبد المطلب فى كفالته
صلى الله عليه وسلم فى حياة عبد المطلب ثم اختص هو بذلك بعد موته أى وعبارة
سيف بن ذى يزن صادقة بالحالين فقال له ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ
على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى
فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره * قال واطو
ماذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تداخلهم النفاسة
من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون

ذلك أو ابناؤهم من غير شك ولولا أعلم ان الموت مجتاحى أى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار ملكه فانى اجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه واستحكام أمره واهل نصرته وموضع قبره ولولا انى اقيد الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك * ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك * وقال اذا جاء الحول فأتنى بخبره وما يكون من أمره * فمات الملك قبل ان يحول الحول * وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين انتهى * وهذا القصر الذى كان فيه الملك سيف بن ذى يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه الزهرة * وكان سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يقول لا افلحت العرب ما دام فيها غمدانها فلما ولى عثمان رضى الله تعالى عنه الخلافة هدمه * وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا اراد ان يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تتناول العيال القعب أى القدح الذى من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أى جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك * اقول وفى الامتاع وكان أى أبو طالب يقرب الى الصبيان بصحفهم أول البكرة فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم * فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة هذا كلامه ولا ينافى ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا بما يحضر فى البكرة الذى يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا * قالت أم ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا فى صغره ولا فى كبره * وكان صلى الله عليه وسلم يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء

فيقول أنا شبعان أى فى بعض الاوقات فلا ينافى ماسبق * وكان يوضع لابى طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخى ليحس بنعيم أى بشرف عظيم (ه) قال واستسقى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة وقريش فى قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعتمدوا منات الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون أى كيف تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل عليهما السلام أى فكيف تعدلون عنه الى مالا يجدى قالوا كأنك عنيت أبا طالب قال ايها فقاموا باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا أى قاموا اليه فقالوا يا أبا طالب اقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنه بدال مهملة فجيم مضمومتين أى ظلمة وفى رواية كأنه شمس دجن أى ظلام تجلت عنه سحابة قتماء أى من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلام فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ أى طاف باصبعه الغلام زاد فى بعض الروايات وبصبصة الاغيلمة حوله أى فتحت اعينها ومافى السماء قزعة أى قطعة من سحاب فاقبل السحاب من ههنا ومن هاهنا واغدودق أى كثر مطره وانفجر له الوادى واخصب النادى والبادى * وفى ذلك يقول أبو طالب من قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من ثمانين بيتا

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

أى ملجأ وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النساء والرجال وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا * اقول وأخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام أبى طالب أى لانه صنفها بعد البعثة وسيأتى الكلام فى اسلامه * وأما مانقله الدميرى فى شرح المنهاج عن الطبرانى وابن سعد ان هذه القصيدة التى منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه ائمة السير ان المنشئ لها هو أبو طالب واحتمال توارد كل من أبى طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما يأتى عن النبى صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابى طالب والله أعلم * قال وعن أبى طالب قال كنت بذى المجاز أى وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأدركنى العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن أخى قد عطشت وماقلت له ذلك وأنا أرى عنده شيأ الا الجزع أى لم يحملنى على ذلك الا الجزع

وبعدم الصبر * قال فثنى وركه أى نزل عن دابته * ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال أرويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر أى وقد أتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق أبيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك الارض بكلكله أى صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله عز وجل الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا انتهى أى وفى السيرة الشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه بشىء فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به

(باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب الى الشام)

عن ابن اسحاق لما تهيأ أبو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله فى الاصل قال وعند بعض الرواة فضبث به أى بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشىء اذا قبضت عليه * فقد جاء أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملأ من بنى اسرائيل لا تدعونى والخطايا بين اضباثهم أى قبضاتهم أى وهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها أى وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطى فلفظه لما تهيأ يعنى أبا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه ابدا * اقول رأيت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطى وضبث به أبو طالب ضباثة لم يضبث مثلها الشىء قط وانه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشىء وهذا لا يناسب قوله ضباثة لم يضبث مثلها الشىء قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة أى الذى هو الرقة كما لا يخفى على أن مصدر ضبث انما هو الضبث ومن ثم لم اجد ذلك فى السيرة المذكورة والذى رأيته فيها ما قدمته عنها * وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسك

بزمام ناقة أبي طالب وقال ياعم الى من تكلني لا اب لي ولا ام وكان سنه صلى الله
عليه وسلم تسع سنين على الراجح * وقيل اثنى عشر سنه وشهرين وعشرة أيام
أى وهذا القيل متدر به فى الامتاع * وقال انه انبت أى ومن ثم اقتصر عليه المحب
الطبرى وذكر انه لما سار به اردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب
الدير ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وما ينبغى ان يكون له اب حى هذا
نبي أى لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي أى النبي المنتظر * ومن علامة
ذلك النبي فى الكتب القديمة ان يموت أبوه وأمه حامل به كما تقدم وسيأتى أو بعد
وضعه بقليل من الزمن أى ومن علامته أيضا فى تلك الكتب موت أمه وهو صغير
كما تقدم فى خبر سيف بن ذى يزن ولا ينافى ذلك اقتصار بعض أهل الكتب
القديمة على الاول الذى هو موت أبيه وهو حمل * قال أبو طالب لصاحب الدير
وما النبي قال الذى يأتى اليه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض * قال أبو طالب
الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب ايضا صاحب دير
فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى ان يكون له أب
حى قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أى النبي الذى يبعث لهذه الامة
الاخيرة لان ما ذكر علامته فى الكتب القديمة * قال ابو طالب سبحان الله الله
اجل مما تقول * ثم قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي الا تسمع
ما يقول قال أى عم لا تنكر لله قدرة والله أعلم * فلما نزل الركب بصرى وبها
راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره
راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس وحينئذ يكون بحيرا اللقبه فى صومعة له
وكان انتهى اليه علم النصرانية أى ولان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهى
اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن اوصياء عيسى عليه الصلاة والسلام
وفى تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا * وقيل كان بحيرا من احبار اليهود
يهود تيماء (ه) أقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما
وقع لورقة بن نوفل كما سيأتى هذا وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية
يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال * وقيل كان يسكن البلقاء من أرض
الشام بقرية يقال لها ميفعة ويحتاج الى الجمع * وقد يقال يجوز انه كان يسكن
فى كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان فى بعض الاحايين يأتى لتلك
الصومعة فليتأمل * وقد سمع مناد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادى ويقول
الآن خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد

وفي لفظ أو الثالث المستظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة * قال ابن قتيبة وكان قبر رئاب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طشش وهو المطر الخفيف والله أعلم * وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت أي مالت (ه) اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي رواية واخضلت أي كثرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة عليه * ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم * فقال له رجل منهم لم أقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة * فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة أي لم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة للنبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده أي ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغي له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم أي وقال فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من انفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه أي وجاء به (ه) واجلسه مع القوم أي وذلك الرجل هو عمه الحارث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن أخي مع كونه اسن من أبي طالب لان أبا طالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحارث مع كون أبي طالب هو المقدم في الركب وقيل الذي جاء به صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقدمه ابن المحدث على ما قبله فليتأمل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه صلى الله

عليه وسلم * فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده
قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم
وتفرقوا قام اليه صلى الله عليه وسلم بحيرا فقال له اسألك بحق اللات والعزى
الا ما اخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما
أي وفي الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسألني باللات والعزى شيأ فوالله ما ابغض شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله
الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من
حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك
ما عند بحيرا من صفته أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان التي عنده أي ثم كشف
عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم * فقالت
قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا * فلما فرغ اقبل على عمه أبي طالب
فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون
أبوه حيا * قال فانه ابن اخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت
أي ثم قال ما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده
واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا فانه كائن
لابن اخيك هذا شأن عظيم أي نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم اني قد اديت
اليك النصيحة فأسرع به الى بلده * وفي لفظ لما قال له ابن أخي قال له بحيرا
شفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام أي جاوزت هذا المحل
وصلت الى داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة *
ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله عز وجل
وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب
التوقي فخرج به عمه أبو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام *
وفي الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل * وذكران نفرا من أهل
الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى بحيرا وارادوا به سوءا
فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته
وانهم ان اجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه * وفي
رواية اخرى خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم
في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه
ولا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الاخر ساجدا ولا يسجد الا لنبي أي وان الغمامة صارت تظلله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة أي والغضروف متقدم على رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فارسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله ولما دنى من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الى فيء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يعاهدهم ان لا يذهبوا به الى أرض الروم أي داخل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر أي مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرأيتم أمرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه أي بايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه واذيته على حسب ما ارسلوا فيه وأقاموا عند ذلك الراهب خوفا على أنفسهم ممن أرسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش انشدكم الله أي أسألكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه بلالا * وفي لفظ وبعث معه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت أي واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف في ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة قدم في هذه الرواية واخر على انه في الهدى قال وقع في كتاب الترمذي وغيره ان عمه أي او ابا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر وذكر في الاصل ان في هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك أي مع صحة سنده ففي متنه نكارة أي امورا منكرة وهي ارسال أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم ينقل لابي بكر الا بعد هذه السفرة بأكثر من ثلاثين عاما ولان أبا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل أي بشهر ولا ينافي ما يأتي * وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح أي فيكون سن أبي بكر نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من أبي بكر رضي الله عنهما فلا يتجه هذا بحال أي لان أبا بكر حينئذ لم يكن اهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن أهلا

لان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن من أبي بكر هو ما عليه الجمهور من
أهل العلم بالاخبار والسير والآثار وما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر
فقال له من الأكبر أنا أو أنت فقال له أبو بكر أنت أكرم وأكبر وأنا أسن قيل فيه
انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضي الله تعالى عنه وكون بلال أصغر
من أبي بكر ينازعه قول ابن حبان بلال كان تربا لابي بكر أي قرينه في السن وبه
يرد قول الذهبي بلال لم يكن خلق قال ذكر الحافظ بن حجران ارسال أبي بكر معه
بلالا وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث آخر ادرجه ذلك الراوي في هذا
الحديث انتهى أقول ولاجل هذا الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا بعضه
باطل أي لم يوافق الواقع أي فهم كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه
لم يوافق الواقع وحينئذ فمراد الاصل بالنكارة في قوله في متنه نكارة البطلان كما اشرت
اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من أقسام الضعيف وهو
يرجع الى الفردية ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال
الحافظ الدمياطي في هذا الحديث وهمان أحدهما قوله فبايعوه وأقاموا معه والوهم
الثاني قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه أبو بكر
وفيه ان الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت
أنه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثاني بعدم وجود أبي بكر وبلال مع النبي صلى
الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يرد به الاثبات وحينئذ لا حاجة
معه الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه أبو بكر الا أن يقال هو على
تسليم وجود أبي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك
ارسال أبي بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك أبي بكر له جاز أن يكون
سيد بلال وهو امية بن خلف أرسله في ذلك العير لامر فاذن أبو بكر لبلال في العود مع
النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ويستأنس ويأمن به اعتمادا على رضى سيده
بذلك اذ ليس من لازم ارساله أن يكون مملوكا له وكون أبي بكر لم يكن في سن من يرسل
عادة تقدم ما فيه والله أعلم قال وروى ابن منده بسند ضعيف عن أبي بكر رضي الله
تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة والنبي
صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة أي فالنبي صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر
بعامين أي وشهور كما تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين التي هي الشهور الواردة
مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام في تجاراتهم حتى
اذا نزل منزلا وهو سوق بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله

عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الرجل الذي في ظل السدرة قال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم الا محمد أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الامي الهاشمي كما سيأتي في بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون أي سفر أبي بكر معه صلى الله عليه وسلم في سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب انتهى أقول أي وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام أكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوي وهم يريدون الشام في تجاراتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا في تلك السفرة وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر الا أن يقال لا مانع أن يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر لكن ربما يبعده ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشرين سنة وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا أن يقال يجوز أن يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو أقرب من دعوى تعدد الشجرة وتكون واحدة عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر او من دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذي كان فيه أبو طالب نزل جهة صومعة بحيرا والعير الذي كان فيه أبو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسيأتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بأنه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من أهل الفترة لا من أهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة أي الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة أو ان المراد بها النبوة أي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما أدري أدرك البعثة أم لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فعنه رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كأسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله أعلم

﴿باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية﴾

أي من أقذارهم ومعايبهم أي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكريما أي حتى كان صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله عز وجل فيه من الامور الصالحة الجيدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني أي رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم أي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري على من بين أصحابي أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح أبي طالب لزمزم فعن ابن اسحاق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي الخصائص الصغرى ونهي صلى الله عليه وسلم عن التعري وكشف العورة من قبل أن يبعث بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك أي نهيه عن التعري عند بنيان الكعبة كما سيأتي وسيأتي ما فيه ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية أي ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما أي من فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لاهله يرعاها أي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا (ه) لم اقف على اسم هذا الفتى أبصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس أي وفي لفظ فجلست انظر أي اسمع وضرب الله على اذني

فوالله ما أيقظني الامس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك أقول المناسب لقوله عصمني الله ما في الرواية الثانية لا ماذكر في الرواية الاولى الا أن يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على اردت ان الهو والله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بغيرهما بسوء مما تعمله أهل الجاهلية أي ماهممت بسوء مما تعمله أهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ فوالله ماهممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك أي مما تعمله أهل الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله تعالى بنبوته ومن ذلك ما جاء عن ام أيمن انها قالت كان بوانه بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها أي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانه تمثل لي رجل أبيض طويل أي وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم أقول ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهي المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع قد أصابه لمم أو طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون وأصاب فلانا من الجن لمة وهي المس أي فقد غاير بينهما والله أعلم قال ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كلما ذبح لغير الله تعالى أي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله عز وجل وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلاء ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيأ ذبح على النصب أي الاصنام حتى اكرمني الله تعالى برسالته أي وزيد ابن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهى عن الواد أي وتقدم

انه كان يحييها اذا أراد أحد ذلك أخذ الموؤدة من أبيها ويكفلها وكان اذا دخل الكعبة
يقول لبيك حقا تعبدا وصدقا وقيل ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد للكعبة قال
صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده أي يقوم مقام جماعة انتهى أي فان ولده
سعيد قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت و بلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له
فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وفي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل على النبي صلى الله
عليه وسلم الوحي وقد قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة أي فيها شاة ذبحت
لغير الله عز وجل وقدمها النبي صلى الله عليه وسلم اليه فأبى أن يأكل منها وقال
اني لست آكل ما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا
كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب في ذلك
قال الامام السهيلي وفيه سؤال كيف وفق الله عز وجل زيدا الى ترك ما ذبح على
النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة
في الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له أي وكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك
من عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذي أشرنا اليه بقولنا
وأجاب السهيلي بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اكل من تلك السفرة أي ولا من
غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم
وانما كان تحريم ذلك في الاسلام والاصل في الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة
هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل عند الشمس الشامي ذلك من أمر الجاهلية
التي حفظه الله تعالى منه في صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو هذا
هو رابع أربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان
كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به
في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطؤا دين
أبيهم ابراهيم فما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد
يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد
عبادتهم لها وسيأتي عن ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذي زيد بن عمرو
رابعهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان
ابن الحويرث وزاد ابن الجوزي على هؤلاء الاربعة جماعة آخرين سيأتي الكلام
عليهم عند الكلام على أول من أسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن أخي
الخطاب والد سيدنا عمر أخاه لامه فأما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سيأتي وكان ممن

دخل فى النصرانية أى بعد دخوله فى اليهودية كما سيأتى وأما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك كما سيأتى وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات على النصرانية وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب اخرجه من مكة واسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم و يسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم أهل النصرانية فسأله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باصل جبل حراء هذا وفى كلام الواقدى عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وأنا انتظر نبيا من ولد اسماعيل ولا أرى ان ادركه وأنا ادين به واصدقه وأشهد انه نبى فان طالت بك مدة فرأيته فسلم منى عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد السلام قال فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم ان ولده سعيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أى شجرتين عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى أى وقال الا انه ليس فى شىء من الكتب وفى رواية رأيته فى الجنة يسحب ذيولا وعن الزهرى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال اكله وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالى له لاأذكر الا وتذكر معى فقد جاء أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول لك أتدرى كيف رفعت ذكرك أى على أى حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور ذلك فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله أعلم قال لاأذكر الا وتذكر معى أى فى غالب المواطن وجوبا أوندبا ومن ذلك ماروى عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل

عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان انتهى أقول تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه في الجاهلية جماعة كثيرون سيأتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي أن يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة في الزجر عنها والتباعد منها لانها أم الخبائث وقد كانت نفوس غالبهم الفتها وهذا محمل ما جاء أتاني جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيأ أي مصدقا بما جئت به دخل الجنة أي لا بد وان يدخل الجنة وان دخل النار قلت يا جبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس والا ففي الخصائص الصغرى للسيوطي وحرمت عليه الخمر من قبل ما بعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله أعلم قال وأما ما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قيل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر انكره الناس أي فقد قال الامام احمد كما في الشفاء انه موضوع أو يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان ابن أبي شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهده باستلام الاصنام قيل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم أي لشهوده بعض مشاهدهم التي تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التي شهدها أي التي كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الآتي بيانها لا مشاهدة استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن أم أيمن انتهى أي من قولها ان بوانة كان صنما لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل في كل سنة الى آخره أي ويرده أيضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لا تسألني بهما فاني والله ما أبغضت شيأ قط بغضهما الا ان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام في ذلك وما سيأتي من قوله لخديجة رضي الله تعالى عنها والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط وما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاوثان و بغض الى الشعر

﴿باب رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم﴾

قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى أقول المبين في هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذى هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعيه للغنم فرعيته بفتح الراء لا بكسرها والله أعلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أى وهى اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعنى كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربى قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة أى والذهب قال وأيده هذا الشافى بان العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الذهب والفضة بدليل انه جاء فى الصحيح ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولانه جاء فى بعض الروايات لاهلى ولا يرعى لاهله باجرة أى كما قضت بذلك العادة وأيضا جاء فى بعض الروايات بدل بالقراريط باجياد فدل ذلك على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بان أهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون أراد باهله أهل مكة لا اقاربه التى تقتضى العادة بانه لا يرعى لهم بالاجرة والاضافة تأتى لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جاء فى رواية البخارى كنت ارعاها أى الغنم على قراريط لاهل مكة وذكر البخارى لذلك فى باب الاجارة وذا يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على بمعنى الباء ويرد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الدراهم والدنانير أى ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز أن يكون المراد يذكر فيها القيراط كثير الكثرة التعامل به فيها أو ان المراد بالقيراط ما يذكر فى المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بأنه رعى لاهله أى أقاربه بغير اجرة ولغيرهم باجرة . المراد بقوله أهلى أهل مكة أى الشامل لاقاربه ولغيرهم قال فيتحد الخبران ويكون فى أحد الحديثين بين الاجرة أى التى هى لقراريط وفى الآخر بين المكان أى الذى هو أجياد فلا تنافى فى ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضى وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل فى ذلك قال ابن الجوزى كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحاق برعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها فى بنى سعد مع أخيه من الرضاع أى وقد يتوقف فى كون قول ابن الجوزى هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما يأتى وفى الهدى انه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة فى رعية الغنم ومن حكمة الله عز وجل فى ذلك ان الرجل اذا استرعى

الغنم التى هى اضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم أى عند النبى صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وأنا راعى غنم أهلى باجياد أى وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همزة واهل المراد به وله راعى غنم أى وقد رعى غنم وكذا قوله وأنا راعى غنم أى وقد رعيت الغنم اذا الاخذ بظاهر الحالية بعيد والنكتة فى حكاية الاقتصار على من ذكر من الانبياء من قوله السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما أتى من قوله ما من نبى الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال فى الغنم سمنها معاشنا وصوفها رياشنا ودفوها كناسنا وفى رواية سمنها معاش وصوفها رياش أى وفى الحديث الفخر والخيلاء فى اصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم ولعل هذا الا ينافى ماجاء فى الامثال قالوا احمق وفى لفظ أجهل من راعى ضأن لما بين لان الضأن تنفر من كل شىء فيحتاج راعيها الى جمعها أى وذلك سبب لحمقه فليتأمل وفى رواية الفخر والخيلاء وفى لفظ والرياء فى أهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم فى الباب قبل هذا من أمر السمر دليل على ذلك أى على رعايته الغنم أيضا وما رواه جابر رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة أى وهو النضيج من ثمر الاراك وفى الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فانى كنت اجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وما من نبى الا وقد رعاها انتهى أقول وحينئذ لا ينبغى لاحد يعير برعاية الغنم أن يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كما علمت كمال فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون كمالا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمى فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم اميا يؤدب والله أعلم

(باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار)

أى بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعنى الحرب المذكورة مع عمومتى ورميت فيه باسهم وما أحب انى لم أكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة أى وهذا الفجار الرابع وأما

الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين وسببه أى هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ و يفتخر على الناس نبسط يوما رجله و قال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها أى اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثانى ان امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فأطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة فسألها ان تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهى لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بنى كنانة فاقتتلوا وقوله فسألها أن تكشف وجهها فأبت يدل على ان النساء فى الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بنى عامر دين على رجل من بنى كنانة فلواه به أى مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين فى ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم فى فجار البراض وعليه اقتصر فى الوفاء أى لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل على اعمامى أى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس فى هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل ويجوز أن يكون اغلب أحواله صلى الله عليه وسلم ذلك أى انه كان ينبل أى يرد النبل فلا ينافى انه رمى فى بعض الاوقات باسهم أى وفى كلام بعضهم كان أبو طالب يحضر أيام الفجار أى فجار البراض وكانت أربعة أيام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافى ما يأتى من الاقتصار على هوازن واذا لم يجىء هوأى فى يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا أبالك لا تغب عنا ففعل ذكره فى الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن أبا براء ملاعب الاسنة فى تلك الحروب أى فى بعض تلك الايام وأبو براء هذا كان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم فى تلك الحرب والطعن ظاهر فى الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه بغير الرمى للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك بل لا يبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا اذ لو أصاب أحد النقل لانه مما توفر الدواعى على نقله الا أن يقال بجواز أن يكون أصاب من لم يذكر فليتأمل قال وسميت الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام انتهى أقول ظاهره حروب الفجار الاربعة أى التى هى فجار البراض وغيرها وظاهر كلامهم انه لم يحضر الا فى الفجار الرابع الذى هو فجار البراض ثم رأيت التصريح بذلك فى الوفاء وسأذكره وسيأتى فى الباب الذى يلى

هذا ان حرب الفجار لم يكن في شهر حرام وسيأتي في هذا الباب ما يدل على ذلك أي ان القتال في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من اهل هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة أي فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك أدم من ادم الطائف ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها على بني كنانة يعني قومه فقال له النعمان ما أريد الا من يجيرها على أهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا أجيرها لك فقال له البراض اتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله أي فانه شرب الخمر وغنته القينات وسكر ونام فجاءه البراض وأيقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلني فانها كانت مني زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك في الشهر الحرام فاتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان في هذا تصريح بان القتال لم يكن في الشهر الحرام لانهم اذا كانوا في الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا أي وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على ان قتالهم لم يكن في الشهر الحرام ومكث القتال بينهم أربعة أيام أي كما تقدم أقول قال السهيلي الصواب ستة أيام والله أعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام أخرجه أعمامه معهم أي ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الايام وهو أشدها أي وهو اليوم الثالث قيد امية وحرب أبناء امية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أي الاسود انتهى أي وحرب والد أبي سفيان وامية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد أي وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره فضن أي بخل به حرب واشفق

أى خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر أى يعلم به الا وهو على بعير بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ماتدعو اليه قال الصلح الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوعن دمائنا أى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن بقتلهم قتلاذريعا أى وذلك لا ينافى انهزامهم فى بعض الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما رأت هوازن الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلاء هوازن ووضعت الحرب أوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية يرادبودت التزمت ان تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو من قتل كافرا ببدر وهو أبو هند زوج أبى سفيان أم معاوية رضى الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق أى فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال أى وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وأبو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذى فى الوفاء الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الاولى سببها قضية بدر بن معشر الغفارى والمرة الثانية كان سببها قضية المرأة والثالثة سببها قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات وأما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف فى المعنى

﴿باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول﴾

وهو أشرف حلف فى العرب والحلف فى الاصل اليمين والعهد وسمى العهد حلفا لانهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان فى شوال أى وقيل فى شعبان لا فى الشهر الحرام أى وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان فى الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر فى انه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجىء الفريقين للموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب الا أن يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان فى ذى القعدة وأول من دعى اليه الزبير بن عبد المطلب أى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه كما تقدم

فاجتمع

فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كأهل بيت واحد بقوتهم * وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشا أى وسبب ذلك انه كان أولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق أن امية بن أبى الصلت مر على بنى عبد المديان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال امية

واقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنو المديان

البر يلبك بالشهاد طعامهم * لاما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادى مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان * ومن مدح أمية بن أبى الصلت فى ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك أن سيمتك الحياء

اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء

كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء

يبادى الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب احجره الشتاء

وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية أى بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحى فحلف أن لا يشربها أبدا * وممن حرمها على نفسه فى الجاهلية عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه وقال لا اشرب شيأ يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على أن انكح كريمتى من لا أريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة أى الابد * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما وفى رواية انه لم يقل ساعة من ليل أو نهار رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا الا انه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ يسأل عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بى أو لم يكن مسلما أى وكان يكنى أبا زهير

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان أبو زهير أو مطعم بن عدى حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير أى وسيأتى فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وأبو جهل وهما غلامان على مأدبة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع أبا جهل فوقع على ركبته فجرحت جرحا أثر فيها * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمى أى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول ابن عباس عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالى أية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يأويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام فيه أنا نفيلة ابن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله ابن جدعان الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف * قال وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم أى وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما * وقيل ان هذا أى رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاده بعضهم على ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما انتهى أى والمراد الابد كما تقدم وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله

عليه وسلم ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار بنى جدعان حمر النعم أى الابل وانى أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أى لا احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل فى ذلك * قال و فى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم * وفيه أن الاسلام قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب والتعصب واجيب بأن هذا مستثنى فالدعوة به جائزة * وفى اخرى ماشهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتى وما أحب أن لى به حمر النعم وانى كنت نقضته أى لا أحب نقضه وان دفع لى حمر الابل فى مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم و زهرة أى بنو زهرة بن كلاب وامية ومخزوم * قال البيهقى كذا روى هذا التفسير أى أن المطيبين هاشم و زهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا أدرى من قاله وعبارته فى السنن الكبرى لا أدرى هذا التفسير من قول أبى هريرة أو من دونه هذا كلامه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين أى لانه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس و المطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى و بنو تيم و بنو الحارث بن فهر وهم المطيبون و بين بنى عمهم عبد الدار بن قصى وأحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر لان المدرج تفسيره فقط بمن ذكر كما يقتضيه كلام البيهقى وحينئذ تكون الرواية ماشهدت حلفا لقريش الا حلفا مع عمومتى الى آخره فظن الراوى أن حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين و فيهم * وقد يقال ذكر ابن اسحاق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوى للتحالف أجابهما بنو هاشم و بنو المطلب و بنو أسد و بنو زهرة و بنو تيم هذا كلامه ولا يخفى أن هؤلاء أجل المطيبين أطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم العاقدون له فليتأمل وسمى بالفضول * قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها * وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لان الداعى اليه كان ثلاثة من أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحارث والضمير فى أشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل

❊ وقيل لانهم أى هؤلاء الذين تحالفوا كانوا أخرجوا فضول أموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء فى فضول من الامر والسبب فى هذا الحلف والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستدعى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص وانتهروه أى الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر رقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ❊ ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ❊ يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه ❊ ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

والحرام بمعنى الاحترام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب أى مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم ❊ وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه انتهى ❊ أقول ذكر السهيلى أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أضوء نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذاهم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم أى جردوها يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها منى قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاهدنا عليه فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة أى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم ❊ وفى سيرة الحافظ الدمياطى انه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال متعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أى لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لانه كان اذ ذاك فى المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى والله أعلم

❊(باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا)❊

وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها * لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة أي على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلماء وثلاث أقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم * وسبب ذلك ان عمه صلى الله عليه وسلم أبا طالب قال له يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان أي القحط (ه) والحت علينا أي اقبلت ودامت (ه) سنون منكرة أي شديدة الجدب وليس لنا مادة أي ما يمدنا ويقومنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة * وفي رواية عيرات جمع عير (ه) قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تأتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا تجد لك من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف ان تولي غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا * فبلغ خديجة رضي الله تعالى عنها ما كان من محاورة عمه أبي طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت اني دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وأنا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة أي يريد الشام * وقالت خديجة لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير أي ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم اظلته الغمامة (ه) فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا أي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم * فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي أي صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال له افي عينيه حمرة * قال ميسرة نعم لا تفارقه * فقال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليت اني ادركه حين يؤمر بالخروج أي يبعث فوعى ذلك ميسرة أي والحمرة كانت في بياض عينيه وهي الشكلة ومن ثم قيل في وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل العينين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب

القديمة أي وقد تقدم ذلك * قال وفي الشرف للنيسابوري فلما رأى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما أنتم عليه أي أي شيء أنتم عليه * قال ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها فدنى الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وأنا اشهد انك الذي ذكره الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أي العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لي عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله * ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسى ابن مريم فانه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد انتهى * أقول قال في النور ولم اجد احدا عد هذا الراهب الذي هو نسطورا في الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغي ان يكون هذا مثله هذا كلامه * وقد قدمنا انه سيأتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من أهل الفترة لا من أهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من أقر برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى آخر ما يأتي * ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك * قال فقولي مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل ان يبعث كهذا الرجل يعني بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى بن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله عز وجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه * زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وأمه اله والله اله * هذا وفي القاموس النسطورية بالضم وبفتح امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطورا الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون وتصرف في الانجيل برأيه * وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرية * ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة

بعد عيسى الذى دلت عليه الرواية الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى فى العادة هذا الزمن الطويل و يبعد فى العادة ان تكون شجرة تخلوا عن ان ينزل تحتها أحد غير الانبياء لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق العادة والانبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم و بهذا يرد قول السهيلى يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبياء عليهم السلام قبل ذلك وان كان فى لفظ الخبر قط أى كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفى والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء * و يبعد فى العادة أيضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى هذا كلامه * وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون * فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان فى بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة نجرعودها فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة ان كلما جاز وقوعه للانبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى لان المعجزة يعتبر فيها التحدى وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها فى الحال على انه سيأتى فى الكلام على غزاة الخندق ان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم * ولما رأى الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب ان انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عنى ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر فى ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبى صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ما الذى راعك فلما نظر الراهب الى ذلك أقبل يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذى راعكم منى فوالذى رفع السموات بغير عمد انى لاجد فى هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول و بالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجى ومن عصاه غوى * ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى

قال ولم اقف على تعيين ما باعه وما اشتراه انتهى * وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به يا ميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه لهو الذى تجده احبارنا منعوتا أى فى الكتب فوعى لميسرة ذلك أى وقبل ان يصلوا الى بصرى عيى بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا فى أول الركب ولهما رغا قال وفى الشرف أنهم باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا بحافظ اكثر من هذا الربح على وجهك انتهى * وأقول لا يخفى ما فى قول ميسرة اتجرنا لخديجة أربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة أو هو على المبالغة والله أعلم * ثم انصرف أهل العير جميعا راجعين وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر هذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له فى سفره ويحتمل ان المراد فى كل سفر سافره لكن لم أقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم فى غير هذه السفرة وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران أى وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذى تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن بوادى فاطمة * قال ميسرة للنبى صلى الله عليه وسلم هل لك ان تسبقنى الى خديجة فتخبرها بالذى جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك أى وفى رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية أى فى غرفة مع نساء فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فرأته نساؤها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة قال خلفته فى البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم أهو الذى رأت أم غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال لها

ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

وميسرة قد عاين الملكين اذ ✽ اظلاك لما سرت ثاني سفرة

واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقول الآخر الذي خالفه أي استحلفه في البيع أي وقصة البعيرين وحينئذ اعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له أي وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين وكانت تسمى لغيره بكرة ✽ وفي كلام بعضهم وفي الروض الباسم استأجرته على اربع بكرات ✽ وفي الجامع الصغير ما نصه اجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ✽ ثم رأيت في الامتاع ما يوافق ذلك ✽ ونصه واجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين وفي السفرة الاولى ارسلته مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة أي وهو مكان بأرض اليمن بينه وبين مكة ستة ليال كانوا يتباعون فيه ثلاثة ايام من أول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية أرسلته مع عبدها ميسرة الى الشام وفيه ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة ففي مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي عن جابر ان خديجة استأجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم ان يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات أربعة الى اليمن وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استأجرته في سفرة الى الشام بأربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة وجاء في بعض الروايات ان أبا طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك ان تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرتين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة لو سألت لبعيد بغيض فكيف وقد سألت لحبيب قريب ✽ ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه أبي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد قول أبي طالب وقولها المذكور ارسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام أو كانت خديجة لا تجوز ان أبا طالب يرضى بسفره الى الشام وانه

صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتأمل * وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من حين سفره أي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه انه لم يفطن لها مثلا * ولكن سيأتي في كلام صاحب الهمزية ما يدل على ان الملكين هما الغمامة * وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسيأتي رؤية جمع من الصحابة لجبريل * وفي المنقذ من الضلال للغزالي ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله أعلم * قال ولم اقف على اسم الرجل الذي حالفه أي استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على رواية صحيحة صريحة فيه بانه أي ميسرة بقي الى البعثة انتهى * ثم ان خديجة ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة ابن نوفل وكان نصرانيا أي بعد ان كان يهوديا على ما يأتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي ينتظر هذا زمانه أي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة وكان شريكا السائب بن أبي السائب صيفي ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري أي لا يرائي ولا يماري أي يخاصم صاحبه * وهذا يدل على ان قوله كان لا يداري الى آخره من مقوله صلى الله عليه وسلم * وقد قال فقهاؤنا والاصل في الشركة خبر السائب بن يزيد انه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث أي قال كان صلى الله عليه وسلم شريك نعم شريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة المشاحنة في الامر واللحاح فيه وهو يدل على ان ذلك كان من مقول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق الآخر كان لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات في هذا الكلام الذي هو كان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في السائب ومنهم من يجعله من قول السائب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين السائب بن ابي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد * وفي الاستيعاب وقع الاضطراب هل الشريك كان أبا السائب أو ولده السائب

ابن أبي السائب أو ولد السائب وهو قيس ابن السائب بن أبي السائب أو لاخ السائب وهو عبد الله ابن أبي السائب * قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبي السائب من المؤلفة اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السائب بن أبي السائب قتل يوم بدر كافرا ومما يدل على أن الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي واقره عليه * وذكر في الامتاع ان حكيم ابن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشترى بالمابزا * وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الاثلاث مرات وأما شراؤه فكثير واجر واستأجر والاستئجار اغلب ووكل وتوكل وكان توكله اكثر

(باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها)

ابن اسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من اقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا أم حبيبة هذا كلامه وعن نفيسه بنت منبه رضي الله تعالى عنها أي وهي أخت يعلى بن منبه * ففي الامتاع منبه أخت على بن منبه وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة أي ضابطة جلدة أي قوية شريفة أي مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا أي واحسنهم جمالا وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة * وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل يقال فلان أوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسة أي خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في غيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة * قلت بلى وأنا افعل فذهبت فأخبرتها فارسلت اليه ان ائت الساعة

بكذا وكذا فأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فزوجه أحدهم أى وهو أبو طالب على ما يأتى * وقال فى خطبته وابن أخى له فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن أسد هذا الفحل لا يقدع انفه أى بالقاف والدال المهملة أى لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير الكريم اذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن أسد * قال بعضهم هو المجتمع عليه وقيل المزوج لها أخوها عمرو بن خويلد * وعن الزهرى أن المزوج لها أبوها خويلد ابن أسد وكان سكرانا من الخمر فألقت عليه خديجة حلة وهى ثوب فوق ثوب لأن الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق أى لطخته بطيب مخلوط بزعفران (ه) فلما صحى من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وامضاه * أى لان خديجة استشعرت من أبيها انه يرغب عن أن يزوجها له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا * فلما سكر أبوها قالت له أن محمد بن عبد الله يخطبنى فزوجنى اياه فزوجها فخلقته وألبسته لان ذلك أى الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم أن الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته * فلما صحى من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتنى من محمد بن عبد الله قال أنا أزوج يتيم أبى طالب لا لعمرى فقالت له خديجة ألا تستحى تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضى * أى وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له أن جماعة حرموها على أنفسهم فى الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من يأتى * وفى رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حتى دخل على خويلد ابن أسد فخطبها اليه فزوجها * أقول قال فى النور ولعل الثلاثة أى أباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفى كون المزوج لها أبوها خويلد أو كونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن أهل العلم أن خويلد بن أسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها * قال بعضهم وهو الذى نازع تبعا أى حين أراد أخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع فى منامه ما ردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة * اقتصر ابن هشام فى سيرته وذكر أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه ففعل وحضره أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله القصة والله أعلم * قال وعن ابن اسحاق انها قالت له يا محمد ألا تتزوج قال ومن قالت أنا قال ومن لي بك أنت أيم قريش قالت اخطبني الحديث أى وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف أى الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات أبوه الحقيقي * وعن بعضهم قال مررت أنا و رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها و وقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فأخبرته فقال بلى لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا أصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا خديجة حلة الحديث * و في الامتاع بعد أن ذكر أن السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر أنه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون كل ممن ذكر كان سفيرا * و في الشرف أن خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا أبا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله فقال أبو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث أى وفي رواية ومعه بنو هاشم و رؤساء مضر ولا مخالفة لجواز أن يكون المراد ببني هاشم أولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره أن أبا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد أى معدنه وعنصر مضر أى أصله وجعلنا حضنة بيته أى المتكفلين بشأنه وسواس حرمه أى القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس * ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثني عشر اوقية ونشا أى وهو عشرون درهما والاوقية أربعون درهما أى وكانت الاواق والنش من ذهب كما قال المحب الطبري أى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي

وقيل أصدقها عشرين بكرة أى كما تقدم * أقول لامناة لجواز أن يكون البكرات عوضاعن الصداق المذكور وقال يجوز أن يكون أبوطالب أصدقها ماذكر وزاده صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات فى صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وماقيل أن عليا رضى الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولدعلى جمع الاقوال فى مقدار عمره * وبه يرد قول بعضهم وكون على ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين أى لانه ولد فى الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون فأكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ماتقدم أوزيادة بشهرين وعشرة أيام وفيه خمسة عشر يوما على ما يأتى وقيل الذى ولد فى الكعبة حكيم بن حزام * قال بعضهم لامانع من ولادة كليهما فى الكعبة لكن فى النور حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره * وأما ماروى أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء * قال النووى وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد هو الفحل لا يقدح أنفه وانكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة ابن نوفل أى فانه بعد أن خطب أبوطالب بما تقدم خطب ورقة * فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال أبوطالب قد احببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على معاشر قريش أنى قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد * واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح أبوطالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهى اول وليمة اولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم * اقول ولا ينافى هذا ماتقدم من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة لجواز أن يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافى ذلك ماتقدم من قوله وقد ابتنى بها الان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافى كون المزوج له عمه أبوطالب ماتقدم أن المزوج له عمه حمزة لجواز أن يكون حضر مع ابى طالب فنسب التزويج اليه أيضا والله أعلم * والسبب فى ذلك أى فى عرض خديجة رضى الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم أيضا مع ماأراد الله تعالى بها من الخير ماذكره ابن اسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى وقال يامعشر نساء قريش

انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده فان تكن استطاعت أن تكون فراشاله فلتفعل فحصبته النساء أي رمينه بالحصباء وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ووقع ذلك في نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رآه من الآيات ومارأته هي أي وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودي حقا ماذاك الاهذا ❋ وذكر الفاكهي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذن أباطالب في أن يتوجه الى خديجة أي ولعله بعد أن طلبت منه صلى الله عليه وسلم الحضور اليها وذلك قبل أن يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظري ماتقول له خديجة فخرجت خلفه فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة أخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ثم قالت بابي أنت وامي والله ما أفعل هذا الشيء ولكني أرجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي مالا اضيعه أبدا وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا الاجله لا يضيعك أبدا فرجعت نبعة وأخبرت أبا طالب بذلك ❋ وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة عشر يوما وعمره اذذاك خمس وعشرون سنة على ماهو الصحيح الذي عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة أيام ❋ وقد أشار الى ماتقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والـــ زهد فيه سجية والحياء

وأتاها أن الغمامة والسر ❋ ح أظلتــــه منهما افياء

وأحاديث أن وعد رسول الـــله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته الى الزواج وما أحـــسن ما يبلغ المنا الاذكياء

أي وعلته خديجة رضي الله عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والحال أن التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة وأتاها الخبر بأن الغمامة والشجر أظلته افياء أي ظلال حالة كون تلك الافياء من الغمامة والشجر ❋ وفيه أن هذا يدل على ان الملكين هما الغمامة ❋ قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة وأتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بأن وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب الوفاء به منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها أو عرضت نفسها عليه وما أحسن

بلوغ الاذكياء ما يتمنونه * وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بنت أربعين سنة * قال وقيل خمس وار بعين سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين انتهى * أى وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين أولهما عتيق بن عائذ أى بالموحدة والمهملة * وقيل بالمثناة تحت والمعجمة (ه) فولدت له بنتا اسمها هند وهى أم محمد بن صيفى المخزومى وثانيهما أبو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند أيضا فهو هند بن هند أى وكان يقول أنا أكرم الناس أبا واما وأخا واختا أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه تزوج امه وامى خديجة وأخى القاسم واختى فاطمة قتل هند هذا مع على يوم الجمل * وفى كلام السهيلى انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات فى ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه وار بيب رسول الله فلم تبق جنازة الاتركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم * هذا وفى المواهب انها كانت تحت أبى هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وستأتى بقية ترجمتها فى أزواجه صلى الله عليه وسلم

(باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى)

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل حتى أتى من فوق الردم الذى صنعوه لمنعه السيل فأخربه أى ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذى أصابها وذلك أن امرأة بخرتها فطارت شرارة فى ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول أى تذهبها بالمرة * وقيل تبخير المرأة لها كان فى زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولا مانع من التعدد * وكان ارتفاعها تسعة أذرع من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يكن لها سقف * أى وكان الناس يلقون الحلى والمتاع كالطيب أى الذى يهدى اليها فى بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سيأتى ذلك فأراد شخص فى أيام جرهم أن يسرق من ذلك شيأ فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك * وفى كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه فى تلك البئر حتى أخرج منها وانتزع المال منه فليتأمل الجمع * وقد يقال على بعد جار أن يكون هذا الرجل تكررت منه السرقة وكان هلاكه فى المرة الثانية * فعند ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الرأس والذنب رأسها كرأس الجدى فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق

بالقاء

بالقاف أي تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها أحد الا كشت أي صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت * ففي حياة الحيوان قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها الامن فيها فجر ستبئره وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقربه أحد أي لا يقرب بئره وخزانته الا أهلكته أي ولعل المراد لوقرب منه أحد أهلكته اذ لو أهلكت أحدا قرب من تلك البئر انقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق أرادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا بنيانها أي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة وأعدوا لذلك نفقة أي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس (ه) أي بعد ان قام أبو وهب عمرو بن عابد فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث * أي وفي لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا البيت مهر بغي أي زانية ولا بيع ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة أو دمة بينكم وبين أحد من الناس وابو وهب هذا خال عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا في قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضي الله عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة أي كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازارهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء أي ونودي عورتك فقال ازاري ازاري أي شدوا على ازاري فشد عليه * وفي رواية سقط فغشي عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره انه نودي من السماء أن شد عليك ازارك وهذا يبعد ما جاء في رواية قال له العباس أي بعد ان أمر بستر عورته وسترها يا ابن أخي اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابني ما أصابني الا من التعري * وفي رواية بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من احياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك أي غطها فلم ير عريانا أي مكشوف العورة بعد ذلك أي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس رضي الله تعالى عنه لانه يجوز أن يكون ذلك صدر امن العباس حينئذ وغايته انه سمى

السمرة ازالوا له * قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك أى وقوع هذا مع ما تقدم
من نهيه عن ذلك أى الذى تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه أبى طالب لزمزم قبل
هذا قال لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شئ مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من
الوجوه انتهى أى وقد عاد الى ذلك * أقول يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم
لم يفهم أن أمره بستر عورته أولا عزيمة بل جواز الترك وفى الثانية علم انه عزيمة
لا يقال تقدم من كرامتى على ربى ان أحدا لم يرعورتى وتقدم ان ذلك من خصائصه
صلى الله عليه وسلم * فى الخصائص الصغرى انه صلى الله عليه وسلم لم ترعورته
قط ولو رآها أحد طمست عيناه لانه لا يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم
رؤيتها كما لم يلزم من حضانته وتربيته وجامعة زوجاته ذلك * فعن عائشة
رضى الله عنها ما رأيت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر أن بقية زوجاته
كذلك والله اعلم * ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر أى خوف من أن
يمنعهم الله تعالى ما أرادوا أى بأن يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع
لعمرو بن عائذ أى قال وعند ابن اسحاق أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه
أى خافوا من انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم أتريدون بهدمها
الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين قالوا
من الذى يعلوها فيهدمها قال أنا أعلوها وأنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول ثم قام
عليها وهو يقول اللهم لم ترع أى بالراء والعين المهملتين والضمير فى ترع للكعبة أى
لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير أى وفى رواية لم نزغ بالنون والزاى المعجمة أى
لم نحل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر
فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ هدمناها فقد
رضى الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى
انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة
خضر كالاسنمة أى اسنمة الابل وفى لفظ كالاسنة * قال السهيلى وهو وهم
من بعض النقلة عن ابن اسحاق هذا كلامه أى وقد يقال هى كالاسنة فى الخضرة
وكالاسنمة فى العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى أخضر أخذ
بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها
فلما تحرك الحجر تنقضت مكة أى تحركت بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت
الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش
فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدر ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله

ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا لا تزول اخشباها أى جبلاها وهما أبوقبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى أبى قبيس بارك لاهلها فى الماء واللبن * ووجدوا فى المقام أى محله كتابا آخر مكتوب فيه مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة أى ما يغبط أى يحسد حسدا محمودا عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة أى ما يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل أى نعم كما يجنى من الشوك العنب أى الثمر أى وفى السيرة الهاشمية أن ذلك وجد مكتوبا فى حجر فى الكعبة وفى كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة أسطر الاول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخره وفى الثانى أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفى الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن المحدث ورأيت فى مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه أنا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعرى تارك الصلاة أرخصها والأقوات فارغة واغليها والاقوات ملآن أى فارغ محلها وملآن محلها هذا كلامه * وقد يقال لا مانع من ان يكون ذلك حجرا آخر أو يكون هو ذلك الحجر وما ذكر مكتوب فى محل آخر منه أى وفى الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا باسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه حرفا لو احدثكموه لقتلتمونى قال وظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه * وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة أى الذى به جدة الآن وكان ساحل مكة قبل ذلك الذى يرمى به السفن يقال له الشعيبة بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبة ساحل مكة انكسرت * وفى لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا * وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التى حرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها أى كسرها فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها فأعدوه لسقف الكعبة وقبل هابوا هدمها من أجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما أرادوا القرب منه أى البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هى ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث

الله طائرا أعظم من النسر فاختطفها وألقاها فى الحجون فالتقمتها الارض قيل وهى الدابة التى تكلم الناس يوم القيامة * وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد * وفى حديث أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الدابة التى تكلم الناس فأخرجها له من الارض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال أى رب ردها فردها * فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا أى بعد أن اجتمعوا عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن نراع أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتمه وأشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والافما بدا لك فافعل فسمعوا فى السماء صوتا ووجبة واذا بالطائر المذكور اخذها وذهب بها الى اجياد فقالوا ماذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا اخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومى الذى كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به معهم الى مكة أو هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجارا وتلك الاخشاب هى التى اشتروها من تلك السفينة التى كسرت * اقول ومع أخذ الطائر لتلك الحية يجوزان يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر فى انهم هدموها عند أخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله أعلم * أى ثم لما أرادوا بنيانها تجزأتها قريش أى بعد ان اشار عليهم بذلك أبو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم انى أرى ان تقسموا أربعة ارباع * فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم ابنى عمرو وكان شق الحجر أى الجانب الذى فيه الحجر الآن لبنى عبد الدار ولبنى أسد ولبنى عدى والذى فى كلام المقريزى كان لبنى عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر أى وهو شق الباب * وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله أى الجانب الذى فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود هذا كلامه فليتأمل * وفى كلام بعضهم وسمى الركن اليمانى باليمانى لان رجلا من اليمن بناه وكان البانى لها باقوم النجار أى الذى هو مولى سعيد بن العاص * أقول وكان المناسب ان يكون الذى بناها باقوم الرومى الذى كان صحبة السفينة التى كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسيأتى التصريح بذلك وأما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بناء واشتهر بالوصف الاول فكان البانى لها وفيه انه يحتمل ان يكون باقوم الرومى البناء كان نجارا أيضا واشتهر بالوصف

الاول * ثم رأيت فى كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان أى باقوم الرومى نجارا بناء فقول القائل وكان البانى لها باقوم النجار مراده باقوم الرومى لا مولى سعيد * ثم رأيت فى بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومى بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتأخذ خشبها أى السفينة التى كسرت فوجدوا الرومى الذى فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون أحدهما بناها والاخر عمل سقفها أو انهما اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا * ثم رايت عن ابن اسحاق وكان بمكة قبطى يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم أى الرومى فالقبطى هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ فى هذه الرواية وصف باقوم الرومى بانه كان نجارا كالرواية التى قبلها وسيأتى فى الرواية التى تلى هذه انه الذى بناها * وهى فى الاصابة اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان فى سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومى اسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبى صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو * ثم لما بنوها جعلوها مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الى اعلاها وزادوا فيها تسعة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا فى درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وفى لفظ اخرجوا من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة * ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى اعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى أى تحالفوا على الموت وادخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم فى حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال ثم اجتمعوا فى المسجد الحرام وكان أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة اسن قريش كلها يومئذ أى وهو والد ام سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد * أى وذكر بعضهم ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة ابن الاسود بن عبد المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ومسافر ابن أبى عمرو بن أمية وأبو أمية بن المغيرة وهو اشهرهم بذلك * و فى كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا أبا أمية بن المغيرة

وحده يحتمل ان المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة * وأبو أمية هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم أى وهو باب بنى شيبة وكان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس الذى يقال له الآن باب السلام * وفى لفظ اول من يدخل من باب الصفا أى وهو المقابل لما بين الركنين اليمانى والاسود ففعلوا * أى وفى كلام البلادرى ان الذى أشار على قريش بان يضع الركن اول من يدخل من باب بنى شيبة مهشم ابن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون اسمه حذيفة ويكنى بأبى حذيفة كما كنى بأبى أمية ومهشم لقبه وان الراوى عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما يأتى فكان أول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قالوا هذا الامين رضيناه هذا محمد أى لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية لانه كان لا يدارى ولا يمارى فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به أى وفى رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه فى الارض أى ويقال انه كساء أبيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فأخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب أى بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة فكان فى الربع الثانى زمعة وكان فى الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة وكان فى الربع الرابع قيس بن عدى حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم أى ولما مات أبو أمية بن المغيرة رثاه أبو طالب بقصيدة طويلة ورثاه أبو وجيهة بقوله

ألا هكذا الماجد الرافد * وكل قريش له حامد

ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن أى الحجر ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبى صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شد به الركن فغضب النجدى وقال واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا الى رجل أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له أما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكان يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدى

هو ابليس * فقد ذكر السهيلي أن ابليس تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الركن من يرفعه وصاح يا معشر قريش أرضيتم
أن يلي هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أنسابكم انتهى وانما تصور بصورة نجدي
لان في الحديث نجد طلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك
لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا فأعاد الاول والثاني قال هناك الزلازل والفتن
وفيها يطلع قرن الشيطان * أقول سيأتي انه تصور بهذه الصورة أيضا عند دخول
قريش دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتي
ثم في حكمة تصوره بذلك غير ما ذكر ولا مانع أن يكونا حكمة لما هنا ولما يأتي وأعادوا
الصور التي كانت في حيطانها الا انه كان في حيطانها صور الانبياء بأنواع الاصباغ
ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام أي واسمعيل وفي يده الازلام وصور الملائكة
وصورة مريم كما سيأتي في فتح مكة وكساها زعماؤهم أرديتهم وكانت من الوصائل
ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة
الوداع والله أعلم * وهذه المرة الرابعة أي من بناء الكعبة بناء على ان أول من بناها
الملائكة ففي بعض الآثار ان الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق السموات والارض
كان عرشه على الماء أي العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن فلما أراد أن يخلق السموات والارض أرسل
الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم أزال ذلك
الماء عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ أرسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح
الماء أي ضرب بعضه بعضا فأبرز عنه خشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى
من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي أصل الارض وسرتها وقد يخالفه
ما في أنس الجليل كذا روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال وسط
الدنيا بيت المقدس وأرفع الارضين كلها بيت المقدس * وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ومعاذ بن جبل انه أقرب الى السماء باثني عشر ميلا ثم بين ذلك في انس
الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال فكان أول جبل وضع عليها أبو قبيس
وحينئذ كان ينبغي أن يسمى أبا الجبال وأن يكون أفضلها مع ان أفضلها كما قال الجلال
السيوطي استنباطا أحد لقوله صلى الله عليه وسلم أحد يحبنا ونحبه ولما ورد انه على
باب من أبواب الجنة قال ولانه من جملة أرض المدينة التي هي أفضل البقاع أي عنده
تبعا للجمع ولانه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ اذ تصعدون ولا تلوون على
أحد أي بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها سبع أرضين وجاء بدا الله خلق

الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحى الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فبهذا يظهر التوقف في قول مغلطاي ان الغفلة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل .لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت أن الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم بعد خلق السماء دحى الارض * ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال له يا امام اختلف على من القرآن آيات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الاخرى أم السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فأجابه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض وأما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبالا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلق السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتأمل * وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد * وقال السهيلي اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أى لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي و يمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذى يبلغ عنه هذا كلامه أى وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل * ولما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما حاذاها الذى هو محل البيت المعمور * وعن كعب الاحبار رضى الله عنه لما أراد الله تعالى أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة لها شعاع عظيم * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الارض الا تلك الطينة أى وقد ذكر الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابى بكر الصديق رضى الله عنه أتعرف يوم يوم فقال أبو بكر نعم

والذى

والذى بعثك بالحق نبيا يارسول الله سأأتى عن يوم المقادير يعنى يوم الست بربكم وانقدمت لك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم تتكلم الانبياء بلسان الباطن الذى تكلم به الصوفية * فأجاب بأنه لم اعلم تتكلم الانبياء بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الا فهم العامة دون فهم الخاصة الا بعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله تعالى عنه أتعرف يوم يوم فقال نعم يارسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها من مكة الى محل تربته صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع مايقال مقتضى كون أصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة أن يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون فى محل دفنه ثم عجنها بطينة آدم ولعل هذه الطينة هى المعبر عنها بالنور فى قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر يارسول الله أخبرنى عن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره ولم يكن فى ذلك الوقت لاسماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث * وجاء أول ما خلق الله نورى وفى رواية أول ما خلق الله العقل * قال الشيخ على الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية فى الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه أن هذا لا يناسبه قوله ولم يكن فى ذلك الوقت لاسماء ولا أرض اذ كيف يأتى ذلك مع قول كعب الاحبار أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض الى آخره ومع قول ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا ان يقال ان ذلك النور بعد ايجاده أودع تلك الطينة التى هى قلب الارض وسرتها وحينئذ لا يخالف ذلك ماجاء ان الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالى لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس * هذا وقد جاء فى حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة * وجاء خلق الله آدم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودحنا محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره وجعل نوره فى ظهر آدم * ولما خلق الله آدم وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور من ظهره وأخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بنى

آدم فإن بني آدم ما أخرجوا من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح في آدم ونقل بعضهم أن الله تعالى لما أخرج الذر واعاده في صلب آدم أمسك روح عيسى الى ان أتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان أخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح في آدم وأخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم اتعرف يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله أي حين أخذ العهد على آدم لا حين أخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر فليتأمل * ثم لما نفخت الروح في آدم صار ذلك النور في ظهر آدم فصارت الملائكة تقف صفوفا خلف آدم يتعجبون من ظهور ذلك النور فقال آدم يارب ما بال هؤلاء ينظرون الى ظهري قال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذي أخرجه من ظهرك فسأل الله تعالى ان يجعله في مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله الله في جبهته ثم سأل الله تعالى ان يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما اهبط آدم الى الأرض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يارب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء قال نعم نور اخصاء أصحابه فقال يارب اجعله في بقية اصابعي فكان نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام فلما أكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس * ثم انتقل ذلك النور من آدم الى ولده شيث ولما قال تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة أي علمت ان ما قالوا رادا على ربهم وانه قد غضب عليهم من فوقهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة اطواف يسترضون ربهم فرضي عليهم * وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا الى بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم أي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار بدليل ما قيل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على أربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت أي لارضى عنكم * ثم قال لهم ابنوا الى بيتا في الارض بمثاله وقدره أي ففعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر * وفي لفظ لما قال تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا ان يكون الله تعالى عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا

يستغفرون ربهم ويتضرعون اليه فأمرهم ان يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم ان يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور فى السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة فى الارض واسم البيت الذى فى السماء الدنيا بيت العزة * و فى كلام بعضهم فى كل سماء بيت يعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر أهل الارض البيت العتيق بالحج فى كل عام والاعتمار فى كل وقت والطواف فى كل أوان ولينظر ما معنى بناء الملائكة للبيوت فى السموات واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هى المرة الثالثة بناء على ان أول من بناها آدم صلى الله عليه وسلم أى أو ولده شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الآثار الدالين على ان أول من بناها الملائكة لم يصح واحد منهما وكانت قبل ذلك أى وكان محلها قبل بناء آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء انزلت لآدم من الجنة أى لها بابان باب من زمرد اخضر شرقى وباب غربى من ذهب منظومان من در الجنة فكان آدم يطوف بها و يأنس اليها * وقد حج اليها من الهند ماشيا أربعين حجة و يجوز ان تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمراء * قال وذكر ان آدم لما اهبط الى الارض كان رجلاه بها ورأسه فى السماء وفى لفظ كان رأسه يمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع أى بعض ولده فسمع تسبيح الملائكة ودعاهم فاستأنس بذلك فهابته الملائكة أى صارت تنفر منه فشكى الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع آدم فلما فقد اصوات الملائكة حزن وشكى الى الله تعالى فقال يا آدم انى قد اهبطت بيتا يطاف به أى تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشى و يصلى عنده كما يصلى عند عرشى أى كان ذلك أى الطواف بالعرش والصلاة عنده شأن الملائكة أولا فلا ينافى ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه أى طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التى انزلت لاجله * وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور * وقيل اهبط آدم وطوله ستون ذراعا أى على الصفة التى خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى آدم على صورته وطوله ستون ذراعا أى أوجده الله تعالى على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة احوالا بل خلقه كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح فالضمير فى صورته يرجع لآدم وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته أى

حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فخرج على سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب على وجهه فان الله تعالى خلق آدم على صورته أى صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله وهذا القيل المتقدم من انه اهبط آدم وطوله ستون ذراعا يوافقه ماجاء فى الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا فى سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر انما روى ان آدم لما اهبط كانت رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا أى الذى تقدم ظاهر انا بر الصحيح يخالفه وهو أنه خلق فى ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان آدم أمرد وفى الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وقد جاء فى صفة أهل الجنة جرد مرد على صورة آدم وفى بعض الاخبار أن آدم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بدله فى كل يوم من مطر يغسل قدمى آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذرى جبال الارض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذى أبداه بعض الحفاظ فى قول بعضهم ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر * قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان أصل الطيب بالهند * وعن عطاء بن أبى رباح أن آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهى هذه التى يتطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما أمر آدم بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها ومدله فى خطوه * قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام فقد قيل لمجاهد هل كان آدم يركب قال وأى شىء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وفيه أن هذا يقتضى أن آدم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبياء كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقبض الله تعالى له ما كان فى الارض من مخاض أو بحر فلم يضع قدمه فى شىء من الارض الا صار عمرانا وصار بين كل خطوة مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا خيمة فى موضع الكعبة أى الموضع الذى به الكعبة الآن وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة أى ولها أربعة أركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها ما بين السماء والارض كذا فى بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافى ما تقدم انه يجوز أن تكون

تلك الخيمة بين البيت المعمور ووصف بأنه ياقوتة حمراء لان سقفه كان ياقوتة حمراء لان التعدد بعيد فليتأمل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من أرض الجنة وكان كرسيا لآدم يجلس عليه أى ولعل المراد يجلس عليه فى الجنة * أقول وهذا السياق يدل على أن آدم أهبط من الجنة الى أرض الهند ابتداء * وذكر فى مثير الغرام عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى أهبط آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا آدم تخطا فتخطا فاذا هو بأرض الهند فمكث هنالك ماشاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطا فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور أيضا يدل على أن الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج آدم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما فى مثير الغرام وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه * وفى رواية عنه أنزل الركن والمقام مع آدم ليلة نزل آدم من الجنة فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وأنس بهما فليتأمل الجمع * وفى رواية أن آدم نزل بتلك الياقوتة أى فعن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتى أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى أى على ما تقدم ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت أى تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال فى الجمع يجوز أن تكون المعية ليست حقيقية والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافى ما تقدم من قوله يا آدم انى قد أهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه * وجاء أن آدم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متأبطه أى تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر اليه وكون آدم نزل بالحجر الاسود متأبطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التى هى الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وأيضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روى عن وهب بن منبه رحمه الله أن آدم لما أمره الله تعالى بالخروج الى الجنة أخذ جوهرة من الجنة أى التى هى الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكى ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يجعل تلك الجوهرة فى الركن ففعل * وفى بهجة الانوار أن الحجر الاسود كان فى الابتداء ملكا صالحا

ولما خلق الله تعالى آدم أباح له الجنة كلها الا الشجرة التى نهاه عنها ثم جعل ذلك
الملك موكلا على آدم أن لا يأكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى أن آدم يأكل من
تلك الشجرة غاب عنه ذاك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا
الا ترى انه جاء فى الاحاديث الحجر الاسود يأتى يوم القيامة وله يد ولسان واذن وعين
لانه كان فى الابتداء ملكا * أقول ورأيت فى ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاخميمى
أنه لما جاور بمكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان
ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه * وقد جاء أكثروا استلام هذا الحجر فانكم
توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذا صبحوا وقد فقدوه ان الله
عز وجل لا يترك شيأ من الجنة فى الارض الا أعاده فيها قبل يوم القيامة أى * فقد
جاء ليس فى الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر
الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى * وجاء استكثروا من الطواف بهذا
البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة والله أعلم * وجاء أن آدم
أتى ذلك أى تلك الخيمة أى التى هى البيت المعمور على ماتقدم ألف مرة من الهند
ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة وأول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف
بعرفة فقال له يا آدم بر نسكك أما انا قد طفنا بهذا البيت قبل أن تخلق بخمسين
ألف سنة وفى رواية لما حج آدم استقبلته الملائكة بالردم أى ردم بنى جمح الذى هو
محل المدعى فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام * أقول
وفى تاريخ مكة للازرقى أن آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا
وأن الملائكة لقيته بالمأزمين فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك
بألفى عام والمأزمان موضع بين عرفة والمزدلفة قال الطبرى ودون منى أيضا مأزمان
والله أعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجاء انه وجد الملائكة بذى طوى وقالوا له
يا آدم مازلنا ننتظرك هنا منذ ألفى سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور
خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمأزمين
وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بألف عام وكونهم حجوا قبله
بألفى عام وبخمسين ألف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم خلقوا جيلا بعد
جيل ومما يدل على انهم جيلا بعد جيل ما جاء من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق
الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها
الى يوم القيامة وما جاء أن جبريل فى كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه
الحديث لكن فى سفر السعادة الحديث المنسوب الى أبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم

قال

قال يأمر الله تعالى جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور ينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عزوجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شيء ولم يثبت في هذا المعنى حديث هذا لفظه والله أعلم وعند ذلك قال آدم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان آدم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار أي ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم أتى الملتزم أي محله فقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي الحديث * أقول قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن أن يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لآدم قد أهبطت بيتا الى آخر ما تقدم أو كونها أهبطت مع آدم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو الخيمة قبل أن تنزل ويجوز أن يكون المراد تلك الخيمة أو نفس تلك الخيمة بناء على أنها البيت المعمور وأن الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض كما تقدم قال وعن وهب بن منبه قرأت في كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض الا أمره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد * أقول يجوز أن يكون المراد باحرامه بنية الطواف بالبيت لا احرامه بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى آخره ويجوز أن يكون المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك الخيمة ما دام من وجد من الملائكة ومن بعث بعد ذلك ولا يخفى أن الاول يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثاني يكون فيه دلالة على أن الحجر الاسود كان في تلك الخيمة يبتدء الطواف بها منه * وجاء عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهما أن الله عزوجل أوحى الى آدم أن اهبط الى الارض ابن لي بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بيتي الذي في السماء * وفي رواية وطف به واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي أي على ما تقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هبوط آدم كان من الجنة الى موضع الكعبة ابتداء والله أعلم * قال وجاء أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى الى آدم وحوى فقال لهما ابنيا أي قال لهما ان الله تعالى يقول لكما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحوى تنقل التراب حتى أجابه الماء ونودي من تحته حسبك يا آدم * وفي رواية حتى اذا بلغ الارض السابعة فقذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق

الصخرة ثلاثون رجلا انتهى * وفيه أنه ان كان أمر آدم ببناء البيت بعد مجيئه
الى تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهره ما تقدم عن عطاء وسعيد بن المسيب
أوحى الله تعالى الى آدم أن اهبط الى الارض ابن لى بيتا اذ ظاهره أنه أوحى اليه
بذلك وهو فى الجنة الا أن يقال المراد بالارض فى قوله اهبط الى الارض أرض الحرم
أى اذهب الى أرض الحرم ابن لى بيتا ثم لا يخفى أن قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر
يقتضى أن القاء الملائكة للصخر كان بعد حفر آدم وهو لا يخالف ما تقدم
عن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتى أنزلته
معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون
القاء الملائكة للصخر بعد حفر آدم فلما تم ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق تلك
الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة أى صحبوه من أرض الهند الى أرض
الحرم * وجاء فى بعض الروايات أن آدم وحوى لما أسسا نزل البيت من السماء
من ذهب أحمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل
الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به آدم أى كما كان يطوف به قبل ذلك
وبهذا تجتمع الروايات وحينئذ لا مانع أن ينسب بناء هذا الاساس التى وضعت
الملائكة عليه تلك الخيمة لآدم وأن ينسب للملائكة أما نسبته للملائكة
فواضح وأما نسبته لآدم فلانه السبب فيه أولانه كان اذا ألقت الملائكة الصخر
يضع آدم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك الاس للملائكة ولآدم يحمل
القول بأن أول من بنى الكعبة الملائكة والقول بأن أول من بنى الكعبة آدم فليتأمل
وقد جاء ان آدم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس
ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا و فى كلام بعضهم انه جبل بالشام وهو الذى
نودى منه موسى عليه الصلاة والسلام ومن الجودى وهو جبل بالجزيرة ومن حراء
حتى استوى على وجه الارض * أقول وفى رواية بناه من ستة أجبل من أبى قبيس
ومن رضوى ومن أحد فالمتحصل من الروايتين انه بناه من ثمانية أجبل ولا مانع من
ذلك واستمر ذلك البيت الذى هو الخيمة الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان
الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك يرفعوه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور
كما فى الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الماء النجس وبقيت قواعده التى هى الاس
* وفى العرائس ثم طافت السفينة بأهلها الارض كلها فى ستة أشهر لا تستقر
على شىء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت
الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور أى وكون حوى أسست

البيت مع آدم يخالف ما جاء أن حوى أهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة آدم والى شىء من مكة لاجل خطيئتها وانها أرادت أن تدخل مع آدم الى مكة فقال لها اليك عنى قد خرجت من الجنة بسببك فتريدين أن أحرم هذا فكان آدم اذا أراد يلقاها اليها يخرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل * وذكر محمد بن جرير ان الله أهبط آدم على جبل سرنديب بالهند أى وتقدم ما فيه وحوى بجدة بالحاء المهملة وقيل بالجيم فجاء ادم فى طلبها فتعارفا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك جمع وزلفت اليه فى المحل الذى قيل له بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الا أن يقال كل من المحلين من جملة البقعة وأطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمى المحل عرفة لان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام المناسك وانتهى الى عرفة وقال له أعرفت مناسكك قال نعم فسمى عرفة أى والمراد مناسكه التى قبل عرفة والا فعظم المناسك بعد عرفة فليتأمل * وفى الخصائص الصغرى عن رزين انه روى أن آدم عليه السلام قال ان الله أعطى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتى بمكة وأحدهم يتوب فى كل مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكران حوى عاشت بعد آدم سنة وجاء ان ادم لما فرغ من بناء البيت أمره الله تعالى بالمسير الى أن يبنى بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أى مسجد وضع فى الارض أولا المسجد الحرام قيل ثم أى قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال أربعون سنة وحينئذ لا حاجة لجواب الامام البلقينى أن المراد ان المدة المذكورة بين أرضيهما فى الدحو أى دحيت أرض المسجد الحرام ثم بعد مضى مقدار أربعين سنة دحيت أرض بيت المقدس * وفيه ان الامام البلقينى انما أجاب بذلك بناء على ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو البانى للمسجد الحرام والبانى لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فان بينهما كما قيل أكثر من ألف عام وكذا لا اشكال اذا كان البانى للمسجد الحرام آدم والبانى لمسجد بيت المقدس احد أولاده كما قيل بذلك ومن ثم أجاب بعضهم بأن سليمان انما كان مجدد البناء بيت المقدس وأما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحاق بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة وأما على أن البانى لهما آدم فلا اشكال وفى رواية ان أول من بنى الكعبة أى كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت آدم شيث ولد آدم بناها بالطين والحجارة أى فهى أولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقى

عـلـه وقيل انه استمر ولم يبنه أحد الى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ففي رواية
أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب
بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد أى كما تقدم
هذا الاس كما علمت لآدم أو للملائكة أولهما وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد
ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جاء في بعض
الروايات عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت أى بسبب
الطوفان بدليل ما جاء في رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة
والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض
وما دعى عنده احد الا استجيب له * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يحجه هود
ولا صالح عليهما الصلاة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه
ثمود * وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا * وجاء ان حول
الكعبة لقبور ثلثمائة نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين
نبيا وكل نبي من الانبياء اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم وأتى مكة يعبد الله
عز وجل بها حتى يموت * وجاء ما بين الركن اليماني والحجر الاسود روضة من
رياض الجنة وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة * أقول
ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسماعيل دفن حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود
لكن جاء ان قبر اسماعيل في الحجر * وذكر المحب الطبرى ان البلاطة الخضراء
التى بالحجر قبر اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد يقال لا منافاة بين كون هود
وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل
وصولهما الى البيت فجيء بهما ودفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما
لم يحجا أى ويدل له انه قد جاء حجه هود وصالح ومن آمن معهما * وفي بعض الروايات
لم يحجه بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من
ان كل نبي اذا كذبه قومه الى آخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع
الا ان يثبت ان بين نوح وابراهيم احد من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح
وابراهيم أحد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا
وتقدم ضعفه * وجاء في حديث راويه متروك ان نوحا حجت به السفينة فوقفت
بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به أى بالحرم كما تقدم ان السفينة لم تجاوز
الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعى بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعى

نفس الطواف فهو من عطف التفسير * وفى انس الجليل ورد حديث شريف أن السفينة طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودى * أى وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت العتيق انكم فى حرم الله وحول بيته لا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا * ويذكران ولده حام تعدى ووطىء زوجته فدعى عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله دعاه فى أولاده فجاء ولده اسود وهو أبو السودان وقيل فى سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك فى كتابى أعلام الطراز المنقوش فى فضائل الحبوش والله أعلم وقبر آدم وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف فى بيت المقدس أى بعد نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان ابن لى بيتا فقال ابراهيم أى رب أين ابنيه فأوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة أى وهى ريح لها وجه كوجه الانسان أى وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به أى وفى الكشاف فى تفسير السكينة التى كانت فى التابوت الذى هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه * وعن على رضى الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفى رواية بعث الله ريحا يقال لها الخوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لابراهيم واسماعيل صلى الله عليهما وسلم ماحول البيت من اساس البيت الاول * وفى رواية أرسل الله سحابة فيها رأس فقال الرأس ياابراهيم ان ربك يأمرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الرأس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن اس الى آخره * وجاء ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطائر المعروف أى وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لان له صفيرا مختلفا يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا اقرب منه قصمه من ساعته وأكله ويقال له الصوام لانه ورد انه أول طائر صام عاشوراء * فعن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدى صرد فقال هذا أول طير صام عاشوراء لكن قال الذهبى هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل * ويذكر ان خالد بن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوى أمره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض أصحابه ممن أسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحى فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام

وقد سمع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يامذنبين * وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك صياحهما * وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان * وسمع هدهدا يصوت فقال يقول من لا يرحم لا يرحم ويجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يامذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم * وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه * وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله ياغافلون وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى على سمائه وأرضه وقال الحداء تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه * والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت * والعقاب يقول في البعد عن الناس انس وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من الطيور انصح لبني آدم واشفق عليهم من البومة تقول اذا وقفت عند خربة أين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا ياغافلون وتهيؤا لسفركم * وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا طيرا اعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول فقلت الله ورسوله أعلم فقال انه يقول اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام اتدري ما يقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد اذكر يانبي الله وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك ارتعد فرقا وعفى عنه أي فان الهدهد كان دليلا له على الماء فان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فلما فقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فأرسل خلفه العقاب فرآه مقبلا من جهة اليمن فلما رآه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من اقدرك على الا رحمتني قيل لابن عباس ياسبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضاء عمي البصر قيل عني سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بالعذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل بالزامه خدمة أقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل اضيق السجون عشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر

عن أصواتها بالنطق لما يتخيل منها من المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه مهما سمع من صوت طائر علم بقوته القدسية الغرض الذي أراده ذلك الطائر وهذا في طائر لم يفصح بالعبارة والا فقد يسمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق * وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض أصحابنا وفيه درة لم أرها فاذا هي تقول لي مرحبا يا الشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان عليه السلام يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه الصلاة والسلام سمع النملة وقد احست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك أمر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس أي اهلاكها انما اردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح أي فيمتن * فقد جاء مرفوعا آجال البهائم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها ويروى ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى * وفي الحديث الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت له انما خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتكفر نعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في فص خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذي بشم الطعام لانها لا جوف لها يكون به الطعام * ويذكر ان هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان اهدت له نبقة فوضعتها في كفه ويحكى عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوى الجلال السيوطي قال الثعالبي في زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاء جميع الحيوانات يهنونه الا نملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت كيف اهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا أحب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاء في بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من البقاء في سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب في البحر قال وصار ابراهيم واسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى

وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلي فابن عليه أي وفي لفظ لما أمر ابراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا فأرسل اليه السكينة وهي ريح خجوج ملتوية في هبوبها لها رأس الحديث فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فأبرز أي الحفر عن اس ثابت في الارض فبنى ابراهيم واسماعيل يناول الحجارة أي التي تأتي بها الملائكة كما سيأتي حتى ارتفع البناء انتهى * أقول يحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أوحى الله اليه بذلك كان في مكة عند اسماعيل وانهما كانا بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاءا وقد قيل في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله الآية أي قائم مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى في أرضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله أعلم * قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام أي وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء ارتفع به المقام في الهوى فاثر قدم ابراهيم في ذلك الحجر * وقيل انما اثر في صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجة اسماعيل له رأسه لان سارة كانت اخذت عليه عهدا حين استأذنها في الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسماعيل وهاجر فحلف لها انه لا ينزل عن دابته أي التي هي البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله تعالى فيها اثر قدمه آية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته * الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحد رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود في المقام أثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه في حال البناء يدل على ان الموجود فيه أثر قدميه فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة أذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا أي منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا أي يقفل وانما جعله تبع الحميري بعد ذلك وحفر له بئرا داخله عند بابه أي على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال له خزانة الكعبة كما تقدم ولما أراد أن يجعل حجرا يجعله علما للناس أي يبتدؤن الطواف منه ويختمون به ذهب اسماعيل عليه الصلاة والسلام الى الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر الاسود يتلألأ نورا أي فكان نوره يضيء الى منتهى أبواب الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه أسود لما مسته الحيض في الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح آدم به دموعه وجاء ان خطايا بني آدم سودته وأما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له

أولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجودا في تلك الخيمة كما تقدم * وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لاسماعيل يابني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ها هنا قال يا أبتي اني كسلان لغب أي تعب قال علي بذلك فانطلق وجاء جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذي خرج به آدم من الجنة أي كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبني عليه ابراهيم وجاء اسماعيل بحجر من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر أي وبني عليه فقال من أين هذا الحجر من جاءك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يكلني اليك ولا الى حجرك أي وفي لفظ جاءني به من هو أنشط منك وفي لفظ ان اسماعيل جاءه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما يأتيه به * وجاء ان الله تعالى استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له أي فلما انتهى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمحل الحجر نادى أبو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله في البيت وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه * أقول وفي لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر أبيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان أبو قبيس يسمى في الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمى أبا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مدحج بني فيه يقال له أبو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر في ترجمة الياس أحد أجداده صلى الله عليه وسلم انه أول من وضع الركن أي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان أول من سقط عليه أي أول من علم به فوضعه في زاوية البيت فليتأمل ذلك والله أعلم أي وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال عند المقام أشهد بالله يكررها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب أي من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجاء انهما يقفان يوم القيامة وهما في العظم مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسه ذو عاهة الا شفاه الله تعالى * وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق قال لبني آدم ألست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم ألقم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذي

كانوا اتجروا به قال على رضى الله تعالى عنه وكان أبى يقول اذا استلم الحجر اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيت به ليشهد لى عندك بالوفاء * وفى كلام السهيلى أن العهد الذى أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيئاً كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك * وقد جاء الحجر الاسود يمين الله فى الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالى بعلم الكلام فانى لما سمعت ذلك سألت فقيها كنت اختلف اليه عن معناه فلم يخرج جوابا فقيل لى سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسألته فأجاب بجواب شاف فقلت لابد لى من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذى قاله السهيلى يروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه * فعن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أنه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك فقال له على رضى الله تعالى عنه بلى يا أمير المؤمنين هو يضر و ينفع قال ولم قلت ذلك بكتاب الله قال وأين ذلك من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية وكتب ذلك فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فألقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضى الله تعالى عنه أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن * وعن قتادة قال ذكر لنا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنا البيت من خمسة أجبل من طورسينا وطور زيتا ولبنان والجودى وحراء وذكر لنا أن قواعده من حراء التى وضعها آدم مع الملائكة * أقول تقدم أن تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طورسيناء ومن طور زيتا ومن الجودى ومن حراء الا أن يقال يجوز أن يكون معظم ذلك كان من حراء فليتأمل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان أى لم يجعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته أربعة أركان * وذكر الحافظ ابن حجر أن ذا القرنين الاول وهو المذكور فى القرآن فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام وهو اسكندر الرومى قدم مكة فوجد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش شهدت أى قلن نشهد أن ابراهيم واسماعيل عبدان مأموران بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما كان ابراهيم عليه الصلاة

والسلام

والسلام بمكة وأقبل ذو القرنين عليهما انما كان بالابطح قيل له فى هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغى لى أن أركب فى بلدة فيها ابراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم على ابراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عنده السلام قال الفاكهى وأظن أن الاكبش المذكورة أى التى شهدت احجارا ويحتمل أن تكون غنما ووصف ذى القرنين بالاكبر احترازا من ذى القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليونانى فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وبين عيسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام أكثر من ألفى سنة وكان كافرا والله أعلم * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يارب قد فرغت قال أذن فى الناس بالحج قال أى رب ومن يبلغ صوتى قال الله جل ثناؤه أذن وعلى البلاغ قال أى رب كيف أقول قال قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فأجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان أطول الجبال فنادى وأدخل أصبعيه فى اذنيه وأقبل بوجهه شرقا وغربا ينادى بذلك ثلاث مرات أى وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وبرها وانسها وجنها حتى أسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدأ بشق اليمن وحينئذ يكون أول من أجاب أهل اليمن وسيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان أهل اليمن أكثر اجابة ومن ثم جاء فى الحديث الايمان يمان * وقال صلى الله عليه وسلم فى حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم * وروى الطبرى باسناد عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أهل اليمن فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى * ومما يؤثر عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه * وقد ذكر فى تفسير قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم هو نداء ابراهيم على المقام بما ذكر * وقيل له البيت العتيق لانه أعتق من الجبابرة لم يدعه أى بحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضى تبعا للكشاف لانه أعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال وأما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر بن العاص انه قال انما سميت بكة أى بالموحدة لانها كانت تبك أعناق الجبابرة ولينظر من قصده ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة * ثم رأيت فى المشرق أن ثلاثة غيره قصد واهدمه

اثنان قاتلهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان فى أول زمان قريش . أراد هدمه
جميعا على شرف الذكر لقريش به وأن يبنى عنده بيتا يصرف حجاج العرب اليه
فلما قارب مكة أظلمت الارض وأيقن بالهلاك فأقلع عن تلك النية ونوى أن يكسو
البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك * وفيه أن هذا الذى حصلت له الظلمة
انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه أرسلت عليه ريح كنعت منه
يديه ورجليه وأصابته وقومه ظلمة شديدة * وفى رواية أصابه داء تمخض منه
رأسه قيحا وصديدا أى ينبع نبحا حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه فدعى بالاطباء
فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر اعلك
هممت بشىء فى حق هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقال له تب الى الله مما نويت
فانه بيت الله وحرمه وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرأ من دائه * وقيل لانه أول
بيت وضع فى الارض وقيل لانه أعتق من الغرق بسبب الطوفان فى زمن نوح عليه
الصلاة والسلام كذا فى الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان
ولما ذكر فى قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقفت
بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت
رجلاها الا أن يقال ان معنى أعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقى أثره * وفى الخميس
عن ابن هشام أن ماء الطوفان لم يصل الكعبة ولكن قام حولها وبقيت هى فى هواء
السماء أى بناء على أن الكعبة هى الخيمة التى كانت على زمن آدم عليه الصلاة
والسلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور
وهذا كما علمت يدل على أن المراد بالكعبة الخيمة التى كانت لآدم وقوله قام حولها
يريد انه لم يعل محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم فى قصة نوح فليتأمل وفى رواية
أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج
وفى لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم أن تحجوه فأجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث
مرات فاسمع من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من كان سبق فى علم الله
انه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى أن تقوم الساعة الا من
كان أجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن
لبى مرتين حج حجتين وهكذا * وفى لفظ لما نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شىء من المطيعين له الا أجاب لبيك اللهم لبيك *
أقول لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وسيأتى ومعلوم أن اجابة غير العقلاء اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد

بالكتب

بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة فى السنة السادسة وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سيأتى وأما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم أقف على وجوب الحج عليها * وقد ذكر بعض المتأخرين من أصحابنا أن الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب * وفى الخصائص الصغرى وافترض عليهم أى على هذه الامة ما افترض على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبياء والرسل * وفيه أن الاصل أن ما وجب فى حق نبى وجب فى حق أمته الا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتى ما فى الوضوء والله أعلم أى ثم أمر بالمقام فوضعه قبله أى ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلى اليه مستقبل الباب أى جهته وأوّل من أخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الآن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أى وقد تقدم ذلك عن ابن كثير * أقول وقيل ان أوّل من وضعه الآن النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة وسيأتى الجمع بين هذين القولين ويأتى ما فيه * وذكر الطبرى ان محله أولا المنخفض أى الذى تسميه العامة المعجنة أى محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى اليومين كما سيأتى ونازع فى ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك لاشتهر عليه بالكتابة فى الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل * وذكر ابن حجر الهيتمى أن فى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس وقيل صعد ثبيرا واذن وان أوّل من أجابه أهل اليمن أى لما تقدم أنه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك أى وقوفه على تلك الاماكن التى هى المقام وأبو قبيس وثبير ويجوز ان يكون قال فى بعض تلك الاماكن ما لم يقله فى غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام * وجاء أنه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وحد وحد الحرم وأمره أن ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك أى مع اسماعيل عليهما الصلاة والسلام ففى العرائس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة ثم باتا بها حتى أصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء

الاخيرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفر افاض بهما الى منى فاراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح واراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فليتأمل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم واسماعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا بين المغرب والعشاء لانسك وهو مخالف لقول أئمتنا لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم * ففي الخصائص الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلاة الا ان يدعى ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز ان يكون ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى * وفي الوفاء عن وهب قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنا الله ذو بكة أهلها جيرتي وزوارها وفدي وفي كنفي اعمره بأهل السماء وأهل الارض يأتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجا ويثجون بالبكاء ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد الي ونزل بي وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه لنبي من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وانيط له سقايته واريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهي الى نبي من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته فمن سأل عني يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم * ولما دعى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات أي دعى بذلك وهو على ثنية كداء بالمد * فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من أرض الشام أي وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ذكره في الكشاف ثم لما فرغ أي من بناء البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم زيدوا فيها العلي العظيم فقالت الملائكة ذلك * وكان بناء ابراهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل

عكسه وقد يتوقف في بناء العماليق له اما في الاول فلان أول من نزل مكة مع
هاجر وولدها اسماعيل جرهم وانهم بعد اسماعيل و بعض ولده كانوا ولاة البيت
وأما في الثاني فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون
البيت ولا ولاية لهم عليه الا ان يقال لا مانع ان يكونوا حينئذ اهل ثروة بخلاف
جرهم وخزاعة * ثم رأيت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان العماليق كانوا
في عز وكانت لهم اموال كثيرة وان الله سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط
عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر في النمل كالزنبور في النحل
وفي تاريخ مكة للفاكهي ان العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقاء بالبيت
وقيل كانوا بعرفة ولما أخرج الله تعالى زمزم لاسماعيل بواسطة جبريل
ففي ربيع الابرار ان جبريل أخرج ماء زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسماعيل
وعند ذلك تحولوا الى مكة قال المقريزي لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم ولا يصح
ذلك * ثم رأيت المقريزي قال و في كتاب أخبار مكة للفاكهي ما يدل على تقدم
بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يصح ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة
كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة * ولا يخفى ان هذا
صريح في ان العمالقة بنته ولا بد وان بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعماليق من
ولد عملاق أو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو أول من
كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم وجريد النخل
ثم بنته قريش كما تقدم * ثم بناه بعد قريش عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى
عنهما أي ويكنى أبا خبيب بضم المعجمة وفتح الباء الموحدة وكنى بأبي خبيب لان
خبيبا كان رجلا بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام أي وعبد الله
رضي الله تعالى عنه كان مشابهاله في ذلك فكني به هذا * وفي كلام ابن الجوزي
انه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير
ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مائة سوط فمات لانه لما حدث عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنوا أبي العاص أربعين رجلا * وفي رواية ثلاثين
رجلا وفي رواية اذا بلغ بنوا الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنوا أمية أربعين
رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي
رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث أي ذكر بني أمية وذكر
الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز

وهو والى المدينة ان يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه أى
فى يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع
بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن
عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق أى عائق لى
وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبى سفيان ومعه
ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض
حاجتى يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة
فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله تعالى عنهما اشهد بالله يا ابن
عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين
رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا
تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم
ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه فيها فلما ادبر
عبد الملك قال معاوية أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان أربعة من
ولده ولوا الخلافة فليتأمل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال
ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * وفى كلام ابن
كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة هذا * وقد رأيت عن بعض حواشى
الكشاف ان اعداء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما هم الذين كانوا
يكنونه بأبى خبيب لان خبيبا كان من اخس أولاده ويرده قول بعضهم يغلب
للشرف كالخبيبين لخبيب بن عبد الله ابن الزبير وأخيه مصعب * وذكر ابن
الجوزى أيضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك
ابن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان
يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء فى يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به
ذلك أى كما فعل بخبيب * ثم رأيت فى تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد الملك
لولده الوليد فى حياته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد بن المسيب ان يبايع
فضربه نائب المدينة ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به
فى المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يعنف والى المدينة على
ذلك ويأمره باخراجه من الحبس هذا كلامه * وفى كلام البلاذرى وكان
جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذى ضرب سعيد بن المسيب

سنين سوطا اذلم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الان يقال لا مانع ان يكون سعيد
فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد * ثم
رأيت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب بالسياط
المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك أيضا لما
امتنع من البيعة للوليد * وفى طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله
تعالى فى ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من
مبايعته والبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول
له قم لا تجالسنى فانهم قد جلدونى ومنعوا الناس عن مجالستى هذا كلامه الان
يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع
سعيد بن المسيب من المبايعة للوليد لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لامتى من فرعون لقومه * وفى
رواية هو اضر على امتى من فرعون على قومه زاد فى رواية يسد به ركن من أركان
جهنم وفى لفظ زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك قال
ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذى هو عمه * وكان
سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رأيت كأنى ابول فى يدى فقال تحتك
ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امرأته رضاعة * وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن
أسماء بنت أبى بكر وهى أخذت ذلك عن والدها أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وعن
سعيد أخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان أبو بكر اعبر هذه الامة بعد النبى
صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفى حضرته *
وعن الزهرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبى بكر فقال رأيت
كانى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك
الله الى مغفرة ورحمة واعيش بعدك سنتين ونصف فكان كما عبر فقد عاش بعده
صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة اشهر وقال له رأيتنى اردفت غنما سودا ثم اردفتها
غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال أبو بكر يا رسول الله أما الغنم السود فان
العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من
كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا
وسبب بناء عبد الله بن الزبير الكعبة ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين
ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن قتيبة لقتال أهل المدينة لما علم
انهم خرجوا عن طاعته أى واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه

نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب * أى فقد ذكر بعض ثقات المؤرخين انه كان له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له اتانا وحشية قد ريضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل فى بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر * وقد استفتى الكيا الهراسى من اكابر ائمتنا معاشر الشافعية كان من روس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالى عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه * فأجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد فى أيام عمر بن الخطاب وللامام أحمد قولان أى فى لعنه تلويح وتصريح وكذلك الامام مالك وكذا لابى حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومد من الخمر وشعره فى الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالى هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه * فأجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبى صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح أمره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله وما لم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية وأما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل فى المؤمنين فى قولنا فى كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه * وكان على ما افتى به الكيا الهراسى من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكرى تبعا لوالده الاستاذ الشيخ أبى الحسن * وقد رأيت فى كلام بعض اتباع استاذنا المذكور فى حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعه وفى اسفل سجين وضعه * وفى كلام ابن الجوزى اجاز العلماء الورعون لعنه وصنف فى اباحة لعنه مصنفا * وقال السعد التفتازانى انى لا اشك فى اسلامه بل فى ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص * ولما خلعوا أى أهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخرجوا والى يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم وبنى أمية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السماء فكانت وقعة الحرة المشهورة التى كادت تبيد أهل المدينة عن آخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها

ألف عذراء أى ولم تقم الجماعة ولا الاذان فى المسجد النبوى مدة المقاتلة وهى ثلاثة أيام * وفى كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذى وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلاثمائة وستة رجال ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس * وفى التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار ألف وسبعمائة ومن حملة القرآن سبعمائة وجالت الخيل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول أى عبيد له ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه * وروى البخارى ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لما ارجف أهل المدينة بزيد دعى بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغنى عن أحد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان التنصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بيته أيضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من أنت ايها الشيخ فقال أنا أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى شىء فقالوا كذبت ونتفوا لحيته وأما جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه خرج فى يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشى فى بعض ازقة المدينة وصار يعثر فى القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبى فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته * قال السهيلى وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم ألف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان * فقد ذكر ان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهى ترضع صبيها وقد أخذ ما وجده عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت ويحك ان قتلته فابوه أبو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الصبى من حجرها

وندبها في فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس * قال السهيلي واحسب هذه المرأة جدة الصبي لا امه اذ يبعد في العادة ان يبايع امرأة وتكون يوم الحرة في سن من ترضع أي ولدا اصغر منها * ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار امتي بعد أصحابي * وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذا بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد أعذر أهل المدينة قبل هذه الواقعة فيما ذكروه وبذل لهم من العطاء اضعاف ما يعطي الناس رغبة في استمالهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يأبى الله الا ما أراد * وفي التنوير ان الله ابتلى أمير هذا الجيش الذي هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة أيام من أخذه البيعة بمرض صار ينبح منه كالكلب الى ان مات وولي أمر الجيش بعده الحصين بن نمير بأمر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا اشرفت على الموت أي لانه كان مريضا بالاستسقاء فول أمر الجيش للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد * وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف * ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس * ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة في تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعي رضي الله تعالى عنه روى علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود * وسبب مقاتلة عبد الله ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد أيضا هو والحسين رضي الله تعالى عنهما لما أرسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة * ثم لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه أي لان

الحسين

الحسين أرسل اليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه فأراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضي الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم فأبى الا أن يذهب فبكى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان أخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة للحسين اثنا عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه أميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وكان أكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما أن يرجع من حيث جاء أو يذهب الى بعض الثغور أو يذهب الى يزيد يفعل فيه ما أراد فأبوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه الى أن اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدي عبد الله بن زياد * ولما جاء خبر قتل الحسين رضي الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما في الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني أمية ويطنب في ذلك ولما بلغ يزيد ذلك أقسم أن لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من أهل الشام في خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم أن لا يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبته وأجمل بك وبه فقال له أنظر في أمري ثم دخل على امه أسماء رضي الله تعالى عنها واستشارها فقالت يا بني عش كريما ومت كريما ولا تمكن بني امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا * ثم أظهر المبايعة فاجتمع عليه أهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة * فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق نصبه على أبي قبيس قيل وعلى الاقرو وهما اخشبا مكة فأصاب الكعبة من ناره ما حرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما تقدم * وذكر في المشرق ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر فأحرقت المنجنيق وأحرقت

بعثه ثمانية عشر رجلا من أهل الشام ثم عملوا منجنيقا آخر فنصبوه على أبي قبيس * ويذكر أن النار لما أصابت الكعبة أنت بحيث يسمع أنينها كأنين المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * فقد جاء انذاره صلى الله عليه وسلم بحريق الكعبة * فعن ميمونة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق * وفي العرائس أن أول يوم تكلم الناس في القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ قيل أبو معبد الجهني وقيل أبو الاسود الدؤلي وقيل غير ذلك وقوله أول يوم تكلم الناس في القدر لعل المراد أول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس في القدر فلا يخالف ما حكى ان شخصا قال لعلي رضي الله تعالى عنه وهو بصفين يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أ كان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذي خلق الحبة و برء النسمة ما وطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضائه وقدره والتكلم في القدر ليس من خصائص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها * ففي الحديث ما بعث الله نبيا الا في أمته قدرية يشوشون عليه أمر أمته ألا وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا * وقد جاء في ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدر فانه شعبة من النصرانية وجاء أخاف على أمتي التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية تقول يأتي الخير من الله والشر من العبد وهؤلاء الطائفة أشبه بالمجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية لان أكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد من خير أو شر ناشئا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل هو ناشىء عن قدرة العبد واختياره فقد اثبتوا لله تعالى شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك لله تعالى فهذه الفرقة من القدرية اشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الاعتبار وقد أوضحت ذلك في تعليقي المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه آخر الكلام في القدر لشرار أمتي في آخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا وللعبد اكتسابا * وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما الكعبة أن امرأة بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع أيضا احتراقها بتبخير المرأة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم

وعد

وعد بعضهم أن من البدع تجمير المسجد وأن مالكا كرهه وقد روى أن مولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يجمر المسجد النبوى اذا جلس عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرناء الكبش الذى فدى به اسماعيل فانهما كانا معلقين بالسقف * أقول ولعل تعليقهما فى السقف كان بعد تعليقهما فى الميزاب * فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما فى السقف ماجاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبى صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت قرنى الكبش فى البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل مصليا * وذكر الجلال المحلى فى قطعة التفسير أن الكبش المذكور هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكبرا أى وحينئذ تكون النار التى انزلت فى زمن هابيل لم تأكله بل رفعته الى السماء وحينئذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فأكلته على التسمح ويدل لما ذكره الجلال ماجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ماكان ذبح ابراهيم أى مذبوحه قال الذى قرب ابن آدم * قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بأنه عظيم لانه رعى فى الجنة أربعين عاما * وقيل كان الكبش اختراعا اخترعه الله هناك فى ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدى من الموت بصورة الموت وهذا كله بناء على أن الذى قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضى فلينظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة أماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أن يعلم الجيش وهم أهل الشام فنادى فيهم يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم يعنى يزيد فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن أحب أن يرجع أى شأنه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا فى طاعته ظاهرا ويقال ان أمير الجيش طلب من ابن الزبير أن يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت رؤس فرسيهما وجعل فرس أمير الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير مالك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فأكره أن اطأ حمام الحرم فقال تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين فقال له تأذن لنا أن نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فأذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر يعنى الخلافة فارحل معى الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير

وأغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول أعده بالملك وهو يعدنى بالقتل ومن ثم قيل كان فى ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف * ودخل فى طاعة ابن الزبير جميع أهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية هذا مكث فى الخلافة أربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى أخاه نائبا عنه بالمدينة أمره باجلاء بنى امية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما أراد مروان أن يبايع ابن الزبير بدمشق ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له أنت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل وأنت أحق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة أشهر فى الخلافة فهو الرابع من خلفاء بنى أمية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو أول من سمى عبد الملك فى الاسلام ثم عهد عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد أن مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستعجل أمر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله * وفى كلام ابن ظفر أن عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية فى نقل الخلافة فلما ساروا عن دمشق أياما تمارض عمرو بن سعيد واستأذن عبد الملك فى العود الى دمشق فأذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعى الناس الى خلعه فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فاشير على عبد الملك أن يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو فى صورة ظالم له وقصده لعمرو بن سعيد فى صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان أمانته وأفسد رعيته فرجع الى دمشق فظفر بعمرو ابن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه الكعبة أنه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضى الله تعالى عنه يطوف سباحة أى ولا مانع من وجود الامرين الحرق والسيل فلما رأى عبد الله ما وقع فى الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى أن يصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم أحرق لم يرض له الا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد حدثتنى خالتى عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها ألم ترى

قومك يعني قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية أي قرب عهدهم بها أي و في لفظ لولا الناس حديثوا عهد بالجاهلية أي قريب عهدهم بها أي و في لفظ لولا الناس حديثوا عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا أي بابا من خلفها أي و في لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس أي منه و في لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض أي كما كان عليه في زمن ابراهيم ولأدخلت الحجر فيها أي و في رواية لادخلت نحو ستة اذرع و في رواية ستة اذرع وشيأ و في رواية وشبرا و في رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطربت الروايات في القدر الذي اخرجته قريش و في لفظ لادخلت فيها ما أخرج منها و في لفظ لجعلتها على اساس ابراهيم وازيد أي بان أزيد في الكعبة من الحجر أي وذلك ما اخرجته قريش خشي صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذي يعدونه من أكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام * وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الاعلى قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة أي الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد ابراهيم وقيل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك * قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء وأحجارا اسلم عليها المسلمون و بعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم أي فانه يوشك ان يأتي بعدك من يهدمها فلا يزال يهدم ويبني فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها أي رمها فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضى الثلاث أجمع أمره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشيوا ان ينزل بأول الناس يقصدها أمر من السماء حتى صعد بها رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس أصابه شيء فتتابعوه انتهى أي وقيل أول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير بنفسه رضي الله تعالى عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وأمر ابن الزبير جماعة من الحبشة بهدمها رجاء ان يكون فيهم الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها * وفيه ان الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر اليه اسود أفحج ينقضها حجرا حجرا * وجاء في وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف

كبير البطن * ووصف أيضا بانه اصلع وفى لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم رأسه * ووصف بانه اصعل أى صغير الرأس وبانه اصمع أى صغير الاذنين معه أصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر أى وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف * وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف أى وورد ان أول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام والقرآن وأول نعمة ترفع من الارض العسل * وقيل يكون هدمها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وجمع بانه يهدم بعضها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها فهدمها عبد الله الى أن انتهى الهدم الى القواعد أى التى هى الاساس * قال وفى رواية كشف له عن أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا فى الحجر ستة اذرع وشيأ واحجار ذلك الاساس كأنها اعناق الابل حجارة حمراء أخذ بعضها فى بعض مشبكة كتشبيك الاصابع وأصاب فيه قبر أم اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسماعيل وهو يؤيد القول بان قبره فى حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود لا فى الحجر كما ذكره الطبرى وانه تحت البلاطة الخضراء التى بالحجر كما تقدم فدعى عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم واشهدهم على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوى عتلة كانت بيده فى ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا انتهى اقول تقدم فى بناء قريش انهم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة أخذ بعضها ببعض وان رجلا أدخل عتلته بين حجرين منها فحصل نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هى قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها ازرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما ان الاخضر غير الصافى يقال له اسود والصافى يقال له ازرق والله أعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى بنى عليها وارتفع البناء وزاد فى ارتفاعها على ما كانت عليه فى بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وزاد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضى ما حدثته به خالته عائشة رضى الله تعالى عنها فادخل فيه الحجر أى لانه يجوز ان يكون ادخال الحجر

هو الذى سمعه من عائشة فسلم به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع وشبر أو قريب من سبعة اذرع * وفيه ان هذا أى قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان قريشا أخرجت منها الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر وأما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبنى عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته عائشة رضى الله تعالى عنها على انه سيأتى عن نص حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا القوملك من بعدى ان يبنوا فهلى لا ريك ماتركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع فليتأمل وجعل لها خلفا أى بابا من خلفها والصقه بالاس كالمقابل له * قال ولما ارتفع البناء الى مكان الحجر الاسود وكان فى وقت الهدم وجد متصدعا بسبب الحريق كما تقدم شدة بالفضة ثم جعله فى ديباجة وادخله فى تابوت واقفل عليه وادخله دار الندوة فحين وصل البناء الى محله أمر ابنه حمزة وشخصا آخر أن يحملاه ويضعاه محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتى فانه صلى بالناس بالمسجد اغتناما لاشتغالهم عن وضعه لما احس منهم بالتناقض فى ذلك أى ان كل واحد يريد ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبر تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافى ما وقع بعد ذلك من ان أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وبسبب ولده أبى طاهر فان ولده أبا طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان أقام بها أحد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة اكثر من عشرين سنة أى والناس يضعون ايديهم محله

للتبرك ويدفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى اعيد فى خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شديد زنته ثلاثة الاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف * قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاثة عشر واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك * وجعل طول الباب أحد عشر ذراعا والباب الآخر بإزائه كذلك * فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق أى الطيب والزعفران وكساها القباطى أى وهى ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر * وفى كلام بعضهم أول من كسى الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير * أقول وبناء عبد الله للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات ففى نص حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فان بدا لقومك من بعدى ان يبنوه فهلمى لاريك ما تركوا منه فأراها قريبا من ستة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير ادخل فى بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن فى ان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبرى وهذا الحديث يعنى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير فى البيت اذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجة أو مستحسنة * قال الشهاب ابن حجر الهيثمى ومن الواضح البين ان ما وهى وتشقق منها فى حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه * وفى شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس لعشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامى بوجهيه وانحدر معه فى الجدار الشرقى الى حد الباب ومن الجدار الغربى من الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق فى المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد الابواب وعند مجىء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشا وهو الوزير الاعظم الآن أى فى سنة ثلاث وأربعين وألف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة بالمبادرة للعمارة * وقد جعلت للوزير المذكور فى ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا

كبيرا واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد اعزالله انصاره وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعها الاثلاث مرات المرة الاولى بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما ألفا سنة وسبعمائة سنة وخمس وسبعون سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير أي وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة أي وأما بناء الملائكة و بناء آدم و بناء شيث لم يصح وأما بناء جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وحينئذ يكون ما جاء في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث من الدنيا * وذكر الامام البلقيني أن كون ابن الزبير أول من كسا الكعبة الديباج أشهر من القول بأن أول من كساها الديباج أم العباس بن عبد المطلب كما سيأتي وجاز أن يكون عبد الله بن الزبير كساها أولا القباطي ثم كساها الديباج والله أعلم وكان كسوتها أي في زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان أول من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحميرية أي وفي رواية كساها الوصائل وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن * وفي كلام الامام البلقيني وروى أن تبعا اليماني لما كساها الخسف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن * وفي الكشاف كان تبع الحميري مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه * وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم * وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي * هذا وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الزهية والمباهج المرضية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان نبيا وقيل أول من كساها عدنان بن أدد وكانت قريش تشترك في كسوة الكعبة حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش أنا أكسو الكعبة سنة وحدي وجميع قريش سنة أي وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة ففعل ذلك الى أن مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل * وكانت كسوتها لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية * وفي كلام بعضهم أول من كسا الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها أبو بكر وعمر وعثمان

القباطي وكساها مساوية الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد أن عطف الحبرات على القباطي من عطف التفسير فليتأمل وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي فكانت تكسى الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان * قال بعضهم وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن في كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة نيف وخمسين وسبعمائة أي والآن زادت القرى على هاتين القريتين والحاصل أن أول من كساها على الاطلاق تبع الحميري كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعمائة سنة * قيل وسبب كسوة ام عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج أن العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج أي وكانت من بيت مملكة * وقيل أول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان أي وهو المراد بقول ابن اسحاق أول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امراء عبد الملك * وقد سئل الامام البلقيني هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف * فأجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي ترجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فان في ذلك المناسبة للحال المنيف هذا كلامه * أي وأول من حلا بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل في ذلك الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليته الكعبة على ما تقدم * وأول من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على أساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب * وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه أرسل لعامله على مكة ستة وثلاثين ألف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى أركانها من داخل * وذكر أن الامين بن هارون الرشيد ارسل الى عامله بمكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابي الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتب من الذهب

وان

وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها أن يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل * وقال عبدالله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر وأخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الأركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبدالله بن الزبير تستلم أركانها الاربعة أي لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل أي قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لان الحجاج كان أميرا على الجيش الذي أرسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أن اهدم مازاده ابن الزبير فيها أي يهدم البناء الذي جعله على آخر الزيادة التي أدخلها في الكعبة وكانت قريش أخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح أي وأن يرفع الباب الاصلي الى ما كان عليه زمن قريش وأترك سائرها أي لانه اعتقد أن ابن الزبير فعل ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بأن عبدالله بن الزبير وضع البناء على أس قد نظر اليه العدول من أهل مكة أي وهم خمسون رجلا من وجوه الناس وأشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير في شيء فنقض الحجاج ما أدخل من الحجر وسد الباب الثاني أي الذي في ظهر الكعبة عند الركن اليماني ونقص من الباب الاول خمسة أذرع أي ورفعه الى ما كان عليه في زمن قريش فبنى تحته أربعة أذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم * وفي لفظ أن الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس فيها وأحدث فيها بابا آخر واستأذن في رد ذلك على ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربي ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فـ[ـ]ـأثرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف وبناءه على بنيان ابن الزبير الا الجانب الذي يلي الحجر فانه من بنيان الحجاج أي والبناء الذي تحت العتبة وهو أربعة أذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العماليق وجرهم وابراهيم عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل أرض الكعبة أي التي وضعها عبدالله بن الزبير أي ولعله انما وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبناء فلا ينافي ما أخبرني به بعض الثقاة أن بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي أخرجت من الكعبة زمن عبدالله بن الزبير

ويقال ان ذلك البيت الذى كان فيه تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وبناء الحجاج كان فى السنة التى قتل فيها عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وهى سنة ثلاث وسبعين * قيل ولما دخل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة أشهر وقيل سبعة أشهر وسبع عشرة ليلة على امه أسماء رضى الله تعالى عنهما قبل قتله بعشرة أيام وهى شاكية أى مريضة فقال لها كيف تجدينك يا أمه قالت ما أجدنى الا شاكية فقال لها ان فى الموت لراحة فقالت لعلك تبتغيه لى ما أحب أن أموت حتى يأتى على احد طرفيك اما قتلت واما ظفرت بعدوك فتقرت عينى * ولما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها فى المسجد فقالت له يابنى لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذى تخافه القتل فوالله لضربة بالسيف فى عز خير من ضربة سوط فى ذل * ويقال ان الناس لازالوا ينتقلون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة آلاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير وأخذا لانفسهما أمانا من الحجاج فأمنهما ودخل عبد الله على امه فشكى اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى أولاده وأهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطوننى ما شئت من الدنيا فما رأيك فقالت يابنى أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى امية وان كنت انما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك كم خلودك فى الدنيا فدنا منها وقبل رأسها وقال والله ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمته وبعد أن قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة أيام جاءت امه اسماء رضى الله تعالى عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج المنافق رأيت كيف نصر الله الحق وأظهر أن ابنك ألحد فى هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد أذاقه الله ذلك العذاب الاليم * وفى كلام سبط ابن الجوزى أن ابن الزبير لما قال لعثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ان عندى نجائب أعددتها لك فهل لك أن تعبر الى مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل فى الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا * وفى رواية قال له لا لانى سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف أوزار الناس هذا كلامه وعندي ان المراد به عبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع أن يكون الحجاج من قريش على ان الذي في الصواعق لابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى ان القائل لعثمان ذلك المغيرة بن شعبة * ولما سمعت سيدتنا أسماء رضي الله تعالى عنها الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا كان أول مولود ولد في الاسلام بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض أن يعصى الله عز وجل قال انصرفي فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار بن أبي عبيد الثقفي والى العراق فانه لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه اتفق مع طائفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين من أهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك * ثم قالت وأما المبير فأنت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسماء كتب اليه يلومه على ذلك أي ومن ثم أرسل اليها الحجاج فأبت أن تأتيه فأعاد اليها الرسول وقال اما أن تأتيني أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك أخذ نعليه ومشى حتى دخل عليها فقال يا أمه ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بأم ولكني أم المصلوب على رأس الثنية ومالي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت فقال الحجاج مبير المنافقين * ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه يأتيه الوحي ويسر ذلك لاصحابه * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت أقوم بالسيف على رأس المختار يعني المختار بن عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من على هذا الكرسي فأردت أن أضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من القول بأن المسلم يقتل بالمستأمن * وقد كتب الاحنف بن قيس وجماعة وقد بلغني انكم تسموني

الكذاب وقد كذب الانبياء من قبلي ولست بخير منهم * وقد كان يقع منه أمور تشبه الكهانة * منها انه لما جهز جيش القتال عبيد الله بن زياد المجهز الجيش لمقاتلة الحسين رضي الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه في غد يأتي اليكم خبر النفير وقتل ابن زياد فكان كما أخبر وجيء برأس ابن زياد وألقيت بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير جيء برأس المختار بين يدي مصعب لما ولي العراق من جانب أخيه لابيه عبد الله ابن الزبير * ومما يؤثر عن مصعب العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت رأسه ووضعت بين يدي عبد الملك بن مروان وعن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ومصعب بن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك وأنت على السرير فقال عبد الملك لا أراك الله الخامسة ثم أمر بهدم ذلك القصر * وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان أبا الحجاج لما دخل بأم الحجاج واقعها فنام فرأى قائلا يقول له في المنام ما أسرع ما ألقحت بالمبير * وفي كلام سبط ابن الجوزي ان أم الحجاج كانت قبل أبيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا ولا هو شيء مما ظننت ولكني استكت فأردت أن أتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فلقي يوسف بن أبي عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شيء أدعوك اليه قال وماذاك قال اني نزلت عن سيدة نساء ثقيف وهي الفارغة فتزوجها تنجب لك فتزوجها وولدت له الحجاج * و في حياة الحيوان انها كانت قبل أبي الحجاج عند أمية بن أبي الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها الامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بانها المتمنية التي مر بها سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وهي تنشد * هل من سبيل الى خمر فاشربها * الأبيات وانه كان يعير بها فيقال له ابن المتمنية و في مدة صلب عبد الله بن الزبير صارت أمه تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجسته وذهب أخوه عروة بن الزبير الى عبد الملك

ابن مروان يسأل في انزاله عن الخشبة فاجابه وأنزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من أعضائه الا جاء معنا فكنا نغسل العضو ونضعه في اكفانه وقامت فصلت عليه أمه وماتت بعده بجمعة ذكر ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بمائة يوم * قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع رأسه وبعث الحجاج برأسه ورأس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون رأس عبد الله بن صفوان الى رأس ابن الزبير كانه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان ولما وضعت رأس عبد الله ابن الزبير بين يدي عبد الملك سجد وقال والله كان أحب الناس الي واشدهم الي الفا ومودة ولكن الملك عقيم أي فان الرجل يقتل ابنه أو أخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وستأتي مدحة عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ أمير الجيش الذي أرسله يزيد لمقاتلته * وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان اني قد اقلتك بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انما اقاتل عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما آمنا ومما يدل لما تقدم من ان عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكي انه جاء اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلبون العلم وان الناس على باب أخيه عبيد الله يطلبون الطعام فأحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعى شخصا وقال له انطلق الى ابني العباس رضي الله تعالى عنهم وقل لهما يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عني والا فعلت وفعلت فخرجا الى الطائف أي وقيل ما خرج عبد الله من مكة الى الطائف الا لان الله تعالى يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم * فقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم ان الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وكان هذا سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان يدفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من أراد الفقه والجمال والسخاء فليأت دار العباس الجمال للفضل والسخاء لعبيد الله والفقه لعبد الله * قال ولما حج عبد الملك أي وذلك في سنة خمس وسبعين قال له الحارث انا اشهد لابن الزبير بالحديث الذي سمعه من خالته عائشة رضي الله تعالى

عنها قال أنت سمعته منها قال نعم فجعل ينكت بالمثناة فوق بقضيب كان في يده الارض ساعة ثم قال وددت انى كنت تركته يعنى ابن الزبير وما تحمل وفى رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهذا هو الموافق لما فى تاريخ الازرقى ان الحارث وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك ما أظن أبا خبيب يعنى ابن الزبير سمع من عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع منها فى بناء الكعبة قال الحارث انا سمعته منها قال عبد الملك أنت سمعته منها الحديث وكون عائشة حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافى ما فى تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يقول حدثتنى امى اسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث * وفى رواية ان عائشة رضى الله تعالى عنها نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلى فى البيت ركعتين فلما فتحت مكة اى وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فسألت النبى صلى الله عليه وسلم ان يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وادخلها الحجر وقال صلى ها هنا فان الحطيم أى الحجر من البيت الا ان قومك قصرت بهم النفقة أى الحلال فأخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية انقضت بناء الكعبة واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم فى البيت والصقت العتبة على الارض ولئن عشت الى قابل لافعلن ذلك ولم يعش عليه الصلاة والسلام ولم تتفرغ الخلفاء لذلك وبما ذكر يعلم ما فى قول الاصل فهدمها أى عبد الملك وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحجاج لم يبن الا الجدار الذى يليه الحجر والبناء الذى تحت العتبة والدرجة التى فى باطنها وأما التراب الذى جعل فى باطنها فيحتمل ان يكون هو التراب الذى أخرجه عبد الله بن الزبير استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم أقف على بيان ذلك فى كلام أحد والشاذروان الذى اخرجه عبد الله بن الزبير من عرض الاساس الذى بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البناء وثباته * ومن العجب ما حدث به بعضهم قال كنت اميرا على الجيش الذى بعث به يزيد بن معاوية الى عبد الله بن الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن مروان فقال لى عبد الملك أنت أمير هذا الجيش قلت نعم

قال

قال نسكلتك أمك أتدري الى من تسير تسير الى أول مولود ولد في الاسلام أي بالمدينة من أولاد المهاجرين والى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين يعني أسماء والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته ليلا وجدته قائما فلو أن أهل الارض اطبقوا على قتله لأكبهم الله في النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه * وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما رأى جيش يزيد متوجها الى مكة قال اعوذ بالله ايبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا واسلم وكان يقرأ الكتب وقال له جيشك اليه أعظم ويقال ان هذا اليهودي مر على دار مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار أي لأن مروان كان سببا لقتل عثمان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله ابن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة * وسبب ولاية الحجاج على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رأيت في منامي اني أخذت عبد الله ابن الزبير فسلخته فولني قتاله فولاه فأرسله في جيش كثيف من أهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به رعدت السماء وابرقت فخاف أهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا فخاف أهل الشام زيادة * قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمي بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالفحم أي وفيه انه لو كانت هدمت أو حرقت لاعيد بناؤها أو اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذي وقع من جيش يزيد واقع من الحجاج * فان قيل هل لا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك ابرهة قلنا لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة كما تقدم وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا * وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير أي وأمره بان يخرج الى الطائف وتهدده على ما تقدم قلت أبوه الزبير وأمه اسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية * وفي رواية عنه انه قال أما أبوه فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النطاقين يريد اسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة وأما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته

بريد صفية ثم عفيف فى الاسلام وقارئ للقرآن ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال فى خطبته الا ان ابن الزبير كان من أخيار هذه الامة الا انه نازع الحق أهله ان الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم * ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما روى ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أمه أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه * وفى حياة الحيوان العرب اذا أرادوا مدح الانسان قالوا كبش واذا أرادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام فرأى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال أيها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رأيته قال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الآن اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج أنا فلان اصرع من الجنون فى كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفا الله الابعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه أمر لم ينقل مثله عن أحد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان اكبر لذاته سفك الدماء قال بعضهم والاصل فى ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس فى صورة الحارث ابن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا اسود وألعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدى أمه * وذكر انه أتى اليه بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهى لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وأنت معرضة فقالت انى استحى ان انظر الى من لا ينظر الله اليه فأمر بها فقتلت وقد احصى الذى قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا * ولما عزى سيدتنا اسماء عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وأمرها بالصبر قالت وما يمنعنى من الصبر وقد اهدى رأس يحيى بن زكرياء الى بغى من بغايا بنى اسرائيل * وقد جاء ان هذه البغى أول من يدخل النار * ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه

يوم قتل يا أمه انى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلى لامر الله فان ابنك لم يعتمد لاتيان منكر ولا عمل فاحشة وفى كون عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما تأخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر * وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فأمر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك فى الطواف فمرض من ذلك اياما ومات * ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عن فعل به ذلك وقال له قتلنى الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل له قال ولم قال لانك الذى أمرته وقول عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول أبيه عمر رضى الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان أهل العراق حصبوا أميرهم أى رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى فى صلاته فلما سلم قال اللهم انهم لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل ان يولد الحجاج * ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر * ويوافقه ما فى الدلائل للبيهقى ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك أبا خبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا أما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم * ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب مما يستغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بنى العباس كان عارفا بألسن كثيرة حتى قيل انه يعرف أربعين لغة ويمارى فيها * وقد قال الحجاج لعروة ابن الزبير يوما فى كلام جرى بينهما لا ام لك فقال الى تقول هذا وانا ابن عجائز الجنة يعنى جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وأمه اسماء وقال الحجاج يوما لشخص ما تقول فى عبد الملك ابن مروان فقال الرجل ما أقول فى رجل أنت سيئة من سيئاته * وقد اطلق سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة من سجن الحجاج سبعين ألفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل * وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدوا العورات * فكان كل عشرة فى سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا

فقيل لما أهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة * وآخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه ولم يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا * وقال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل امة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم * وقال سليمان ابن عبد الملك لرجل من اخصاء الحجاج بعد موت الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك عبد الملك وبين أخيك هشام بن عبد الملك فضعه من النار حيث شئت * ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغسله استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى بيده الى عينيه الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بأمعائهما ثم عاد ميتا كما كان والحجاج متأصل في الظلم فقد رأيت بعضهم حكى انه يقال في المثل اظلم من ابن اسكندر وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا * واستعلى الحجاج رجلا في أمر فقال ألا والذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم فقال والله اني يومئذ لذليل * وأول من ضرب الدراهم في الاسلام الحجاج أمر عبد الملك بن مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله الصمد أي على أحد وجهي الدرهم قل هو الله احد وعلى وجهه الثاني الله الصمد ولم توجد الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية * وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ضرب دراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة أربع وعشرين وستمائة * ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سأل هل بالمدينة أحد ادرك احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أبو حازم فأرسل اليه فلما دخل عليه سأله فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من عمران الى خراب فقال وكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعري مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال في أي مكان احده فقال في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فأي عباد الله اكرم قال أولوا المروءة * وجاء اعرابي الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال يا أمير المؤمنين اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي فقال

الاعرابي انى اطلق لسانى بما خرست عنه الالسن تأدية لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد اساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يبالوا بالامانة وانت مسئول عما اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أنت ما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو سيفك قال اجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك * ولما حج بالناس قال لولد عمه وولى عهده عمر بن عبد العزيز الا ترى هذا الخلق الذين لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله استعين * وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان رحمه الله حتى اخضلت دموعه لحيته * وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعنه رضى الله تعالى عنه انه قال ان من ولدى رجلا بوجهه شين وفى رواية علامة يملأ الارض عدلا فكان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الارض عدلا وفى رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه * ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى انه لما ولى الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذى ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء اعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور وتضحك باكيا وتبكى ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا * وقال فى خطبة من خطبه أيضا أيها الناس أين الوليد وأبو الوليد وجد الوليد اجمعهم امد الحى واسترد العوارى واضمحل ما كان كأن لم يكن ذهبت عنهم نابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بلين الوطى خشن التراب فهم رهناء فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا * ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور واراد ان يبنى الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس فى ذلك فقال له الامام مالك ابن أنس انشدك الله أى بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أى اسألك بالله

يا أمير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه * قال وذكر الطبري في مناسكه ان الذي أراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى * أقول وكون الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لستة أيام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة * وقد يقال يجوز ان يكون دخل المدينة قبل سيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام مالك ما تقدم وان الرشيد أيضا أراد ذلك واستشار الامام مالك فأشار عليه بما ذكر ثم رأيت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالك في ردها أي الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني أخشى ان تتخذها الملوك لعبة * ورأيت في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها * ثم رأيت في تاريخ ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة أربع حجات غير الحجة التي مات فيها وكذا في القرى لقاصد أم القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وانه احرم في بعض حججه من بغداد * وقد ذكر الشيخ الصفوري ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل جماعة امامه وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام رأسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببئر ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول خيله وركبه فليتأمل * ثم رأيت في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفي ولعل هذا الاختلاف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل القريب منها وان مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل وآخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقائك * ومما يؤثر عنه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو

دونه والله أعلم * وتقدم أن قصيا لما أمر قريشا أن تبني حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه * فلما ولي عمر رضي الله تعالى عنه رأى أن يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه أبوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك ابن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدى أولا وثانيا حتى صارت الكعبة فى وسط المسجد * وفى أيام المعتضد أدخلت دار الندوة فى المسجد وتسمى مكة فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها أولان الله سلط فيها النمل على العماليق لما أظهروا فيها الظلم حتى أخرجهم من الحرم كما تقدم ولها أسماء كثيرة قد أفردها صاحب القاموس بمؤلف * أقول وسيأتى عن الامام النووى انه ليس فى البلاد أكثر أسماء من مكة والمدينة والله أعلم * قال وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه خلقت الكعبة أى موضعها قبل الارض بألفى سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما أراد الله تعالى أن يخلق الارض دحاها منها فجعلها فى وسط الارض انتهى * وسئل الجلال السيوطى رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام هل كانت أيام ثم موجودة قبل خلق السموات والارض * فأجاب بأن خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدهما على الآخر واستند فى ذلك للمأثور والتفسير وفى الحديث ان الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه أظهر حرمتها

(باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها كما فى ابن اسحاق)

وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الاحبار من يهود

والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين فيما يسترق به من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء قبل وجوده * فأما أخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر أي عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به وليود أي الشخص ان له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومتى نراه فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفد أي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أي ذلك اليهودي بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به * ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عنبسة السلمي رضي الله تعالى عنه قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية أي ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيما أي وهي قرية بين المدينة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره أي يستعين بها ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا قال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بأفضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة أي فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شيء أنت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادة الله

وحده

وحده لا شريك له و بحقن الدماء و بكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو انصرف فقال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة فسرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من احبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل (ه) فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآيات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا اظن أحدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا اصلية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك و باسكان الميم الشجر الملتف والخمير الى أرض البؤس والجوع قلنا أنت أعلم قال فانما قدمت هذه الارض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه أي اقبل وقرب كأنه لقربه اظلهم أي القى عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هذل

بفتح الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها اخوة بنى قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية ويقال اسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بنى قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم واهليهم كما سيأتى قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال خرجت فى تجارة الى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة ابن أبى سفيان ان محمدا قائم فى أبطح مكة يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله ففشى ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى ان فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت أن أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود * قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك أن تؤمن به قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل فى كداء أى بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فى الا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع على كداء * قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اى والله انى لاذكرها انتهى أى * ومن ذلك ما جاء عن امية بن أبى الصلت الثقفى قال لابى سفيان انى لاجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت اظن أنى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى انه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة ابن ربيعة الا انه قد جاء وراء الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره * قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال قلت لامية فقال امية أما انه حق فاتبعه فقلت له فأنت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت أخبرهن أنى هو ثم اصير تبعا لفتى من بنى عبد مناف وسيأتى ذلك باسط مما هنا * وأما أحبار الرهبان من النصارى فنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم أحد من اهل الحرم فقلت نعم أنا فقال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه أى الذى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر بذلك فخرج أبو بكر حتى دخل

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين انتهى * أقول يحتمل أن هذا الراهب هو بحيرا و يحتمل أن يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصرى كما تقدم في سفره و يحتمل أن يكون غيرهما وهو أولى لما تقدم أن كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله أعلم أى ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت في حجر عمى ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فأول شيء سأل عنه أن قال ما فعل محمد قال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان واعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم وضع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية أى اشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكاء لم ينزل الى الارض بعد سنة أى من صومعته نزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هناك خرج يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ في صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لى اقراء عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية أى والحديبية سيأتى انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب أى * ومنها ما حدث به حكيم بن حزام بالزاى رضى الله تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى فقال حكيم فقلت يجمعنى واياه الاب الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابها ففتحها و يكشف عن صور الانبياء و يقول أما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ أكثر من ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عبده فاشرب ما يغسل من قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وانه رأى صورة أبى بكر أخذة بعقب تلك الصورة واذا صورة

عمر آخذة بعقب صورة أبي بكر فقال من هذا الذي أخذ بعقبه قلنا نعم هو عمر بن أبي قحافة قال فهل تعرف الذي أخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا هو الخليفة من بعد هذا

* ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد الياء أي وفي لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبي فمن أصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير أهل قريته أي وفي لفظ كنت من أبناء اساورة فارس وكنت أحب خلق الله تعالى الى أبي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وروى بفتحها بمعنى قاطن أي خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبا أي تطفأ ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني ان احتبست عني كنت أهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أي بني أين كنت ألم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بالناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير من دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني أي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة أخبروني بهم فأخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفا وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون

معك فأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك قال أدخل فدخلت معه وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه أشياء منها اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعطى المساكين منها شيأ فقالوا الى وما أعلمك بذلك قلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا * وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارات أى ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر ولا يأكل شيأ من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على ان الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله تعالى منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة هذا كلامه * قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرضى وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عاتقه نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا عندنا وعند نبيكم هذا كلامه * وعند ذلك جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه أفضل منه أى لا أظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه فأحببته حبا شديدا لم أحبه شيأ قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى قال أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا أوصى الى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله مالبث أن نزل به الموت فلما احتضر أى حضرته الملائكة بقبض روحه قلت له يافلان أن فلانا أوصى بي الى فلان ثم أن فلانا أوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني قال يابني والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيب أى دفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم أوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني قال أى بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أى أقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب * أقول وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى أربعة * وفى كلام السهيلى أنهم ثلاثون وفى النور انهم بضعة عشر وأن هذا أظهر والله أعلم * قال سلمان ثم مربي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمى هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها أى أعطيتهم اياها وحملونى معهم حتى اذا بلغوابى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن تكون البلدة التى وصف لى صاحبي ولم يحق عندى أى لم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ماهو الا أن رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق أى نخل لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة أى وهما الاوس والخزرج لان قيلة امهما * فقد جاء أن الله أمدنى بأشد العرب ألسنا وأذرعا بابنى قيلة الاوس والخزرج والله انهم الآن لمجتمعون بقباء بالمد والقصر ورد بما قيل قباة بتاء التأنيث

والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها أخذتني العروا وهي الحمى النافض أي الرعدة والبرحاء الحمى الصالب حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شيء انما اردت ان اثبته فيما قال وقد كان عندي شيء جمعته أي وهو محتمل لان يكون تمرا أولان يكون رطبا فلما امسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له اني قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذووا حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة أي ومن ثم لما أخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة رواه مسلم * وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال اني لانقلب الى أهلي فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لا كلها ثم اخشى ان تكون صدقة فالقيها ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة لا كلتها وقال ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي أوساخ الناس وفي رواية ان هذه الصدقات انما هي أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على آله * وقال الثوري لا تحل الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك جاء الحديث * قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ هو أيضا محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت اني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان أي ومن ثم روى مسلم كان اذا أتى بطعام سأل عنه فان قيل هدية أكل منها وان قيل صدقة لم يأكل منها * قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه أي وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قيل وهو أول من دفن به * وقيل أول من دفن به أسعد بن زرارة * وقيل أول من دفن به عثمان بن مظعون وجمع بان أول من دفن به من المهاجرين عثمان أي وقد مات في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وأول من دفن به من الانصار كلثوم

أو اسعد * أى و فى الموفيات لابن ز برمات كلثوم ثم من بعده أبو امامة اسعد بن زرارة فى شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هـ ذا كلامه ولم يذكر الوقت الذى مات فيه كلثوم * وفى النور عن الطبرى انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة (ه) وأول من مات به من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت أوصى ان يدفن و يستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو وأصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم ان أول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر أن هذه أول صلاة صليت على القبر قال سلمان وكان عليه الصلاة والسلام عليه شملتان وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه أقبله وابكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى * قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك أصحابه أى و فى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم عن كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أى الذى ترجمه له جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها من قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا اتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه و يفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه فى المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه أولا وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذلك لقلته سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرته لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية * قال وقد اختلفت الروايات

عن

عن سلمان فى الشئ الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أولا وثانيا فالرواية المتقدمة الاولى ظاهرها يقتضى انه تمر انتهى أى وفيه من اين ان ظاهرها ذلك بل هى محتملة * وقد جاء التصريح بكونه تمرا فى الاولى والثانية ففى بعض الروايات فسألت سيدى ان يهب لى يوما ففعل فعملت فى ذلك اليوم على صاع أوصاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدى ان يهب لى يوما آخر فعملت فيه على ذلك أى على صاع أوصاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه أى والذى فى كلام السهيلى قال سلمان كنت عبد الامرأة فسألت سيدتى ان تهب لى يوما الحديث * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عنى بسيدته زوجة سيده لانه يقال لها سيدة فى المتعارف بين الناس أوان المرأة هى التى اشترته ويؤيده ماياتى وزوج تلك المرأة يقال له فى المتعارف بين الناس سيد * قال وقيل ان الذى جاء به أولا وثانيا رطب وفى رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم * وفى رواية جئت بمائدة عليها رطب وفى رواية عليها رطب وجمع بانه أولا قدم الخبز واللحم الذى هو الرطب والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم * وفى مسند الامام أحمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متعدد انتهى * أقول تقديم الرطب فى المرة الثانية يخالفه ماتقدم انه فى المرة الثانية كان تمرا والله أعلم * ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد فكان أول مشاهده الخندق كما سيأتى وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصائه صلى الله عليه وسلم * قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أى ودية على وزن فعيلة وهى النخلة الصغيرة التى يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر أى ومن ثم قيل للبئر الفقير أى احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة أى واتعهدها الى ان تثمر (ه) والودية والفسيلة هى النخلة الصغيرة التى جرت العادة بان تنقل من المحل الذى تنبت فيه الى محل آخر لكن فى كلام بعضهم اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهى جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفى الحديث ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها وعلى اربعين أوقية أى من ذهب كما سيأتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا أخاكم فاعانونى بالنخل الرجل بستين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل

يعينني بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية * قال وفي رواية انه كوتب على أن يغرس لهم خمسمائة فسيلة أي يحفر لها ويغرسها أي ويتعهدها الى ان تثمر وعلى أربعين أوقية * قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر أي بالفاء وفي رواية فنقر أي بالنون أي احفر لها فاذا فرغت فائتني أنا أضعها بيدي ففقرت * وفي رواية فنقرتها واعانني أصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ما مات منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة أي وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة أي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان أي تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان النبي يؤديه بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة لكله وقد اشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم أي وبقي عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا أي سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواق التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة * وقد جاء أي مما يدل على ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم واين تقع هذه مما علي فقلبها صلى الله عليه وسلم على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها * وأيضا أي مما يدل على ذلك أيضا ان المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل أكثر من أربعين أوقية من الفضة انتهى أي فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي * وقد صرح بذلك أي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفاء فقالا على أربعين أوقية من ذهب والى القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * اينعت من نخيله الاقناء
افلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء

أي وهو في قدر بيضة من بيض الدجاج أو الحمام من ذهب دين سلمان وهو أربعون أوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفى دينه منها وبقي عنده منها قدرما أعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعي قنا أي ارق بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت العراجين من نخيله التي غرسها أي غرست له أفلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم من ايذائه حين ان غشيته قوة الحمى من اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم * قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد * وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان أي كان سببا لشرائه أي مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيه سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضي الله تعالى عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها * وذكر البخاري ان سلمان رضي الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال ويجوز ان يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر انتهى * أقول وهذا الحائط الذي غرس فيه لسلمان من حوائط بني النضير وكان يقال له المنبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية كان يدعي قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما اقره على الرق وأمره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وادى عنه وكونه فعل ذلك تطمينا لخاطر ساداته بعيد فليتأمل * فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يأمر أصحابه ان يأكلوا مما جاء به صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الائمة * قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ ذلك على ان بعض أصحابنا ذهب الى صحته * وفي كلام السهيلي وذكر أبو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه أو انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبته على قواعد أئمتنا لم يستدلوا على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان

من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة * وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل والله أعلم * وعن سلمان رضي الله تعالى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره بالقصة المتقدمة زاد أن صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذووا الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الاشفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به * قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها الا منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن ابن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة اخرى أي كانت مجنونة فابرأها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما على م تبكيان فقالا عليك فقال اني لم اقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني وأخبرهما ان الله أوقع شبهه على الذي صلب وأرسل الى الحواريين أي قال لامه ولتلك المرأة ابلغا الحواريين امري ان يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم أمرهم ان يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز ان ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو أي حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح هذا كلامه * ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى أحدهما محمدا والآخر موسى يمكث أربعين سنة وقيل خمسا وأربعين وقيل سبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان سنين وقيل تسع وقيل خمس أي وجمع بين كون مدة مكثه أربعين سنة أو خمسة وأربعين سنة وبين كونها سبع سنين أي وما بعد ذلك بان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة أي وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله

ويدفن

ويدفن اذا مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم * قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم أي عند قبره الشريف وقيل في بيت المقدس انتهى أي وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم في قبره ويؤيده ماورد ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر * أقول وكما يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال * فقد جاء ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد ان يقول له المهدي تقدم ياروح الله فيقول له تقدم فقد اقيمت لك * وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة أخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي * وورد ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء أن المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس * فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان أمه أم الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فائتيني به قالت فلما ولدته أتيته به فأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى والباه أي اسقاه اللباء من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له فقال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي أي الخليفة وهو أبو الرشيد بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلي بعيسى ابن مريم أي وهو المهدي الذي يأتي آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد * وفي رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد ان يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى ابن مريم وأما ماورد لا مهدي الا عيسى ابن مريم فلا ينافي ذلك لجواز ان يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام * فقد جاء لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها * وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال أما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك أي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة

النجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم وأما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد عشر نجما وقيل اثنى عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان تكون الخلفاء من بني العباس اثنى عشر * وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل ان المراد به أبو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر * وروى أبو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا ابشرك يا أبا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك * وقد افردت ترجمة المهدي المنتظر بالتأليف في مجلد حافل سميته مؤلفه القواصم عن الفتن القواصم * وقد رويت قصة سلمان رضي الله تعالى عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم * فمنه قال كان لي أخ اكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير مامرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك قال أنت غلام وأخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قال ان في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة ويزعمون أنا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقالوا جيء به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا هم ستة أو سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فصعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا الى عيسى ابن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وابرأ الاعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليهما تصيرون هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم اين كنتم فأخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فأثنوا على خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من رسله وانبيائه وما لقوا وما صنع بهم

حتى ذكر عيسى ابن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا
يخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما انا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع
ان تكون معى انى لا اخرج من كهفى هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بمفارقك فتبعته
حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد
الآخر فلما اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه
ورجعت معه ولبثت ما شاء الله ان يخرج فى كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم
ويوصيهم فخرج فى احد فقال مثل ما كان يقول ثم قال يا هؤلاء انى قد كبر سنى ورق
عظمى وقرب اجلى وانى لا عهد لى بهذا البيت يعنى بيت المقدس منذ كذا وكذا
سنة فلا بد لى من اتيانه فقلت ما انا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى أتيت الى
بيت المقدس فدخل وجعل يصلى وكان فيما يقول لى يا سلمان ان الله سوف يبعث
رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل
الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ
كبير لا احسبنى ادركه فان ادركته أنت فصدقه واتبعه فقلت وان أمرنى بترك
دينك وما أنت عليه قال وان أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له
ناولنى يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كأنما انشط من عقال فقال لى المقعد
يا غلام احمل على ثيابى حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت
فى أثره اطلبه كلما سألت عنه قالوا امامك حتى لقينى ركب من كلب فسألتهم
فلما سمعوا لغتى اناخ رجل بعيره وحملنى عليه فجعلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم
فباعونى فاشترتنى امرأة من الانصار فجعلتنى فى حائط لها أى بستان وقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيأ من تمر حائطى ثم أتيته فوجدت
عنده ناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يأكل هو
ثم لبثت ما شاء الله ثم أخذت مثل ذلك ثم أتيته فوجدت عنده ناسا فوضعته بين
يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال بسم الله وأكل وأكل القوم فقلت فى نفسى
هذه من آياته ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما * وفى
الدر المنثور أن امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بينا هو يوما يرعى اذ أتاه
صاحب له فقال له اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبى فقال له
سلمان اقم فى الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة
فشواها وببعضه خبزا ثم أتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لى
بها فاخرجها فأكلها أصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فأتى به

النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعدوا كلا جميعا منها فدرت خلفه ففطن بي فارخى ثوبه فاذا الخاتم في ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتأمل ولينظر كيف الجمع * ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها * قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وأنت أمير وهو يجرى عليك رزق فقال انى أحب ان آكل من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعى المجذومين فأكلوا معه وأول مشاهده الخندق كما تقدم قبل وشهد بدرا وأحدا قبل ان يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه والله أعلم * وأما أخبار الكهان لا عن السنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم و في أيام رضاعه * قال ومنها أيضا خبر عمرو بن معدى كرب رضى الله تعالى عنه قال والله لقد علمت ان محمدا رسول الله قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامراج لعله من اجيج النار وهو التهابها ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه قال نتاجه ظهور نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا واين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل أمر قباحة لوامين هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى * ومنها خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من انكر وأول من اتكى على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وقيل ان أول من تكلم بان البينة على المدعى واليمين على من انكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذاك فصل الخطاب * ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف القس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول أيها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور واقسم

قس قسما ما تما الاركان فى الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم أبكم يروى شعره * فانشدوه عليه الصلاة والسلام

فى الذاهبين الاولين من * القــرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تسعى الاصاغر والا كابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لا محالة * حيث صار القوم صائر

و فى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا فى قومه وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بنى بكر بن وائل فجردهم أى أخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا جارود هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وأنا بين يدى القوم كنت اقفو أى اتبع اثره كان من اسباط العرب أى من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة أى وقيل ستمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله أى تعبد من العرب أى ترك عبادة الاصنام وأول من قال أما بعد أى وقيل أول من قال ذلك كعب بن لؤى كما تقدم وقيل سحبان بن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته أى وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذى أوتيه هو فصل الخصومة أى وهذا يؤيد ما تقدم عنه انه أول من قال البينة على المدعى واليمين على من انكر وتقدم مافيه وجمع بان الاولية بالنسبة له اوحقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لؤى بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس أول من كتب من فلان الى فلان * قال الجارود كانى انظر اليه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشأ يقول

هاج القلب من جواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليـــل تراها فى كل يوم تدار

والذي قد ذكرت دل على الله نفوس لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست انساه بسوق عكاظ أي وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس غيلان كما تقدم على جمل أورق أي يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما أظن أني احفظه * وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه الآن فقال أبو بكر يا رسول الله فاني احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وأمهات واحياء واموات جمع اشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج أي مظلم وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حنثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه * ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخاليه والقرون الماضيه يا معشر اياد أين قيلة من اليمن أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد أي زين وطول وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم آجالا وابعد منكم آمالا طحنهم التراب بكلكله أي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم باليه وبيوتهم خاويه عمرتها الذئاب العاويه كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود * ثم انشأ يقول الابيات المتقدمة أي وفي رواية لما قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك يا رسول الله قال لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدني احفظه الآن فقام امرء أعرابي من اقاصي القوم فقال أنا أحفظه يا رسول الله فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يا معشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شيء آت آت ليل داج وسماء ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وأنهار مجرية الحديث * وفي رواية أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلمحة عين * قال وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو

بمكة

مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفد ان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت أني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة * قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة * وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزى في موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل انتهى * أقول ذكر في النور أن في قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ صلى الله عليه وسلم كلامه وكان قس على جمل أحمر والثانية التي لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل أورق قال لكن لا أدرى أي المرتين كانت أولا هذا كلامه * وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسي كلام قس بعد الاخبار به أولا ويدل لذلك قوله لا أظن أني أحفظه الا آن أوقبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متأخرا عن خبر أبي بكر فلا دلالة في ذلك على التعدد ووصف الجمل بأنه أحمر ووصفه بأنه أورق لا يدل على التعدد لانه يجوز أن يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فأخبر عنه مرة بأنه أحمر ومرة بأنه أورق وهذا السياق يدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود * وقد جاء رحم الله قسا انه كان على دين أبي اسماعيل بن ابراهيم والله أعلم * ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع رأسه الى السماء طويلا * ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل * وأما أخبار الكهان على ألسنة الجان فكثيرة أيضا منها خبر سواد بن قارب رضى الله تعالى عنه وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم * فعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه أى تابعه من الجن الذى يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم أى بعد أن قال عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر أى منبر النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أفيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك

كان في زمن المجيء للزيارة من الآفاق قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا أمير المؤمنين ما سواد بن قارب قال أن سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا * قال البراء فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فأرسل اليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أي من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك أي * وفي رواية أن عمر رضي الله تعالى عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام * أقول وفيه أن المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لا قبلها بدليل قوله ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت وجواب سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه فهم أن غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه * وفي كلام السهيلي أن عمر رضي الله تعالى عنه مازح سوادا رضي الله تعالى عنه فقال له ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد رضي الله تعالى عنه قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بأمر قد تبت منه فقال عمر رضي الله تعالى عنه اللهم غفرا فلينتأمل والله أعلم ثم قال لسواد أخبرني ما نبأ رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتاني رئيي فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا * فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مومن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

تجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * وارم بعينيك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم أتيت المدينة وفي رواية حتى أتيت مكة وهي كما قال البيهقي أقرب الى الصحة من الاولى أي لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يا رسول الله فقال هات فأنشأت أي ابتدأت أقول أتاني نجيي بعد هدء ورقدة وفي لفظ

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يكن فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لوي بن غالب

فشمرت من ذيل الازار * وفي لفظ عن ساقي الازار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فاشهد ان الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

وفي رواية وكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

قال ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى الفرح في وجوههم أي وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد فرأيت عمر رضي الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن أي وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر لم يكن

حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما مات صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يا معشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضربه ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به أمس ولا ينبغي لاهل البلاء الا أن يكونوا اذكر من أهل العافية للعافية ولست أدرى لعله يكون للناس جوله فان يكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة أي * ومن ذلك أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما ما سمع من جوف الاصنام فكثير أيضا فنها أي غير ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداس الوفاة قال للعباس ولده أي بني أعبد ضمار فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس ألم تر ان السماء قد تعب احراسها وان الحرب قد خرقت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد

أن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف

اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت أنا وقومي * ومن ذلك
خبر مازن بن الغضوبة قال كنت اسدن أي اخدم صنما بقرية بعمان أي بالتخفيف
تدعي سمائل وسمائل يقال له بادر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا ذات يوم عنده
عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول
يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر * بدين الله الكبر
فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا
لعجب ثم عترت بعد أيام عتيرة أي ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم
يقول أقبل الي أقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
فآمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت ان هذا
لعجب وانه لخير يراد بي * أقول ورأيت في بعض السير تقديم هذه الابيات على
ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع
الى آخره والله أعلم * قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز قلنا
ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت
هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي ورأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام وأسلمت وقلت

كسرت بادر جذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيأ على بالي
يا راكبا بلغن عمرا واخوتها * اني لما قال ربي بادر قالي

عني بعمرو واخوتها بني خطامة وهي بطن من طي وهذه الابيات ساقطة في أسد
الغابة * قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب أي مغرم به وبشرب الخمر
وبالهلوك أي الفاجرة من النساء التي تتمايل وتتثنى عند جماعها وقيل الساقطة على
الرجال أي لشدة شبقها والحت أي دامت علينا سنون أي اعوام القحط والجدب
فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني
ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله
بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أي الزنا عفة
الفرج وآته بالحيا أي المطر وهب له ولدا * قال مازن فاذهب الله عني ما كنت
أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصبت عمان يعني قريته وما حولها
من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولده وأنشأت أقول

اليك رسول الله حنت مطيتي * تجوب الفيافي من عمان الى العرج

تشفع لى ياخير من وطئ الحصا * فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج

أى بالفوز والظفر بالمطلوب

الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رائى ولا شرجهم شرجى

أى بالشين والجيم أى لا شكلهم شكلى ولا طريقهم طريقى

وكنت أمرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم بالنهجى

أى بالبلاء فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى

فاصبحت همى فى الجهاد ونيتى * فلله ما صومى ولله ماحجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى ابنونى أى عنفونى ولامونى وشتمونى وامروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسى وتنحيت عنهم واتيت مسجدا اتعبد فيه وكان لا يأتى هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعى ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفى ثم ان القوم ندموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث * وأما ما سمع من اجواف الذبائح فمنه ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله أى والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم أحمر ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح أى كشف عنه جلده وأما ما سمع من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل أى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقد فى الليل الاحم أى بالحاء المهملة الاسود

قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

أى الظلمات والامور المشكلة فادرت طرفى فما رأيت شخصا فأنشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم

بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا أنا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور * وبطل الزور * وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور أى السرور صاحب النجيب الاحمر أى الكريم من الابل

والتاج

والتاج والمغفر والوجه الازهر أى الابيض المشرب بالحمرة والحاجب أى الجبين الاقمر أى الابيض والطرف الاحور أى شديد سواده صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر أى العجم والعرب ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبث

أرسل فينا أحمدا خير نبى قد بعث * صلى عليه الله ماحج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

أى اظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة فى صورة الغناء الذى تألفه النفس ولا تصبر منها عند سماعه فتسمع لغيره حتى اطرب الانس ذاك الغناء الذى سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق بشينين معجمتين وقافين أى يهدر الى النوق فلكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة أى تعب فنزل فى روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث أى قبرى * عليهم من بقايا بزهم خرق

أى والبز الثياب

دعهم فان لهم يوما يصاح به * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا

أى خافوا حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا

منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

والمنهج من الثياب الذى أخذ فى البلاء قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خراره أى لمائها خرير أى صوت فى الارض خواره أى ضعيفة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال ارجع ثكلتك امك أى فقدتك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا أخوين كانا لى يعبدان الله عز وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ أى اسم أحدهما شمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله امة وحده أى واحدا يقوم مقام

جماعة كما تقدم * وقد أشار الى ذلك الاصل بقوله

وعنه أخبر قس قومه فلقد * حلى مسامعهم من ذكره شنفا

ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناد له قال كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينا الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ومسندو الحكم الى الاصنام

أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام

ذاك نبي سيد الانام * من هاشم في ذروة السنام

مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهد الكفر بالاسلام

أكرمه الرحمن من امام * قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجاءهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أي جاءهم ذلك بغتة فما أسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامهم ورأوا عبرا عند أصنامهم * وأما خبر زمل بن عمرو العذري قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخاء المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه أي خادمه رجلا يقال له طارق قال في النور لا أعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون أي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول

يا بني هند بن حرام * ظهر الحق وأودى خمام

أي هلك ورفع الشرك الاسلام * قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا أي أفزعنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق * بعث النبي الصادق * بوحي ناطق * صدع صادع * بأرض تهامة * لناصريه السلامة * ولخاذليه الندامة * هذا الوداع مني الى يوم القيامة * فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع * قال زمل فابتعت أي اشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها النص هو الغاية في السير

أكلفها حزنا وقوزا من الرمل

والحزن

والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاى التل الصغير

لا نصر خير الناس نصرا موزرا أى قويا واعقد حبلا من حبالك فى حبلى

والحبل العهد والميثاق

واشهد أن الله لاشئ غيره * ادين له أى اخضع واطيع ما أثقلت قدمى نعلى

* ومن هذا النوع خبر تميم الدارى أى ويكنى أبا رقية اسم ابنة لم يولد له غيرها

* روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم الدارى وذكر القصة * قال بعضهم وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ماذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقالت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى ابن مريم كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قال نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك * وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال كان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته * قال تميم الدارى رضى الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتى فأدركنى الليل فقلت أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا أراه عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله فقلت أيم تقوله وأيم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيهما أى أى شئ تقول فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون أى وهو مقبرة مكة التى يقال لها المعلاة كما تقدم وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك نجده يخرج من الحرم أى مكة ومهاجره الحرم أى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه * قال تميم فطلبت الشخوص أى الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت * أقول وهذا يدل ظاهرا على أن تميم الدارى أسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه بل رأيت فى تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به * ورأيت بعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميم الدارى انما أسلم سنة تسع من الهجرة والله أعلم * قال ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه أن رجلا من بنى تميم حدث عن بدء

اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذغلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها وعت وتعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ارشيأ فقلت هذا حلم ثم عدت فتعوذت فرأيت مثل ذلك واذا ناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في مناي بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى وأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي فقلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له منه شيأ ودعاني الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت في طلب ابل لي وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفي سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن في سفال * الا النبي وصالح الاعمال
فقلت له يا أيها القائل ما تقول * ارشد عندك أم تضليل
فقال هذا رسول الله ذو الخيرات * جاء بيس وحا ميمات
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن في الاسلام منكرات

فقلت أما لو كان لي من يؤدي أبلي هذه الى أهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني أنيخ راحلتي اذ خرج الى أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال ما فعل

الرجل

الرجل وفي لفظ ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك أما انه قد أداها سالمة * وقد قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال أي يستعيذون برجال من الجن أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أي زادوا الجن أي سادا تهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن * أي ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى أبا هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فما لقيني أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وأدناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فأجلسني عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامني بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فمن الله على ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم من العقيق فبينما أنا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه * واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجي من نحيت صخر * ليس بذي نفع ولا ذي ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمري

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني فقال أرحل الى يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي * محمد النبي خير الرسل * ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث * وفيه انه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله * وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه . ا بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي د. الذ... الشاة فأقعى

الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعي أعجب من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق وفي لفظ يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فأتى المدينة فغدا الرسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي أن من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه أى طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل أهله أى وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي أخبرهم فأخبرهم وفي رواية أن راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية أن الذئب قال له أنت أعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرا وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها * وفيه أن هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه * قال في النور هذا الراعي لا أعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم في تعليقي على البخارى * أقول ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثلاثة رافع ابن عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان بن أوس * وأما ما سمع من بعض الاشجار فقد روى عن أبي بكر رضى الله تعالى عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى على غصن من اغصانها حتى صار على رأسي فجعلت انظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن أنت من اسعد الناس به والله أعلم * وأما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحاق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى

لنبيه

لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ عجبوا وأنا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها (ه) فوجدناها ملئت حرساشديدا أي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي ارصد له ليرمى به أي ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته يتبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله بل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة تنزيله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم فلئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمرا تته صلى الله عليه وسلم تم فقضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم (ه) وقد حدث بعضهم قال ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية وكان ادهى العرب وانكره ارايا أي ادهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر أي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم أي النجوم المشهورة (ه) التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لأمر أراد الله بهذا الخلق أي * والانواء بالنون والهمزة هنا ما يحصل عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية * وفي لفظ فأمر أراد الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم * لانا نقول المراد رجمت الآن بما كثر مما كان قبل ذلك أو صارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل ابن عمرو وهو بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا أرقيقهم وسيبوا نعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف أي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء فهي عند فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا

فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث * أي وقد روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل * وهذا قد يخالف ما يأتي عن ابن عمر لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب * ولا مانع من تكرر سؤال ثقيف مرة لعمرو ابن أمية ومرة لعبد ياليل ابن عمرو وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطي في معراجه واقره وسبب أي رمي النجوم ان الله تعالى لما أراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع أكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضي ان المراد ببعثه ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا أي كثرة تساقط النجوم انما كان عند بعثه ونبوته لا عند ولادته * ومنه خبر أبي لهب أو لهيب بن مالك أي من بني لهب فان بني لهب فرعوا الفزع ثقيف قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك * قال في النور لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي ترمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أي قبيل الفجر أخبركم الخبر الخير أم ضرر أولا من أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته أصابه أصابه جمع وصب بجمل

وجال

وجمال ذالهمزة بدل من الواو خامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه أي زال عنه جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلبله البلبال الغم ووده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم امسك طويلا * ثم قال يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان أي الخدام قد منع السمع عتات الجان بثاقب يكون ذا سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان و بالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان * قال فقلنا له ويلك يا خيطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك * فقال ارى لقومي ما أرى لنفسي ان يتبعوا خير نبي الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير اللبس والحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب الاعلى شرط ان يتحمس أولادهم فان قريشا من بين قبائل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن هو * فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش أي عدول عن الحق من قولهم طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش أي ليس في طبيعته وسجيته قول قبيح يكون في جيش وأي جيش من آل قحطان وآل ايش وآل قحطان هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دائرة في ولد قحطان وآل ايش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى ايهم ايش شخص من كبير الجن وقيل أراد بهم المهاجرين أي ومن المهاجرين الذين يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى أي شيء هو أي شيء عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته وروي بدل ايش ريش * فقلنا له بين لنا من أي قريش فقال والبيت ذي الدعائم يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحائم يعني بئر زمزم لان الاحائم جمع احوام والاحوام جمع احوم وهو الماء في البئر وأراد بئر زمزم أو ان الاصل الحوائم ففيه قلب مكاني الاصل فواعل فصار افاعل والحوائم هي الطير التي تحوم على الماء والمراد حمام مكة انه لمن نجل أي نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعني الحروب وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان * ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكن واغمي عليه فما افاق الا بعد ثلاثة أيام * فقال لا اله الا الله * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أي وحي وانه ليبعث

يوم القيامة أمة وحده أي مقام جماعة كما تقدم في تفسيره * قال ومن ذلك ما رواه مسلم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية أي قبل البعث
قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك ولد مولود مات مولود
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى
كان اذا قضى في خلقه امرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم
فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا
ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي
كان أي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء أي تقوله أهل كل سماء لمن
دونهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس
ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا أي وفي البخاري
اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي
الكبير فتسمعها مسترقوا السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها
الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق أي ثم يذكرونه لما تقدم من قولهم
قضى الله في خلقه كذا وكذا ولما يأتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية
صريح في انه كان يرمى بالنجوم الحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين
عيسى عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتي عن أبي
ابن كعب رضي الله تعالى عنه * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان
فقال انهم ليسوا بشيء فقالوا يا رسول الله انهم يحدثوننا احيانا بالشيء يكون
حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها
أكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها
فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة * أي وفي البخاري انه صلى الله عليه
وسلم قال ان الملائكة تتحدث في العنان أي الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع
الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيدون بها مائة كذبة * وعن أبي
ابن كعب رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى
تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا
لعبد ياليل الحديث * أقول وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم

اى

أى قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل أن يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهرى العجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث فى سالف الازمان أى فى زمن الرسل لا فى زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار تدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان فى زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحى على الرسل وأما فى الزمن الذى ليس فيه رسول اى وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع فى مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان أى لان الله تعالى ذكر فائدتين فى خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من ابعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمى بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحاق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث أى لعله بعث نبى عليكم بالارض المقدسة أى لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمى بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس يطلبه بمكة أى لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل فرجع الى أصحابه فقال بعث أحمد ومعه جبريل * وفى رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السماء ان هذا الحدث حدث فى الارض فائتونى من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث * أقول قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب أو ذهب بعد أخبارهم له بذلك للاستيقان وهذا يفيد ان الرمى بالنجوم انما كان عند مبعثه أى عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذى منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط

بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين علامة على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلا الروايتين يدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله أعلم * وقد اشار صاحب الهمزية الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب * حراسا وضاق عنها الفضاء

يطرد الجن عن مقاعد للسمـــع كما يطـرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي مالهن امحاء

أى أرسل الله زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاق عنها المفازات حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن امكنة قريبة يقعدون فيها الاجل ان يسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة كطرد الرعاء الذئاب عن الغنم اذا أرادت ان تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحي آية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحي امحاء أى ذهاب بل هي باقية الى يوم القيامة * وفيه انه لزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته وأيضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه * واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا كان وهذا السؤال الثاني هو الحامل لابي بن كعب على دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها * ومن ثم قال فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العبد ياليل * ويجاب بانه يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمي بها قبله اما للفرط كثرتها واما لان الرمي بها بعد المبعث كان من كل جانب وقيل كان من جانب واحد واما لان الرمي بها صار لا يخطىء ابدا وقبل ذلك كان يخطىء تارة ويصيب اخرى فنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أى يصير غولا يضل الناس في البراري وكان ذلك سبب فزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطىء فيعود الشيطان الى مكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه أى فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه

صلى

صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله
على تسليم رواية ابن عباس ان النجوم رمي بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ
الوحي بالرمي بالشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل
بالقرآن الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه أربعة من الملائكة حفظة
وسيأتي عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملائكة
حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحي اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا
ما يبلغه جبريل الى ذلك النبي من الغيب الذي يوحيه اليه فيبلغوه الى أوليائهم
وعن بعضهم قال سافرت عن زوجتي فخلفني عليها شيطان على صورتي وكلامي
وسائر حالاتي التي تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيأ لي وكانت
اذا قدمت من سفر تتهيأ لي كما تتهيأ العروس فقلت لها في ذلك فقالت انك لم تغب
فبينا أنا كذلك وقد ظهر لي ذلك الشيطان وقال لي أنا رجل من الجن عشقت
امرأتك وكنت آتيها في صورتك فلا تنكر ذلك فاخترا اما ان يكون لك الليل ولي النهار
أولك النهار ولي الليل فراعني ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض الليالي جاءني
وقال بت الليلة عند أهلك فقد حضرت نوبتي في استراق السمع من السماء فقلت
أنت تسترق السمع فقال نعم هل لك أن تكون معي قلت نعم فلما جاء الليل أتاني وقال
حول وجهك فحولت وجهي فاذا هو في صورة خنزير له جناحان فحملني على ظهره
فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لي استمسك بها فانك ترى امورا وأهوالا فلا
تفارقني تهلك ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهوى بي ووقع من وراء العمران فحفظت
الكلمات فلما اصبحت اتيت أهلي فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم ازل
اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك في زمن الجاهلية والا كان كذبا
لانهم اجابوا عن ارادان الغول بقدرة الجن على التطور يلزمه رفع الثقة بشيء فان
من رأى نحو ولده وزوجته احتمل انه جني فيشك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها
عن ان يقع فيها ما يؤدي الى ما يترتب عليه ريبة في الدين فليتأمل * وقد جاء
في فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله والذي نفسي بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفاء من سبعين داء
ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم وبان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض
منه النوم * وفي حكمة آل داود العافية ملك خفي وهم ساعة هرم سنة
وقال الاطباء الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان في الحزن ذهاب البصر

وفى الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم أن النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث تصيب تارة ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هى سبب الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لانه لا يظهر لكل أحد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة أوانها قبل البعث كانت ترمى من جانب دون آخر وبعد البعثة رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمى من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم أخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى اسرعوا فى أموالهم أى فى اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب أيها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من فى السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذا فى كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان أول العرب فزع للرمى بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية ولرجل آخر يقال له عبد ياليل لجواز ان يكون ما ذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد ياليل والله أعلم وظاهر القرآن والاخبار ان الذى يرمى به الشياطين المسترقين نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم أى كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشأ عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هى اجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشىء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قاله فى الكشاف ومما يؤيد ان الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أن النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة ونظير هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت أن انتثارها يكون بموت

من

من كان يحملها من الملائكة * وقيل ان هذا ثقب فى السماء وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجأوا الى الله تعالى بالدعاء * قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم، قول قد وقع نظير ذلك فى سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد مثله * ووقع فى سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم * وأما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم أى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته فى الكتب القديمة أى كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا * والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام لثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة * والزبور المنزل على داود عليه الصلاة والسلام لثنتى عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل فى ست خلت من رمضان وصحف شعيا ويقال له اشعيا * أى مزامير داود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون صحيفة وقيل ستون * وصحف ابراهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون أول ليلة من رمضان اتفاقا * وفى كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة * وذكر بعضهم ان موسى عليه الصلاة والسلام انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحائف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب * وفى كلام بعضهم اتفقوا على ان القرآن انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن أبى قلابة انزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق فى التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا أولم يعتد به * وقد اشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وهذا كما لا يخفى ابلغ من قول بعضهم

ومن قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى الله عليه وسلم وأما الزبور فلا ندرى ولا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين أى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على

العموم وتقدم ايضا التصريح بوجود اسمه في الزبور * وقد جاء ان اسمه في التوراة
أحمد محمد أهل السماء والارض كما تقدم * وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى
ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضي الله تعالى
عنه دعى ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال
في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى و رشد
ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية وفيها أيضا محمد
واسمه فيها أيضا حماطا وقيل حطايا أي يحمي الحرم من الحرام واسمه في التوراة
أيضا قدمايا أي الاول السابق واسمه فيها أيضا سند سند واسمه فيها أيضا الحيد
وقيل أحيد أي يحيد نار جهنم عن أمته واسمه فيها أيضا طاب طاب أي طيب واسمه
فيها أيضا كما في الشفاء محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك أي طيب النفس
وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة أي على
فرض ان تكون اسماء عربيا مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض
لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالريانية
محمد * أي وما جاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فأخذت
الانجيل فقرأته حتى مرت لي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى
الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها
فقلت فيها وصف النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد أي الآن * أي و في الانجيل
أيضا اسمه حمنطا أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة وهي
المدرع وفيه أيضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسيأتي ان راكب الحمار
عيسى عليه الصلاة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتي
الجواب * وفي الانجيل ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا اطلب الى ربي فيعطيكم
بارقليط والبارقليط لا يجيئكم مالم اذهب فاذا جاء ذبح العالم على الخطيئة ولا يقول
من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
والغيوب أي وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والبارقليط أو الفارقليط الحكيم والرسول * قيل والانجيل أي على
فرض ان يكون اسما عربيا مأخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمي الولد نجلا
لخروجه أو مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله اناجيله أي أصوله فسمي هذا
الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين * وقيل من
النجلة وهي سعة العين لانه انزل وسعة لهم أي لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم

ومن

ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ أي بسيء الخلق ولا غليظ أي شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق أي لا يصيح فيها * وفي الحديث اشد الناس عذابا كل جبار سخاب صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم التي غيرتها العرب واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله فتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا أي لا تفهم كأنها في غلاف * قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه فسألته فما أخطأ في حرف * أقول لكن في رواية كعب واعطي المفاتيح ليبصرن الله به اعينا عورا وليسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف * وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما * وعن بعض احبار اليهود انه قال على جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت أشتهي الوقوف عليهما فجاءه شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه ثمانية دنانير فادفعها الي وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الاجل بيومين أو ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة أي المطالبة اذهب وأوفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته أي خفته فاسلم اليهودي وذكر القصة * وفي التوراة لا يزال الملك في يهودا الى ان يجيء الذي اياه تنتظر الامم أي لا يزال أمرهم ظاهرا الى ان يجيء الذي تنتظره الامم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود بانه يوشع رد بنص التوراة في محل آخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه أنتقم منه لان قوله مثلي أي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدأ والمعاد لان يوشع لم يكن له

كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل خاصة وأيضا يوشع منهم لا من اخوانهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التى منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود * فى زبور داود سيولد لك ولد أدعى له أبا ويدعى لى ابنا واخوة بنى اسرائيل اعمامهم أولاد اسماعيل الذى هو أخو اسحاق وبنو اسرائيل منه وأيضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفى الانجيل جاء الله من طور سيناء وظهر بساعير واعلن بفاران أى عرف الله بارساله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسى كان فى طور سيناء وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذى بين مصر وايليا وانزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان فى ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسكن بقرية بأرض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمى من اتبعه وأنزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان فى فاران وهى مكة وانزل عليه القرآن بها * وفى التوراة ان اسماعيل أقام بقرية فاران وانما عبر فى جانب موسى بالمجىء لانه أول المشرعين لان كتابه الذى هو التوراة أول كتاب اشتمل على الاحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله تعالى وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى وبكتابه الذى هو الانجيل نوع ظهور عبر فى جانبه بالظهور الذى هو اقوى من المجىء ثم لما زاد الظهور بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذى هو اقوى من مجرد الظهور * وقد قيل فى تفسير قوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهى الشحوم التى حرمت على بنى اسرائيل والبحيرا والسائبة والوصيلة والحام التى حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابهم من البول والله أعلم * ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائى رضى الله تعالى عنه وكان من أحبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن اشياء ثم قلت له ان أبى كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه * قال النعمان فلما سمعت

بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما ادراك الساعة واذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليك وسلم وامتك الحمادون أى يحمدون الله فى السراء والضراء قربانهم دماؤهم أى يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم فى الجهاد وأناجيلهم فى صدورهم أى يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لى يعنى أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال أشهد انى رسول الله * أقول والنعمان هذا قتله الاسود العبسى الذى ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار أى ولم يحترق كما وقع للخليل * وقيل الذى احرقه الاسود العبسى بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قاله لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذى جعل فى امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة * وفى رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون أى أمته عدوا الا وبين ايديهم ملائكة معهم رماح * وفى التوراة فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضئون اطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم * وقد جاء اتزروا كما رأيت الملائكة أى ليلة الاسراء تأتزر أى مؤتزرة عند ربها الى أنصاف سوقها * وقد جاء عليكم بالعمائم وأرخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلاهما أى الاتزار وارخاء العذبة من خصائص هذه الامة * وقد جاء ان العمائم تيجان المسلمين وفى رواية من سيما المسلمين أى علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم * ويؤخذ من وصفهم بأنهم يوضئون اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضؤن * ويوافقه قول الحافظ ابن حجر أن الوضوء من خصائص الانبياء دون اممهم الا هذه الامة ويوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تبارك وتعالى افترضت عليهم ان يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء أى ان يكونوا طاهرين أوان هذا أى وجوب التطهر لكل صلاة كان فى صدر الاسلام ولم ينسخ الا فى فتح مكة كما سيأتى * ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة ما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة

قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوءي ووضوء الانبياء من قبلي فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء أي كما اختصت هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم * وفي كلام ابن عبد البر قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا اعرفه من وجه صحيح * وفي كلام ابن حجر والذي من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة والغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال * ولا يخفى ان الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل أئمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان جائزا لتركه في بعض الاحايين * وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه * أجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسي مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم اعاد غسل رجليه والراوي عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه * وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل * وفي رواية اصواتهم بالليل في جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أي وهو التوراة أو جنس الكتب السابقة والكتاب الآخر أي وهو القرآن * وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى يا عيسى اني باعث من بعدك نبيا أمته ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان العلم والحلم الذي قسم بين الامم

كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا يسير من ذلك مع قصر اعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه * وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء وفي الطبراني ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم وزاد عن جواب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك يقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد * وفي صحف شعياء اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين * وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفه من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه الى آخر الرواية فان فيها طولا * وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى وشعياء هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وادركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده أي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة أي وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى اليه الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم * وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم انه يركب الحمار والبعير * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا أخرى فليتأمل * ومن جملتهم ارمياء قيل وهو الخضر والله أعلم * واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل وفارق وفاروق أي يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط أو بارقليط بالفاء في الاول والموحدة في الثاني * وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية * وفي الينبوع ومن الالفاظ التي رصدوها لانفسهم يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال اني أسأل الله ان يبعث اليكم بارقليط آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء ويفسر لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة والصدق في النبوة بعده الا محمد

صلى الله عليه وسلم * وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله تعالى عنه يا عمر اتدري من أنا أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر اتدري من أنا أنا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حمياطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل بن سليمان قال وجدت مكتوبا في زبور داود اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولي * ووصف في مزامير داود بانه يقوى الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار * ففيها تقلدايها الجبار سيفك * فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار * اجيب بان الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفيها يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر أي على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيآت المقربين أي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء * وفي بعض مزامير داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم * وفي صحف شيث اخنوخ اخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص * وفي صحف ابراهيم اسمه يوذموذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم انه في صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين في تلك الصحف * وفي كتاب شعيب عبدي الذي يثبت شأنه انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي لا يضحك أي مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته في الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيته لا اعطيه احدا * وفيه أيضا مشفح بالشين المعجمة والقاف والحاء المهملة أي ذاهي يحمد الله حمدا جديدا أي مخترعا لم يسبقه اليه أحد يأتي من اقصى الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى سلطانه على كتفه وذكرا لبرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته أي وذكر ابن ظفر أن في بعض كتب الله المنزلة

انى باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة واهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل أمته خير الامم * وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف اعنى لفظ محمد مكتوبا فى الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير * من ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله * قال المراد فص خاتمه *فعن عبادة ابن الصامت رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا أى من السماء التى اليه فوضعه فى خاتمه أى وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر وما يأتى يجوز ان يكون روى بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولا يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه * و فى انس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله * ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد أمين * و فى جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد * وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لى قال وكيف عرفت محمدا وفى لفظ كما فى الوفاء وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد لما خلقتك أى وفى لفظ كما فى الشفاء قال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك * و فى الوفاء عن ميسرة قالت يارسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التى اسكنها آدم وحوى وكتب اسمى أى موصوفا بالنبوة أو بما هو اخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد أى قبل

ان يدخل الروح جسده فلما احياه الله نظر الى العرش فرأى اسمي فاخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه أى فقد وصف صلى الله عليه وسلم بالنبوة قبل وجود آدم * وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد آدم أى الخلق اكرم على الله تعالى فقال بعضهم آدم خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وقال اخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم فقال لما نفخ فى الروح لم تبلغ قدمى حتى استويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك اكرم الخلق على الله عز وجل * قيل وكان يكنى آدم بأبى محمد وبأبى البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك فى الدنيا وتقدم انه يكنى بأبى محمد فى الجنة * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضى الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار رضى الله تعالى عنه أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة اسطر الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدون والثانى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى أمن من عذابى وليتظر الرابع أى * وذكر بعضهم ان فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا فاذا نور عظيم نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هى منصرفة الى ذلك الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع فى عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا أنا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب فانها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد أزفت أى قربت وجاء أن آدم عليه الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام أى ورق قصب آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين عين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه أى * وقد قيل ان أول شئ كتب القلم فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من استسلم لقضاءى وصبر على بلاءى وشكر على نعماءى ورضى بحكمى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين * وفى رواية مكتوب

فى صدر

فى صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا ادخله الله الجنة * وفى رواية لما أمر القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتأمل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما أمر ان يكتب ما ذكر كان أول شئ كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما أمر به على ذلك كما كتب أول ما ذكر البسملة فى اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما أمر به يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما يكون فى اللوح وعلى سرادق العرش * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى أى وعلى ورق قصب آجام الجنة ومن ثم * قال السيوطى فى الخصائص الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما فى الملكوت أى من السموات والجنات وما فيهن * وفى الخصائص الصغرى له أيضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت * أقول ولا يخالف هذا أى ما تقدم عن آدم ما جاء على تقدير صحته ان آدم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال جبريل هو آخر ولدك من الانبياء لجواز ان يكون آدم عليه السلام أراد ان يستثبت هل هو محمد الذى رأى اسمه مكتوبا واخبر بانه آخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به أو غيره فليتأمل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سيأتى فى بدء الاذان ان فى سند هذا الحديث مجاهيل * وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور فى مختصره عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت أرضى ولا سمائى ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفى رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل فى مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد فى الكتاب

ولا في السنة ما يدل على ذلك فيقال له بل جاء في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجرة عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطار الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام * وعن بعض آخر قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورق وفي البلد منها شيء كثير وأهل تلك البلاد يعبدون الحجارة * ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا أحمر ذكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله أي * ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفي مزيل الخفاء الاقتصار على لا اله الا الله أي وحينئذ لا يكون شاهدا على ما ذكرنا أي * ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلاد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويخفون أثرها فترجع الى ما كانت عليه في اقرب وقت فأذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل الطيب * ومن ذلك انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بالخط البارع بلون اسود محمد * ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها القيتها في النهر احتراما لها * وعن بعض آخر قال ركبت بحر الغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها الواحدة لا اله الا الله

وفى قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها فى البحر * وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر فى فمه لوزة خضراء فالقاها فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففى يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحاطت بين السماء والبلاد فلما كان وقت الزوال ظهر فى السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال بلغنى فى قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب أى وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت أى بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب أى انه يحاسب كيف يضحك عجبا لمن ايقن بالقضاء أى ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وروى البيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ان الكنز الذى ذكره الله تعالى فى كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب أى يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى * وفى تفسير القاضى البيضاوى عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق أى ان الله رازقه كيف ينصب أى يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * أقول قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر أولا فى احد وجهى ذلك اللوح وما ذكر ثانيا فى الوجه الثانى أو ان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى حفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما * وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره * ويذكر ان بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بما ذا دعوت حتى نجاك الله فقال قلت يا من حفظ

المكثر على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح أباي كذا في العرائس والله أعلم * ومن ذلك ماجاء عن جابر رضي الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفي آدم محمد رسول الله خاتم النبيين أي * وذكر بعضهم انه شهد في بعض بلاد خراسان مولودا على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله أي * ومن ذلك ماحكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربعة وسبعين وستمائة جدي اسود غرته بيضاء على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط في غاية الحسن والبيان وماحكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من اسفل مكتوب بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركته في كتابه لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني فيها مكتوبا بالخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء يهدي به من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرر ذلك لحكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه * وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لمقام الهداية كيف وهو الجانب لمقام الضلالة والغواية * وعن الزهري قال شخصت الى هشام ابن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقراءه فلما قراه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

(باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه عن سمرة)

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن * قال جاء في بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود أي وقيل غيره وانه هو الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر أي ولعله غير الحجر الذي به اثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه وهو الذي يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به اثر الاصابع * وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أي لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى بيتا ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا انتهى والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

لم يبق

لم يبق من حجر صلب ولا شجر * الا وسلم بل هناه ماوهبا

والى ذلك يشير أيضا صاحب الهمزية بقوله

والجمادات افصحت بالذى * اخرس عنه لاحمد لفصحاء

أي والجمادات التى لا روح فيها انطقت بكلام فصيح لا تعلثم فيه أي بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به أهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم * وعن علي رضى الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله * أقول والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وماجزت بالاحجار الاوسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وأما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى الى جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله * وماذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد أنك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من أنا فقالت رسول الله فليس من المترجم له * و فى الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة واجابتهما دعوته و فى كلام السهيلي يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم و يحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلم وعلى كل هو علم من اعلام النبوة * و فى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولى ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة فى ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار فى جميع العالم * وقد ورد ان كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال فى ذلك وقال قد أخذ الله بأبصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ماعنده من العظمة لما تدكدك والله أعلم

(باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم)

قال ابن اسحاق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله

بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم أى فهم وامهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتى عن السبكى فعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الاربعين * قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة أيام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ وأ كثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه بزيادة خمس سنين * قال بعضهم والاربعون هى سن الكمال ونهاية بعث الرسل أى لا يرسلون دونها * ومن ثم قال فى الكشاف ويروى انه لم يبعث نبى الا على رأس أربعين سنة هذا كلام الكشاف وأما ما ذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة أى ومعلوم انه دعى الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى انتهى أى وعليه جرى غير واحد من المفسرين بل قال فى ينبوع الحيوة لم يبلغنى ان احدا من المفسرين ذكر فى مبلغ سنه اذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه * وفى الهدى وأما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافقه ما تقدم عن المفسرين وفى العرائس ولما تمت له يعنى عيسى عليه السلام ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوى المرضى والزمنا والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما أمر به واظهر المعجزات فاحيي ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته وعبارة الجلال المحلى فى قطعة التفسير احيي عيسى عليه الصلاة والسلام أربعة عازر صديقه وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوى قصة كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشى على الماء ومكث فى الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك أيضا قول ابن الجوزى * وأما حديث ما من نبى الا نبى بعد الاربعين موضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام نبى ورفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أى نبى وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبى وهو طفل فاشتراط الاربعين فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشىء هذا كلامه اى وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه أيضا قول القاضى البيضاوى ونبى نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل أربعين ويوافقه أيضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله

وسلامه عليه بناء على ان الحكم في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل احكم اليه عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين أو ثلاث * ولما ولى الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولى له كتابا فيمن ولى الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى ابن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة * وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة * ومما يدل على ما تقدم عن المهدى أى من انكار ان عيسى عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها أخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله وأخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني الا ذاهبا على رأس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل ان نوحا كان اطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو أول من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم * ثم رأيت الحافظ الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله وقال العماد بن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه أى ينتظرون فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي زاد في رواية لا اقولهن فخرا * أما أولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة أى من في زمنه وغيرهم ممن تقدم أو تأخر أى والشجر والحجر الى آخر ما يأتي وكان من قبلي * وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل الى قومه أى جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من أهل الارض ولما أخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا ثمانين أربعين رجلا وأربعين امرأة وفي عوارف المعارف أصحاب السفينة كانوا أربعمائة وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع أهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم

مايو عن غلبيهم بسبب عدم تبليغهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين أي في الدنيا حتى نبعث رسولا * وقد ثبت ان نوحا أول الرسل أي لمن يعبد الاصنام لان عبدة الاصنام أول ما حدثت في قومه وأرسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون أول الرسل آدم أرسله الله تعالى الى أولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه * وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حوّى في الجنة لان الله تعالى أمره ان يأمرها وينهاها في ضمن أخباره بأمره ونهيه بقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم * فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع أهل الارض في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عليه الصلاة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان آدم ومن بعده دعا الى الايمان بالله وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده * وأما قول اليهود أو بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه صادق * ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله لكل الناس أقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه أولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير أهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين أرسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني أي وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله أعلم * واشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر أي امامه وخلفه يملأ مني رعبا أي يقذف الرعب في قلوب اعدائه وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين أحد من اعدائه أي المحاربين له أكثر

من شهر * أي وجاء ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنوده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من اشراف قومه هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم ثم قالوا فبأي دين يا نبي الله يدين قال بدين الحنيفية فطوبى لمن آمن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار ألف عام * وأشار الى الثالثة بقوله واحلت لى الغنائم كلها وكان من قبلى أي من أمر بالجهاد منهم يعطونها ويحرمونها أي لانهم كانوا يجمعونها أي والمراد ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء أخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا في الوفاء * وجاء في بعض الروايات واطعمت امتك الفيء ولم احله لامة قبلها أي والمراد بالفيء ما يعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفيء وفي بعض الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجيء النار أي نار بيضاء من السماء فتأكله أي حيث لا غلول وأمرت ان اقسمه في فقراء أمتي * وفي تكملة تفسير الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلى ان ذلك لم يعهد في زمن عيسى عليه السلام ولعله لم يكن ممن أمر بالجهاد فلا يخالف ما سبق * واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلاة تمسحت أي تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلى يعظمون ذلك أي الصلاة في أي محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم أي ولم يكن أحد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا * وفي رواية جابر لم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه * وجاء في تفسير قوله تعالى واختار موسى قومه الآيات من المأثور ان الله تعالى قال لموسى أجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلى الا في كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله المفلحون أي وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وفيه انه قيل ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض يصلى حيث ادركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلى مع أمته الا في محرابه وأما عيسى فيختص بانه يصلى حيث ادركته الصلاة وسيأتي في الخصائص الكلام على ذلك * واشار الى الخامسة بقوله قيل لى سل فان كل نبي قد سأل

فاخرت مسئلتي الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهي لاخراج
من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد أي اخراج من ذكر من
النار لان شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه اكثر من ذلك قاله
القاضي عياض * أي وقد جاء في بيان من يشفع باذن الله في الشفاعة فلا يبقى
نبي ولا شهيد الا شفع * وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء
والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله عز وجل * وقد جاء ان أول شافع جبريل ثم
ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده أحد فيما يشفع فيه * وفي
الحديث أتى تحت العرش فاخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع
تشفع فأرفع رأسي فأقول يارب أمتي يارب أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال
حبة من برا وشعير من ايمان * وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى ادنى ادنى
من مثقال حبة من خردل فاخرجه أي من النار فانطلق فافعل أي اخرجه من النار
وأدخله الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه في ادخال أهل الجنة الجنة
بعد مجاوزة الصراط * في الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت
ساجدا فيأذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع
واسأل تعطه فأقول يارب شفعني في أهل الجنة ان يدخلوا الجنة فيأذن الله تعالى
لي في الشفاعة الى آخر ما تقدم * ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار
انما يكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة فما تقدم من قوله أتى تحت العرش
فاخر ساجدا الى آخره انما ذلك في الشفاعة في فصل القضاء فهذا خلط من بعض
الرواة أي خلط الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضاء بالشفاعة
بعد مجاوزة الصراط في دخول أهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة
في اخراج أهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضاء هي المشار اليها
في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة * فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب
ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف أي
وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والآخرون المعني بقوله
تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا * وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع
الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت * وقد هاجت فتنة كبيرة
ببغداد بسبب هذه الآية اعني عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة

معناه

معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضاء فدام الخصام الى ان اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم لي عند ربي ثلاث شفاعات وعدتهن وفي كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات آخر غير فصل القضاء جرى في اختصاصه ببعضها خلاف * وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووي وجماعة هي مختصة به والشفاعة في اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشرك فيها من يشاء الله * والشفاعة في اخراج من ادخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج من ادخل منهم النار وفي قلبه ازيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى آخره عام في أمته وغيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم جاء في الصحيح وأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله أي ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله * ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف أمتي وفي رواية ثلثي أمتي الجنة أي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا فاخترت الشفاعة وعلمت انها أوسع لهم لانا نقول المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا خصوص أمته وأما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم الموحدون من الامم السابقة فليتأمل مع ما سبق من شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين * والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم * والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار كأبي طالب وأبي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب * وقد اوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى أكثر من عشرين شفاعة * وفي رواية اعطيت ما لم يعطه أحد من الانبياء نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض أي وفي لفظ وبينا أنا نائم رأيتني أتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدي ولا منافاة لان يجوز انه اعطى ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت أحمد أي ومحمدا أي لان احدا من الانبياء لم يسم بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبياء كذا في الخصائص الصغرى وتقدم ان التسمية بأحمد من خصائصه

صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام انى عبد الله الآية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء الآية هو الاصل فى ذكر العلماء مناقبهم فى كتبهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمت الله شكر وتركه كفر قال قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد * صعد سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذى صير فى ليس فوقى أحد ثم نزل فقيل له فى ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر * وعن سفيان الثورى رحمه الله من لم يتحدث بنعمت الله فقد عرضها للزوال * والحق فى ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم اظهارها اولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها اولى * أى وفى الشفاء انه أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الاولون والآخرون لشفاعته لهم فحقيق ان يسمى محمدا وأحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدى ان أحمد مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول * وقد جاء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وجعلت أمتى خير الامم * قال القاضى البيضاوى وفى التسمية بالاسماء الغريبة تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه * وفى رواية لما اسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم أى بوقوفهم على أخبارهم ولا افضحهم عند الامم أى لتأخرها عنهم وعليه فالضمير فى دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم * وذكر بعضهم ان دنا فتدلى الآية عبارة عن تقربيه تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم فالضمير فى دنا الى آخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف * وفى رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق * وفى رواية نحن آخر الامم وأول من يحاسب تنفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من اثر الطهور * وفى رواية من آثار الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها هذا وفى رواية غرا من اثر السجود محجلين من آثر الوضوء * وفى رواية فضلت على الانبياء بست أى ولا مخالفة بين ذكر الخمس أولا وبين ذكر الست هنا لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى هذا على اعتبار مفهوم العدد * ثم اشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم

ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول أى ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه أيضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه ارسل الى نفسه * وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الشافعي افتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذى اريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة مالا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم * ولا يشكل ماورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم * وفي الشفاء وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول القائل بانه ارسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم أى من الملائكة اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القرآن الذى انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع منازع فيها فهي دعوى غير مسموعة * ثم رأيت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة ادلة أيضا وهي لا تثبت المدعى الذى هو ان الملائكة يكلفون بشرعه كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء واممهم على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى أخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم فنبوته ورسالته اعم واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قوله السبكي أى فجميع الانبياء واممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم * فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والذى نفسي بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني * وأخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر رضى الله عنه الى

وسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذى نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظى من الامم وأنا حظكم من النبيين * وفى النهر لابى حيان ان عبد الله بن سلام استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل فلم يأذن له ويكون جميع الانبياء واممهم من أمته صلى الله عليه وسلم فالمراد امة الدعوة لاامة الاجابة لانها مخصوصة بمن آمن به بعد البعثة على ماتقدم ويأتى وبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين * وقد ذكر فى الشفاء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شىء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى على فى القرآن بقوله عزوجل ذى قوة عند ذى العرش مكين * قال الجلال السيوطى ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين * وفى لفظ آخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلى غفر لى ماتقدم من ذنبى وماتأخر واحلت لى الغنائم وجعلت أمتى خير الامم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذى نفسى بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه * وفى رواية فما من أحد الا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج وان معى لواء الحمد انا امشى ويمشى الناس معى حتى أتى باب الجنة الحديث * أقول قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطى انه ورد الى مصر نصرانى من الفرنج وقال لى شبهة ان ازلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ورأس العلماء اذ ذاك الشيخ عزالدين بن عبد السلام فقال له النصرانى والناس يسمعون أى أفضل عندكم المتفق عليه أو المختلف فيه فقال له الشيخ عزالدين المتفق عليه فقال له النصرانى قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى واختلفنا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم ان يكون عيسى أفضل من محمد فاطرق الشيخ عزالدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب أهله ثم رفع الشيخ رأسه وقال عيسى قال لبنى اسرائيل ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذى بشر به فأقام الحجة

على

على النصراني واسلم بانه كيف اقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من عيسى اذغايته ماذكر أن محمدا رسول الله * فاجبت بانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به ومما جاء به وأخبر به انه أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وقد سئل أبو الحسن الحبال بالحاء المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى ايهما أفضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال تعالى واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من أقام بوصفه وبين من أقامه مقام نفسه والله أعلم * وفي رواية اذا كان يوم القيامة كان لي لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم * وفي لفظ ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة أي حلق بابها فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر * أي وفي رواية آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح أي بتحريك حلقة الباب أو قرعه بها لا بصوت فيقول الخازن أي وهو رضوان من أنت فاقول محمد * وفي رواية أنا محمد فيقول بك امرت لا افتح * وفي رواية ان لا افتح لاحد قبلك * زاد في رواية ولا أقوم لاحد بعدك لا فتح له فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان جبريل لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهي خصوصية عظيمة نبه عليها القطب الخضيري وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافي ما قبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن انما فتح بأمر الله فهو الفاتح الحقيقي وفي رواية أنا أول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا أي فالكلام في يوم القيامة * فلا يرد ادريس بناء على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة وفي يوم القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ما جاء أول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب الاصلي لا حلقه أو الاول من الامة والله أعلم * وفي الاوسط للطبراني باسناد حسن حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي وسيأتي ان هذا من جملة ما أوحى اليه ليلة المعراج الذي اشار اليه قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى ولعل هذا هو المراد مما جاء في المرفوع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها

أنا وأمتي وان ظاهرها من انه لا يدخلها أحد من الانبياء الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفى هاتين الروايتين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية وهى انه لا يدخل أحد من الامم السابقة ولو من صلحائها وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب فى النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لا بد من تعذيب طائفة من هذه الامة فى النار ولا بعد فى ذلك لانه تقدم ان أول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا يأتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة فى النار ودخل الجنة * وجاء انه يدخلها قبله من أمته سبعون ألفا مع كل واحد سبعون ألفا لاحساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يدخل الجنة الا ان يقال أول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون ألفا ورد انهم يدخلون من اعلى حائط فى الجنة فلا معارضة * ولا يعارض ذلك ما جاء أول من يدخل الجنة أبو بكر لان المراد أول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالى * ولا يعارض ذلك ما تقدم عن بلال رضى الله تعالى عنه انه أول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالى ولا يعارض ذلك أيضا ما جاء أول من يدخل الجنة بنتى فاطمة كما لا يخفى لان المراد أول من يدخلها من نساء هذه الامة فالاولية اضافية * وجاء لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر * وعن أنس رضى الله عنه فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع * أى فعن سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلته وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا أطهر واطيب * ومما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سيأتى * وفى الخصائص الصغرى وكان افرس العالمين فهو صلى الله عليه وسلم اجود بنى آدم على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم فى جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة * قال ابن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أخبره بالمغفرة أى لما تقدم وتأخر ولم ينقل انه أخبر أحدا من الانبياء بمثل ذلك أى ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله بل ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتأخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فى بيان ما اختص به عن الانبياء وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر أى ولا ينافى ذلك قوله تعالى فى حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد * قال ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم

أى بغفران ذنوبهم بدليل قولهم فى الموقف نفسى نفسى لا فى الى آخره * وعن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بى من يهودى أو نصرانى ثم لم يسلم دخل النار أى لانه يجب عليه ان يؤمن به أقول والذى فى مسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى أو نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من أصحاب النار أى من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود فى زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات غير مؤمن بما ارسل به كان من أصحاب النار أى ومن جملة ما ارسل به انه أرسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تأمل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوسى اولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التى هى شريعة موسى يقال لها اليهودية أخذا من قول موسى انا هدنا اليك أى رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية أخذا من قول عيسى من أنصارى الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا وكان القياس ان يقال له أنصارى وقيل النصرانى نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين فى ذلك * وجاء فى رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة أى والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته وان أمته حط عنها الخطأ والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذى اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه وسلم اسلم * وفى الخصائص الصغرى واسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة * قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع * وذكر أبو سعيد النيسابورى فى كتابه شرف المصطفى انه عد الذى اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فاذا هو ستون خصلة * أى ومن ذلك أى مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى أمته ان وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به أحد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطى رحمه الله

* باب بدء الوحى له صلى الله عليه وسلم *

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة الصالحة

لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق أى و فى لفظ كفرق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره * وفى لفظ فكان لا يرى شيأ فى المنام الا كان أى وجد فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت فى رواية البخارى فى التفسير أى ولا يخفى ان رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما فى رؤياه يوم احد * قال القاضى وغيره وانما ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالنبوة أى الرسالة فلا تحتملها القوى البشرية أى لان القوى البشرية لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له صلى الله عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا الملائكة أى على الصورة التى خلقوا عليها الا انهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وارواحنا لحسن صورهم * وعن علقمة بن قيس أول ما يؤتى به الانبياء فى المنام أى ما يكون فى المنام حتى تهدى قلوبهم ثم ينزل الوحى انتهى أى فى اليقظة لان رؤيا الانبياء وحى وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ما يطبع فى عالم الهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا * اقول وحينئذ يكون فى القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحى الثلاثة له وعد منها الرؤيا فى المنام وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون فى الرؤيا وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل * وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتداء الرؤية حصل فى شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم أوحى الله اليه فى اليقظة أى فى رمضان ذكره البيهقى وغيره * وجاء فى الحديث الرؤيا الصادقة وفى البخارى الرؤيا الحسنة أى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة * قال بعضهم معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاثة وعشرون سنة ومدة الوحى فى المنام أى التى هى الرؤيا ستة اشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله فى الهدى واقره حيث قال كانت الرؤيا ستة اشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرين سنة

فهذه

فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا اهـ ذا كلامه وحينئذ يكون المعنى ورؤيتى جزء من ستة وأربعين جزءا من نبوتى ولايخفى ان هذا الايناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذهو يقتضى ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل ولم اقف فى كلام أحد على مشاركة أحد من الانبياء له صلى الله عليه وسلم فى هاتين المدتين وحينئذ تحمل الخصوصية التى ادعاها بعضهم على هذا * ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لاخصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ماجاء فى ذلك من الالفاظ التى بلغت خمسة عشر لفظا ففى رواية انها جزء من سبعين جزءا وفى رواية من أربعة وأربعين وفى رواية انها جزء من خمسين جزءا من النبوة وفى رواية من تسعة وأربعين وفى اخرى أنها جزء من ستة وسبعين وفى اخرى من خمسة وعشرين جزءا وفى اخرى من ستة وعشرين جزءا وفى اخرى من أربعة وعشرين فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم فى الرؤيا * وذكر الحافظ ابن حجر ان أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا * فعلم ان الرؤية المذكورة جزء من مطلق النبوة أى كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب ولا ينافى انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم * ومن ثم جاء ذهبت النبوة أى لاتوجد بعدى وبقيت المبشرات أى المرائى أى التى كانت مبشرات للانبياء بالنبوة بدليل مافى رواية لم يبق بعدى من المبشرات أى مبشرات النبوة الا الرؤيا أى مجرد الرؤيا الخالية عن شىء من مبشرات النبوة بدليل مافى لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أى لنفسه أو ترى له * لايقال الرؤيا الصادقة من الكافر أو ترى له وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم * لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا * وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك * قال بعضهم وقد تطلق البشارة التى هى الخبر السار على مايشمل النذارة التى هى الخبر الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة مايقود الى الخبر لان النذارة ربما قادت الى الخير وفى الاتقان ومن المجاز تسمية الشىء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم اهـ أى وهى فى هذه الآية للتهكم * وجاء رجل أى وهو أبو قتادة الانمارى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى ارى فى المنام الرؤيا تمرضنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لاتضرك أى وحكمة

التفل أحتقارا للشيطان واستقذاره * وفي رواية اذا رأى أحدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كأن يقول اعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في اخرى وليقم فليصل أي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي رآه * وفي البخاري اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها أي ولا يخبر بها الا من يحب واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان أي لا حقيقة لها وانما هي تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار ثم ليقل اللهم اني اعوذ بك من عمل الشيطان وسيآت الاحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان * قيل في معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشيء على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه فان الحلم مأخوذ من حلم الجلد اذا فسد * والرؤيا قيل انها امثلة يدركها الرائي بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم عن أكثر القلب كانت الرؤيا اصفى وذكر الفخر الرازي ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها أي اثرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذكر الخير اكثر وهذا جرى على ما هو الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه كأن كلبا ابقع يلغ في دمه فكان أي ذلك الكلب الابقع شمرا قاتل الحسين وكان ابرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة * وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء أن يا محمد يا محمد وفي رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر * وفي رواية والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان واني لاخشى ان اكون كاهنا أي فيكون الذي يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء * وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون أي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث * وفي رواية ان خلقك لكريم أي فلا يكون للشيطان عليك سبيل * استدلت رضي الله تعالى

عنهما بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خير
لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا * ونقل الماوردى عن الشعبى ان الله قرن
اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء
بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهله هذه المدة
ليتأهب لوحيه * وفيه انه لو كان فى تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم
الا ان يقال ما تقدم انما قاله لخديجة فى أول الامر ويدل لذلك ما قيل انه صلى الله
عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع
سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر
من تلك المدة التى هى اثنان وعشرون سنة * وهذا الشيء الذى كان يعلمه له
اسرافيل لم أقف على ما هو والله أعلم * وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه
وسلم الخلوة التى يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن
اشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو ويشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن
شيء أحب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وهذا الجبل
هو الذى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو
على ظهره اهبط عنى فانى اخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب * فكان صلى الله
عليه وسلم يتحنث أى يتعبد به أى بغار حراء الليالى ذوات العدد ويروى أولات العدد
أى مع ايامها واقتصر على الليالى لانها انسب بالخلوة * قال بعضهم وابهم العدد
لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر
رمضان أو غيره * وفى كلام بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل صلى الله عليه وسلم
اقل من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث الليالى ذوات العدد محمول على القدر
الذى كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر
وكذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه
صلى الله عليه وسلم اختلى أكثر من شهر * قال السراج البلقينى فى شرح البخارى
لم يجيء فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه
وسيأتى بيان ذلك قريبا * ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالى أى وقد
فرغ زاده يرجع الى خديجة رضى الله تعالى عنها فيتزود لمثلها * أى وقيل وكانت
زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت * وفيه ان الكعك والزيت يبقى
المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه * ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر
مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع

الى أهله بتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولاسيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه * وهو يشير فيه الى ثلاثة أجوبة * الاول انه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا * الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا أي من الكعك والزيت الا انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم فربما نفد ما ادخره وانما اختار الزيت للادم لان دسومته لا يتغير منها الطبع بخلاف اللبن واللحم * ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة أي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها كارض بيت المقدس حتى فجأه الحق وهو في غار حراء أي في اليوم والشهر المتقدم ذكره * وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية أي المتألهين منهم أي وكان أول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الزبير أول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله أي يتعبد (ه) كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة وقد اشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الاعضاء

أي الف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشأن الذي هو شأن الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس وأراد بطفلا من زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس في غار حراء فلا ينافي قوله طفلا ولا ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء كانت في زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين أي لانه

كان

كان من نسك قريش في الجاهلية أي في ذلك المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين * وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصود المساكين دون غيره * وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس أي لاسيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة * وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر أي مع الانقطاع عما ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه اتم من التفكر من غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه في سفر السعادة * وقيل بغير ذلك من ذلك الغير أنه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم * وقيل بشريعة موسى غير ما نسخ منها في شرعنا * وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا * وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق * وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ما أراد من كرامته صلى الله عليه وسلم وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله أي عياله التي هي خديجة رضي الله تعالى عنها اما مع أولادها أو بدونهم حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول أي وقيل ليلة ثالثه * قال بعضهم القول بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح أي وهو قول الاكثرين * وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي

نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل
هذا كلامه أى أول يوم هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل
ذلك وسيأتى فى بعض الروايات ان جبريل عليه السلام نزل فى سحر تلك الليلة التى
هى ليلة الاثنين ويجوز ان يكون كل من تلك الليالى كانت ليلة الاثنين * فقد جاء أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لانى ولدت فيه
وبعثت فيه فلا مخالفة بين كونه نبىء فى الليل وبين كونه نبىء فى اليوم لان وقت السحر
قد يلحق بالليل * وفى كلام بعضهم أتاه صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت
وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان فى حراء
فجاءه بأمر الله تعالى وهذا القول أى ان البعث كان فى رمضان قال به جماعة منهم
الامام الصرصرى حيث قال

وأتت عليه أربعون فاشرقت * شمس النبوة منه فى رمضان

واحتجوا بان أول ما اكرمه الله تعالى بنبوته انزل عليه القرآن * واجيب بان المراد
بنزول القرآن فى رمضان نزوله جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة فى سماء الدنيا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى وأنا نائم بنمط وهو ضرب من البسط
وفى رواية جاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب أى كتابة فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ أى أنا امى لا احسن القراءة أى قراءة المكتوب أو مطلقا فغطنى فغتنى بالتاء
بدل من الطاء به أى غمنى بذلك النمط بان جعله على فمه وانفه قال حتى ظننت انه
الموت ثم ارسلنى فقال اقرأ أى من غير هذا المكتوب فقلت ماذا اقرأ وما اقول ذلك
الا افتداء منه أى تخلصا منه ان يعود لى بمثل ما صنع أى انما استفهمت عما اقرأه
ولم انف خوفا ان يعود لى بمثل ما صنع عند النفى * أى وفى رواية فقلت والله
ما قرأت شيأ قط وما أدرى شيأ اقرأه أى لانى ما قرأت شيأ فهو من عطف السبب
على المسبب قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك
الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرأتها فانصرف عنى وهببت أى
استيقظت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا * أقول أى استقر ذلك فى قلبى
وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر
له يوم الاثنين محتمل لان يكون أتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم
الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله ثم هببت من نومى ولا ينافى ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة
أى اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذى هو اقرأ الحاصل فى اليقظة وحينئذ
يكون تكرر مجيئه هو السبب فى استقرار ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ

لا يبعده

لا بعده قوله في الليلة الثانية ما قرأت شيأ لان المراد لم يتقدم لي قرأة قبل
مجيئك الي ولا بعده أيضا قوله ما أدري ما اقرأ لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت
ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة
الاولى * وفي سيرة الشامي ان مجيء جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم
بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق
يدل على انه كان بعده * وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه بالنمط يقظة
في حراء * ونصه فبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حراء اذ ظهر له شخص وقال
أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الامة ثم أخرج له قطعة نمط من حرير
مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرأ قال والله ما أنا بقارىء ولا أرى في هذه
الرسالة كتابة أي لا أعلم ولا أعرف المكتوب فيها قال فضمني اليه وغطني
حتى بلغ مني الجهد فعل ذلك بي ثلاثا وهو يأمرني بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك هذا
كلامه فليتأمل والله أعلم * قال فخرجت أي من الغار أي وذلك قبل مجيء
جبريل اليه صلى الله عليه وسلم باقرأ خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت
في شط من الجبل أي في جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول
الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه أي
وفي رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى في افق السماء أي نواحيها يقول يا محمد
أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت اصرف
وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية فيها الا رأيته كذلك فمازلت واقفا
ما أتقدم امامي وما ارجع ورأى حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة
ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى أهلي
حتى اتيت خديجة أي في الغار فجلست الى فخذها مضيفا اليها أي مستندا اليها
فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا
الي * أقول وهذا يدل على ان خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه بغار حراء
وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي خديجة رضي الله تعالى عنها على ما تقدم
وقد يخالف ذلك ما روي ان خديجة صنعت طعاما ثم أرسلته الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فأرسلت في طلبه الى بيت أعمامه واخواله فلم تجده
فشق ذلك عليها فبينما هي كذلك اذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فان هذا يدل على
انها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بحراء * وقد يقال يجوز أن تكون خرجت معه
أولا وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهي بحراء فلم تجده وان الرسل اخطؤا

محل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل الذى هو حراء ثم رجعت الى مكة وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم بحراء لاحتمال عوده اليه ثم أرسلت الى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده صلى الله عليه وسلم بحراء فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى أهلى أى بمكة لا بحراء لانه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة رضى الله تعالى عنها الى مكة هذا على مقتضى الجمع * وأما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه الى أهله بحراء كما ذكرنا وهو يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا الا من مكة الذى يدل عليه قول الشمس الشامى فخرج مرة أخرى الى حراء قال فخرجت حتى اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى آخره فليتأمل والله أعلم * قال ثم حدثتها بالذى رأيت أى من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد أنت رسول الله فقالت أبشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها أى التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى عليه وسلم أنه رأى وسمع أى رأى جبريل وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى يأتى موسى الذى هو جبريل وانه لنبى هذه الامة فقولى له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب أى وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر فى هذه الارض التى تعبد فيها الاوثان جبريل امين الله بينه وبين رسله أى لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف أى فرغ ما تزوده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجىء اليه جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم أى وذلك كان فى الشهر الذى اكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بهاء السكت ولا تكون الاساكنة ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يأفوخه أى وسط رأسه لان اليأفوخ بالهمز وسط الرأس اذا استد وقيل

استمداده كما في رأس الطفل يقال له الغادية بألفاتم انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى منزله أي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس وتارة قال
سبوح سبوح أو جمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على احد
اللفظين * وقد جاء ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على خديجة أي وليس
عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه
وسلم الى ورقة أي بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق
بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت
وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا
أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني أي وهذا قبل أن يراه ويجتمع به ويجيء اليه
بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولى على يد أبي بكر
رضي الله تعالى عنه وذلك قبل أن يرى جبريل والثانية التي رأى فيها جبريل وسمع
منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف والثالثة التي
بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن أي باقرأ باسم ربك على المشهور من انه أول
ما نزل وذلك على يد خديجة ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ بن حجر كما سيأتي
ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجيء جبريل له يقظة باقرأ
باسم ربك وسيأتي ما فيه * وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي قيل
لانه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله
بمثابة الاخ له أو انه قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة
والسلام مع أن عيسى أقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار
على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام أي كان يهوديا ثم صار نصرانيا أي لان نبوة
موسى عليه الصلاة والسلام مجمع عليها أي على انها ناسخة لما قبلها وان شريعة
عيسى عليه الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة
والسلام لا ناسخة لها * قيل ولان ورقة كان ممن تنصر أي كما علمت والنصارى
لا يقولون بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام أي بل كان يعلم الغيب
لانهم يقولون فيه انه احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم
الكلمة التي هي العلم حل ناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر
بما في الغد * أقول وفيه ان في رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما
الصلاة والسلام أي ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسى

وفى الاقتصار على موسى دون الاقتصار على عيسى ما علمت ثم رأيت انه جاء فى غير الصحيح الاقتصار على عيسى فقال هذا الناموس الذى نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافى ذلك أى مجيء جبريل لعيسى ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسى لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه دائما وأبدا بالوحى بل فى بعض الاحيان وفى بعضها يعلم الغيب بغير واسطة * ثم رأيت فى فتح البارى ان عند أخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند أخبار النبى صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى أرسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم على فرعون هذه الامة الذى هو أبو جهل هذا كلامه فليتأمل * وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال فى حق أبى جهل فى يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله أعلم * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها جاءه الملك سحرا أى سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما أى بغير غط فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ أى لا أوجد القراءة قال فأخذنى فغطنى أى ضمنى وعصرنى وفى لفظ فأخذ بحلقى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أى لا أحسن القراءة أى لا أحفظ شيأ أقرأه فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أى شئ أقرأه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما أقرأ أو ماذا أقرأ الا أن يقال أطلق ذلك وأراد لازمه الذى هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم * أقول قولها أى بغير غط هو ظاهر الروايات ويجوز أن يكون لفظ الغط سقط فى هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الشامية على مجيئه بالغط وأيضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هنالك فكأنما كتب فى قلبى كتابا وما بالعهد من قدم الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جوز أن يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذى قرأه وكتب فى قلبه * ولا يخفى انه علم أن قول جبريل اقرأ أمر بالقراءة * وفيه انه من التكليف بما لا يطاق أى فى الحال ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه * وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن أن يقال فى جوابه ما أنا بقارئ الذى معناه لا أوجد القراءة * الا أن يقال جبريل أراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناء على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ

فى

في المواضع الثلاثة معناه مختلف ففي الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بأنه لا يحسن شيأ يقرأه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن أي شيء يقرؤه ❊ وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا أقرأ لا أحسن القراءة بدليل انه جاء في بعض الروايات ما احسن ان أقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثاني فيكون تأكيداله أي الغرض منهما شيء واحد ❊ قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى أمتن على الانسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقة الى أعلاها وهي تعلم العلم وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما ناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله الى غير ذلك مما ذكره في الاتقان قال فيه ❊ ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات ❊ واورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يضرب المؤدب فوق ثلاث ضربات ❊ وذكر السهيلي أن في ذلك الغط ثلاثا اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه ❊ وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل أي قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على امر الرضاع ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري ❊ وما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ بن كثير هذا الاثر غريب في اسناده ضعف وانقطاع أي فلا يدل للقول بان أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه بن النقيب في مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطي حيث قال وعندي فيه ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة أي

سورة اقرأ نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله أعلم * قال الحافظ ابن حجر وهذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي من خصائصه اذ لم ينقل عن أحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك * ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص أي وفي رواية فؤاده أي قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني أي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء أي الفزع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي كما في الامتاع * قالت له خديجة فلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أي لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أي الشئ الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدم بلا واو ولان المعدوم أي الشخص المعدوم لا يكسب أي لا يعطى الكسب وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضي الله تعالى عنها أي عم اسمع من ابن أخيك أي وقولها أي عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع في مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد أي فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد نزول الآية مرتين قالت في مرة أي عم وفي مرة أي ابن عم * فقال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى أي صاحب سر الوحي وهو جبريل يا ليتني فيها جذعا أي يا ليتني حينئذ أكون في زمن الدعوى الى الله أي اظهارها الذي جاء به وانذارا صل وجودها بناء على تأخر الدعوة التي هي الرسالة عن النبوة على ما يأتي شابا حتى أبالغ في نصرتك يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل أومخرجوني حذفت النون للاضافة فصار مخرجوي قلبت الواو ياء وادغمت قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودي أي وتكون المعاداة سببا لاخراجه وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من الانبياء اخرجوا من أماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا تقتضي الاخراج فلا يحسن

ان يكون

أن يكون علامة عليه وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة ان كل
نبي اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت
وتقدم ما فيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ في جواب قول ورقة انه يكذب
ويؤذى ويقاتل وقال في جواب قوله انه يخرج أو مخرجي هم استفهاما انكاريا دليل
على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته
ومسقط رأسه * قال ورقة وان أدركت يومك انصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا
من الازر وهو الشدة والذى في الحديث الصحيح وان يدركني يومك وسيأتى في بعض
الروايات وان يدركني ذلك قال السهيلي وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود
والسابق هو الذى يدركه ما يأتى بعده كما جاء أشقى الناس من ادركته
الساعة وهو حي هذا كلامه * أى وفي بعض الروايات انه قال لها ان ابن عمك
لصادق وان هذا البدء نبوة وفي لفظ انه لنبي هذه الامة أى وفي الشفاء ان قوله صلى
الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى
من النبوة ولكنه لعله خشي أن لا تحتمل قوته صلى الله عليه وسلم مقاومة الملك
واعباء الوحي بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة
أثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل * وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف
العلماء في هذه الخشية على اثنى عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من الارتياب
ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض هذا كلامه فليتأمل مع رواية
خشيت على عقلي * قال في بعض الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به الى ورقة
ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة
والسلام فقالت له يا عداس أذكرك الله الا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل
أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب كما تقدم
فقال عداس قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل
أوثان أى والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت
أخبرني بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام انتهى * وفيه انه سيأتى عند الكلام على ذهابه صلى الله
عليه وسلم للطائف بعد موت أبي طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس
الموصوف بما ذكر لكن في تلك القصة ما تقدم بعد معه كل البعد انه المذكور هنا
فليتأمل ثم رأيت أن عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد
وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له انعم صباحا يا عداس فقال

كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت اجل قال ادنى منى فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح فى انه غير عداس الآتى ذكره وانهما اشتركا فى الاسم والبلد والدين أى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة ابن ربيعة من أهل نينوى عنده علم من الكتاب فأرسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك * وفى رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا فخذى كتابى هذا فانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك أبى وأمى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبي الذى بشر بك موسى وعيسى الحديث * وفيه ان كان هذا قبل أن تذهب به الى ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما أنا بقارئ اذ هو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيئا ومن ثم كان المشهور ان أول ما نزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر فى أسباب النزول أنها نزلت لما وصفه المشركون بأنه مجنون * الا أن يقال لا مانع من تعدد النزول * وذكر ابن دحية أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى أخبرنى بأنه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه * وهذه العبارة أى كون جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه صدرت من الحافظ السيوطى وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة * واعترض عليه بعضهم بأن اسرافيل كان سفيرا بين الله ونبيه صلى الله عليه وسلم * فعن الشعبى أنه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفى لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل أى وقد تقدم أن اسرافيل قرن به صلى الله عليه

وسلم قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشئ بعد الشئ الى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحى فليتأمل ✽ وأجاب الحافظ السيوطى عن ذلك بأن السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافى ذلك مجئ غيره من الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحيان ولك أن تقول ان كان المراد بالمجئ اليه بوحى من الله كما هو المتبادر فليس فى هذه الرواية أن اسرافيل كان يأتيه بوحى فى تلك المدة وجواب الحافظ يقتضى أن اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحى من الله قبل مجئ جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحى غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبأن اسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت فى الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع أنبيائه ✽ قيل وانما خص بذلك لانه أول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى اليه فأجاب نعم وأورد حديث النواس بن سمعان الذى أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم وفيه التصريح بأنه يوحى اليه قال والظاهر أن الجائى اليه بالوحى جبريل قال بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شئ لا أصل له وزعم زاعم أن عيسى انما يوحى اليه وحى الهام ساقط قال وحديث لا وحى بعدى باطل ✽ أى ويدل له ما رأيته فى كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله أمين على وحيه وهو سفيره الى أنبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوصية من بين الملائكة المقربين قال ورأيت فى بعض التواريخ أن جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ أحد من الانبياء هذا العدد والله أعلم ✽ وفى أسباب التنزيل للواحدى عن على رضى الله تعالى عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة أى فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين فقال آمين كما فى رواية عن وكيع وابن أبى شيبة ✽ وجاء فى حديث قال بعضهم اسناده ليس بالقائم اذا دعا أحدكم فليختم بآمين فان آمين فى الدعاء مثل الطابع على الصحيفة ✽ وفى الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين

أى خاتم دعاء رب العالمين أى يمنع من أن يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد وجب أن ختم بآمين * فأتى صلى الله عليه
وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فانى أشهد انك الذى بشر بك ابن
مريم فانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك
ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك * أقول هذا لا يدل للقول بأن الفاتحة أول
ما نزل وعليه كما قال فى الكشاف أكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد أن تكون هذه
الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك * ثم رأيت عن البيهقى انه قال فيما تقدم عن أسباب
النزول هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد
ما نزلت عليه اقرأ والمدثر أى والمدثر نزلت بعد يا أيها المزمل * ثم رأيت ابن حجر
اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذى ذهب اليه أكثر الائمة هو الاول
أى القول بأنه اقرأ وأما الذى نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد أقل من القليل
بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه * ثم رأيت الامام النووى قال القول بأن
الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من ان يذكر أى ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق
عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة فى تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب
مدنية وفيه أنه جاء عن قتادة أنها نزلت بمكة وعن على كما فى أسباب التنزيل
للواحدى أنها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبى صلى الله عليه
وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله
فاك * وفى الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهى مكية
مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح انها مكية القاضى البيضاوى حيث قال وقد
صح انها مكية وفى الاتقان وذكر قوم منهم أى ممن ذكر تكرر نزوله الفاتحة فليتأمل فانه
لا يقال ذلك الا بناء على انها نزلت مرتين أى نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة فى شرفها
وقد أشار القاضى البيضاوى الى أن تكرر نزولها ليس بمجزوم به * وقيل نزل
نصفها بمكة ونصفها بالمدينة * قال فى الاتقان والظاهر أن النصف الذى نزل بالمدينة
النصف الثانى قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه واستدل بعضهم على انها مكية
بأنه لا خلاف أن سورة الحجر مكية وفيها ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم
وهى الفاتحة * فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذى نفسى بيده ما أنزل الله تعالى فى التوراة
ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها انها هى السبع المثانى والقرآن
العظيم الذى أوتيته * وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثانى فى آية

الحجر هي الفاتحة و يؤيد دعوى الاتقان قول الجلال السيوطي وقد صح عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما تفسير السبع المثاني في آية الحجر بالسبع الطوال
* ومما يدل على أن المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو أن عير الأبي جهل
قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل و رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ينظرون اليها وأكثر الصحابة بهم عرى وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه
وسلم شئ لحاجة أصحابه فنزل ولقد آتيناك أي أعطيناك سبعا من المثاني مكان
سبع قوافل ولا تنظر الى ما أعطينا لابي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن
عليهم أي على أصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من
ظفرهم بما تحب من أسباب الدنيا * و في زوائد الجامع الصغير لو أن فاتحة الكتاب
جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على
القرآن سبع مرات وفي لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء و في لفظ فاتحة
الكتاب تعدل ثلثي القرآن فليتأمل ولها اثنان وعشرون اسما وذكر بعضهم ان لها
ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ أبو الحسن البكري في تفسيره الوسيط
* قال السهيلي ويكره أن يقال لها أم الكتاب أي لما ورد لا يقولن أحد كم أم
الكتاب وليقل فاتحة الكتاب * قال الحافظ السيوطي رحمه الله ولا أصل له في شئ
من كتب الحديث وانما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت
في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه * ولا يخفى أنه جاء في تسمية الفاتحة
ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه أخرى وتارة جوزوا الامرين معا وهو
يشكل على أن تسمية السور توقيفي * ثم رأيت في الاتقان قال قال الزركشي
في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات
فان كان الثاني فيمكن الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق
أسمائها وهو بعيد هذا كلامه و يلزم القول بأنها انما نزلت في المدينة ان مدة اقامته
صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلي بغير الفاتحة * قال في اسباب النزول وهذا
مما لا تقبله العقول أي لانه لم يحفظ أنه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة * أي ويدل
لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب * وفي رواية لا تجزئ صلاة
لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم
للمسيء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت
الى أن قال ثم اصنع ذلك أي القراءة بأم القرآن في كل ركعة * وجاء على شرط
الشيخين أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك أيضا

ووصف القول بأنها انما نزلت بالمدينة بأنه هفوة من قائله لانه تفرد بهذا القول
والعلماء على خلافه أى لان نزولها كان بمدة فترة الوحى بعد نزول ياأيها المدثر
ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر أنه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة فى مدة فترة
الوحى أى لان المدثر نزلت بعد فترة الوحى على ماسيأتى * وقد يقال لا ينافيه ماتقدم
من انه لم يحفظ انه لم يكن فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز أن يراد صلاة من
الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة فى الصلاة يجوز أن يكون صدر
منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس * وفى الامتاع انزال الملك يبشره
بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة * فقد أخرج مسلم
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه
وسلم سمع نقيضا أى صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم
لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم
فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما من قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على انه سيأتى عن الكامل للهذلى
مايصرح بأن خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بقاب قوسين
* ومما يدل على أن البسملة آية منها نزولها معها أى كما فى بعض الروايات والاظهر الرواية
المتقدمة تدل على أنها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة آية من الفاتحة أيضا
ماأخرجه الدارقطنى وصححه والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها
أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها
* وقد أخرج الدارقطنى عن على رضى الله تعالى عنه انه سئل عن السبع المثانى
فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هى ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم
آية وقيل لها السبع المثانى لانها سبع آيات وتثنى فى الصلاة وقيل المثانى كل
القرآن لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد
والوعيد * قال بعضهم والوجه أن يقال المراد بالسبع المثانى السبع الطوال أى
كما انها المرادة بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى على ماتقدم وهى البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل
الكهف * وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم عد البسملة
آية من الفاتحة وبهذا يعلم ما فى تفسير البيضاوى عن أم سلمة من انه صلى الله عليه
وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين آية * فقد ذكر بعض الحفاظ

ان

ان هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة والذى رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة بألفاظ يدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية وحدها منها انها ذكرت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفى رواية عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين * ففى الاستدلال على أن البسملة آية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضى أن البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك * ومن ثم قال الحافظ الدمياطى نزول اقرأ بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست آية من كل سورة * واستدل به أى بعدم نزولها فى أول سورة اقرأ أيضا كما قال الامام النووى من يقول ان البسملة ليست بقرآن فى أوائل السور أى وانما أنزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى القديم وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين أى لقرآنيتها فى ذلك أنها نزلت فى وقت آخر كما نزل باقى السورة أى سورة اقرأ وجوابهم أيضا بأن الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها فى مصاحفهم مع مبالغتهم فى تجريدها عن كتابة غير القرآن فيها حتى انهم لم يكتبوا آمين فيها * واستدل أيضا لعدم قرآنيتها فى أوائل السور بعدم تواترها فى محلها * ورد بأن عدم تواترها فى محلها لا يقتضى سلب القرآنية عنها * ورد هذا الرد بأن الامام الكافيجى قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر أى فى القرآن فى محله ووضعه وترتيبه أيضا كما يجب تواتره فى أصله * أى وفى الفتوحات البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها فى السور كتكرار ما تكرر فى القرآن من سائر الكلمات وهو بظاهره يؤيد ما ذهب اليه امامنا من انها آية من أول كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلى حيث قال نقول انها آية من كتاب الله مقترنة مع السورة * وفى كلام أبى بكر بن العربى وزعم الشافعى انها آية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد فانه لم يعدها احد آية من سائر السور * ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انها آية من أول الفاتحة دون بقية السور * فعن الربيع قال سمعت الشافعى يقول أول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وأول البقرة الم * قال بعضهم وهو يدل على أن البسملة آية من أول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست آية من أولها بل هى آية فى أولها اعادة لها وتكريرا لها وربما يوافق ذلك قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه خص بالبسملة يخالف قوله فى الاتقان عن الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه لأعلمنك

آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتي وسيأتي ما فيه
* قيل وإنما تركت البسملة أول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة
والتبري الذي يدل عليه أول براءة * ورده في الفتوحات بأنها جاءت في أوائل
السور المبدوءة بويل قال وأين الرحمة من الويل * وذكر بعضهم أن الانفال وبراءة
سورة واحدة أي فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سألت عثمان بن عفان
لم لم يكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال
من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة
بالاخرى فظننت انهما سورة واحدة * وفي كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر
ابن عبد العزيز أنهما كانا يقولان ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما
في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رأيا أن أولها
مشبه لقوله ألم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه
وسلم بأذاء الكفار فهي حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب
فكيف يجتمعان هذا كلامه * وذكر أئمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان بالبسملة
في الفاتحة في الصلاة الظن المفيد له خبر الاحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى
كونها آية من الفاتحة بإجماع المسلمين * وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه
جمع من الصحابة قال ابن عبد البر عدتهم احد وعشرون صحابيا * وأما ما رواه مسلم
عن أنس قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا
منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم * أجيب عنه بأنه لم ينف الا السماع ويجوز أنهم
تركوا الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز * ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون
البسملة * وأما ما رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة
الحمد لا بغيرها من القرآن * ولا يبعد هذا الحمل ما في رواية عبد الله بن مغفل أنه قال
سمعني أبي وأنا اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني اياك والحدث فاني صليت
مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقوله فاذا قرأت
فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع فهم أنهم لم يأتوا بها رأسا فقال ذلك وكذا
يقال فيما روي كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية
وصحتها يجوز أن يكون الراوي فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فأخطأ * ومما
استدل به على أن البسملة ليست من الفاتحة * ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال * قال رسول الله صلى عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة أي

الفاتحة بينى و بين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل فاذا
قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال
مجدنى عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الى عبدى واذا قال اياك نعبد
واياك نستعين قال هذه بينى و بين عبدى ولعبدى ماسأل فيقول عبدى اهدنا
الصراط المستقيم الى آخرها * قال أبو بكر ابن العربى المالكى فانتفى بذلك
أن يكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين أحدهما أنه لم يذكرها فى القسمة
والثانى أنها ان صارت فى القسمة لما كانت نصفين بل يكون مالله فيها أكثر مالعبد
لان بسم الله ثناء على الله تعالى لاشئ للعبد فيه ثم ذكر أن التعبير بالصلاة عن
الفاتحة يدل على أن الفاتحة من فروضها وأطال فى ذلك * وسيأتى فى الحديبية
أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قيل كتب ذلك
فى أربعة كتب وأول من كتبها أمية بن الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها
كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزلت
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل
عن الشعبى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت
سورة النمل وهذا يفيد أن البسملة لم تنزل قبل ذلك فى شئ من أوائل السور ويؤيده
قول السهيلى ثم كان بعد ذلك أى بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل
عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة أى تمييزا لها عن غيرها * وقد ثبت
فى سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه
فليتأمل مافيه فانه يدل للقول بأن البسملة ليست من أوائل السور وانما هى للفصل
* فقد علمت أن البسملة نزلت أول الفاتحة على مافى بعض الروايات ونقل أبو بكر
التونسى اجماع علماء كل أمة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله
الرحمن الرحيم * وفى الاتقان عن الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض
الصحابة لاعلمنك آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا
يعلم مافى الخصائص الصغرى أن البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفى قوله
صلى الله عليه وسلم على نبى بعد سليمان غيرى يشكل عليه ان عيسى بين سليمان
وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة * وعن
النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال * قال
السهيلى ان صح ماذكره فانما سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على آل
داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله اعلم ثم لم يلبث ورقة أن توفى * قال سبط بن

الجوزى وهو آخر من مات فى الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما * ويؤيده ماجاء فى رواية فى سندها ضعف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على أن من أدرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها لا يكون مسلما بل من أهل الفترة * فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير أى والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشئ (ه) هذا وفى القاموس القس مثلث القاف تتبع الشئ وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذى لا يفارقها ورئيس النصارى فى العلم وفى رواية ابصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس وفى رواية قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا واحسبه أى اظنه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض * أقول صريح الرواية الثالثة أنه لم يره فى الجنة فقد تعددت الرؤية وأما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة فى ذلك على التعدد والله أعلم * وفى رواية لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين (ه) لانه آمن بى وصدقنى أى قبل الدعوة التى هى الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله له جنة أو جنتين حيث له جنة أو جنتان ولا مانع أن يكون بعض أهل الفترة من أهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بأن أدرك الدعوة وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة أى بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى التى هى الرسالة * وفى الامتاع ان ورقة مات فى السنة الرابعة من المبعث ويوافقه ما يأتى عن سيرة ابن اسحاق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقنى واضحا لكن ينازع فى ذلك قوله واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسيأتى عن الذهبى ما يخالفه ويخالفه أيضا ما تقدم عن سبط ابن الجوزى انه من أهل الفترة * وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحى فقال لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ فنظرت عن يسارى فلم أر شيأ فنظرت من خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ بين السماء والارض أى وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى زاد فى رواية متربعا عليه وفى لفظ على عرش بين السماء والارض فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى أى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت

هذه الآية يا أيها المدثر أى المتلف بثيابه قم فأنذر و ربك فكبر ولم يقل بعد فأنذر وبشر لانه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد امن قبل وهذا يدل على ان هذه الآية أول ما نزل أى قبل اقرأ وان النبوة والرسالة مقترنان * قال الامام النووى والقول بأن أول ما نزل يا أيها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحى أى ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذى جاء فى بحراء ومما يدل على ذلك أيضا ما فى البخارى ان فى رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحى أى لا عن ابتداء الوحى فما تقدم من قول بعضهم يعنى عن ابتداء الوحى فيه نظر وكذا فى قول الراوى عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت لان جواره بحراء كان قبل فترة الوحى الا أن يقال جابر جاء عنه روايتان واحدة فى ابتداء الوحى وأخرى فى فترة الوحى و بعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على أن ذلك كان عند ابتداء الوحى وعجزها يدل على أن ذلك كان فى فترة الوحى هذا ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء فى مدة فترة الوحى ويؤيد ذلك ما فى البيهقى عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك فى مدة فترة الوحى وسيأتى الجمع بين الروايات فى أول ما نزل * وعن اسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم أى وذلك قبل أن يأتيه بالقرآن أى بشئ منه وهو اقرأ باسم ربك بناء على انه أول ما نزل ولا ينافى ذلك قولها هذا الذى يأتيك اذا جاءك لان المعنى الذى يتراءى لك اذا رأيته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى أى قد رأيته لكن سيأتى عن ابن حجر الهيثمى ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمى فاجلس على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمى اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا بشيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه فى بيتها جبرائيل * ولذى اللب فى الامور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحى أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس * جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء

فاستبانت خديجة أنه الكنز * الذى حاولته والكيمياء

* أى وآتاه قال ابن حجر أى بعد البعثة أى النبوة واجتماعه به فى بيتها حامل الوحى جبريل ولصاحب العقل الكامل فى الاحوال التى قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها أزالت عن رأسها ما يغطى به الرأس لتعلم عين اليقين ان هذا الذى يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحى الذى كان يأتى به الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أو هو الاغماء الذى هو بعض الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه أنه ينبغى أن يكون المراد به الاغماء الناشئ عن لمة الجن فيكون عن الكهان لا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذى قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسى وسيأتى انه يعتريه وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن ما كان يعتريه عند نزول الوحى عليه أى من الاغماء الى آخره فبسبب ازالتها ما تغطى به رأسها عنها اختفى فلم يعد الى أن أعادت غطاء رأسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين أن ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحى أى لا الجنى لان الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجنى وشبهه الناظم ذلك بالشئ النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما * أقول وفى الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما فعلته خديجة كان عند تراءيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به * وقول بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبى الى المكان الذى رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسرى فان يكن من عند الله لا يراه أى فتراءى له وهو فى بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر * وفى فتح البارى أن فى سيرة ابن اسحاق أن ورقة كان يمر ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضى انه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس فى الاسلام أى * وفى كلام صاحب كتاب الخميس فى الصحيحين أن الوحى تتابع فى حياة ورقة وانه آمن به وتقدم أنه الموافق لما فى الامتاع من انه مات فى السنة الرابعة من البعثة * وتقدم أنه مخالف لما تقدم عن سبط بن الجوزى ويخالف أيضا لقول الذهبى الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة أى بناء على تأخرها * ويدل لتأخرها ما تقدم من قول ورقة ياليتنى فيها جذع * فقد تقدم أن المراد ياليتنى أكون فى زمن الدعوة أى ومن أدرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من أهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب

بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم أي بما أرسل به وإن لم يقرا
بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك
من الاقرار بالشهادتين لأنه تمكن منه وحيث أدرك الرسالة فقد أسلم وحينئذ يكون
صحابيا ✻ ونقل بعضهم عن الحافظ بن حجر أنه في الاصابة تردد في ثبوت الصحبة
لورقة ابن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها وأنه يفرق بينه
وبين بحيرا بأن ورقة أدرك البعثة وإن لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر
والتعريف السابق يشمل هذا كلامه وتعريفه السابق للصحابي هو من اجتمع بالنبي
صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح النخبة هل يخرج أي من تعريف الصحابي
من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بأنه سيبعث ولم يدرك
البعثة محل نظر ولا يخفى عليك أن ما في شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على أنه تقدم
أن ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما أدري أدرك البعثة أم لا ولا يخفى عليك ما تقدم
عن ابن حجر من أن ورقة أدرك البعثة وإن لم يدرك الدعوة فإنه يقتضي أن البعثة
عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وأن الرسالة هي الدعوة لا البعثة ✻ وروى ابن
اسحاق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل
أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا
يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد
حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة
أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا ولم أقف على من كان يرقيه ولا على ما كان
يرقى به ✻ واشتهر على بعض الالسنة آمنة يعني أمه صلى الله عليه وسلم رقت النبي
من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن أمه أنها لما كانت حاملا به جاءها الملك
وقال لها قولي اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد والظاهر أنها قالت
ذلك ✻ وعن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها أنها قالت يا رسول الله ان ابني
جعفر أي ولديها من جعفر بن أبي طالب تصيبهما العين أفنسترقي لهما قال نعم لو كان
شيء سابق القدر لسبقته العين ✻ فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم أن
جبريل ملك لا جني فمن أين علم أنه يتكلم عن الله تعالى ✻ أجيب بأنه على تسليم
أن قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به أنه جبريل وأنه يتكلم عن الله تعالى
كما خلق في جبريل علما ضروريا بأن الموحى اليه هو الله ✻ وقد ذكر بعض المفسرين
أنه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه

في صورة جبريل * واعترض بأنه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحي * وأجيب عنه بمثل ماهنا وهو ان الله تعالى جعل في النبي صلى الله عليه وسلم علما ضروريا يميز بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذي أسلم * وفي كلام بن العماد وشيطان الانبياء يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذي أغوى به مصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال اني بريء منك هذا كلامه والله أعلم * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبياء من يسمع الصوت أي ولا يرى مصوتا فيكون بذلك نبيا * قال بعضهم يحتمل أن يكون صوتا خلقه الله تعالى في الجو أي ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل أن يكون من جنس الكلام المعهود يتضمن كون ذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب * أي وفي رواية كنت أراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال * ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما أن يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها أو على صورة غيره ومنه ما وقع في حديث عمر رضي الله تعالى عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد الحديث * ورواية البخاري تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في آخر الامر * وورد ما جاء في يعني جبريل في صورة لم أعرفها الا في هذه المرة * وفي صحيح بن حبان والذي نفسي بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة أقسام حيث قال في تائيته

ولازمك الناموس اما بشكله * واما بنفث أو بحلية دحية

فليتأمل * قيل وكان اذا أتاه على صورة الآدمي يأتيه بالوعد والبشارة * فان قيل اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الآدمي دحية أو غيره هل هي الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح أو يصير ميتا * أجيب بأن الجائي يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل بأي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد

واحدا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرأى فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد أن الحق سبحانه وتعالى يظهر فى صورة على رضى الله تعالى عنه وأولاده أى الائمة الاثنى عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم على الرضى وابن على الرضى محمد الجواد وابن محمد الجواد على التقى والحادى عشر حسن العسكرى والثانى عشر ولد حسن العسكرى وهو المهدى صاحب الزمان وهو حى باق الى أن يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على ما فيه * فقد قال عبد الله بن سبأ يوما لعلى رضى الله تعالى عنه أنت أنت يعنى أنت الاله فنفاه على الى المدائن وقال لا تساكنى فى بلد أبدا وكان عبد الله بن سبأ هذا يهوديا كان من أهل صنعاء وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء فكان أول من أظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا على رضى الله تعالى عنه * ولما قيل لسيدنا على لولا انك تضمر ما أعلن به هذا ما اجترأ على ذلك فقال على معاذ الله انى أضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل فأرسل الى ابن سبأ فأظهر الاسلام فى أول خلافة عثمان وقيل فى أول خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان أهله وكان يقول قبل اظهاره الاسلام فى يوشع ابن نون بمثل ما قال فى على وكان يقول فى على انه حى لم يقتل وان فيه الجزء الالهى وانه يجيء فى السحاب والرعد صوته والبرق صوته وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله هذا كان يظهر أمر الرجعة أى انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى وأظهر أمر الوصية أى ان عليا رضى الله تعالى عنه أوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب فى أثارة الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى * ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية أصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم * ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية آبائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهؤلاء الشيعة موافقون فى ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية أصحاب

حسين ابن منصور الحلاج كانوا اذا رأوا صورة جميلة زعموا أن معبودهم حل فيها
* وممن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع عطاء الخراساني وذلك في سنة ثلاث
وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل في صورة آدم ثم في صورة نوح ثم الى
أن حل في صورته وفافتتن به خلق كثير بسبب التموبهات التي أظهرها لهم فانه
كان يعرف شيأ من السحر والنيرنجيات فقد أظهر قمرا يراه الناس من مسافة
شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا
الى القلعة التي كان متحصنا بها فلما علم ذلك اسقى أهله سما فماتوا ومات ودخل الناس
تلك القلعة فقتلوا من بقي حيا بها من اتباعه * والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز ابن
عبد السلام من زعم أن الاله يحل في شئ من أجسام الناس أو غيرهم فهو كافر
وأشار الى أنه كافر اجماعا من غير خلاف وانه لا يجري فيه الخلاف الذي جرى
في تكفير المجسمة ومن ثم * ذكر القاضي عياض في الشفاء ان من ادعى حلول
الباري في احد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو
أبو يزيد البسطامي سبحاني ما أعظم شاني وقوله اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدون
وقوله وأنا ربي الاعلى وقوله أنا الحق وهو أنا وأنا هو ليس من دعوى الحلول في شئ
وانما قوله سبحاني اني أنا الله محمول على الحكاية أي قال ذلك على لسان الحق من
باب حديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله أنا ربي الاعلى
وأنا الحق الخ انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر
التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يرى في الوجود غيره سبحانه
وتعالى الذي هو مقام الفناء ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة
منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك
الحال الذي نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية
هذا المقام الذي هو مقام الفناء بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح لانه اتحد مراده
بمراد محبوبه فصار المرادان واحدا الفناء ارادة المحب في مراد المحبوب فقد فنى عن
هوى نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالي الا الله
ولا يعادي الا الله ولا يعطي الا الله ولا يمنع الا الله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله
فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما * وفي كلام سيدي علي وفا رضي الله
تعالى عنه حيث أطلق القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم فناء
مرادهم في مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على
وفق مراد الآخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضي الله تعالى عنه و رضي عنا به

ومذا

وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التى ذكر السعد والسيد أن القول بها باطل وضلال أى لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد * قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب والعبد فى حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا فى آن واحد ولا يدرك ذلك الا من أشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك أنكره ويجوز أن يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على التصرف فى جسد آخر غير جسدها المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر مشابها لشبههم الاصلى بدلا عنه * وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء أنواع وعد منها أن يكون له أجساد متعددة قال وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطى نفعنا الله تعالى به * فقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى أنه رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن ولى الله الشيخ عبد القادر الطحطوطى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما قال فأرسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال أربعة انى بت عندهم لصدقوا فأفتيت أنه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان * وقد قيل فى الابدال انهم انما سموا أبدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبههم الاصلى بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال قال وهذا الجواب أولى مما تكلفه بعضهم فى الجواب عن جبريل بأنه كان يندمج بعضه فى بعض أى الذى أجاب به الحافظ ابن حجر * ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار فى عرض الحائط * وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه بأنه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر أن الكعبة شوهدت تطوف ببعض الاولياء فى غير مكانها * وممن وقع له ذلك أبو يزيد البسطامى والشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ ابراهيم المتبولى نفعنا الله تعالى ببركاتهم * ولعل مجىء جبريل على صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله

تعالى عنه دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من
نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في صورته اعلاما من الله تعالى أنه
ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك
بشرى له ولاسيما اذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه
ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك
الصورة الجميلة الآن يدعي أن من حين أتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي
غيره وتكون واقعة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم أنه كان اذا أتاه على
صورة الآدمي يأتيه بالوعد والبشارة أي لا بالوعيد والزجر فليتأمل ❊ وفي البرهان
للزركشي في التنزيل أي تلقي القرآن طريقان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل أي لان الانبياء
يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب
فيما هو أقرب من لمح البصر والثاني أن الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى
أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى
تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا أو أن الله تعالى خلق تلك الالفاظ أي
الاصوات الدالة عليها في الجو وأسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا بأنها دالة على
ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى وأوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك أو حفظه
جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم أنه من حالات الوحي النفث أي أنه كان ينفث
في روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس أي المخلوق
من الطهارة يعني جبريل نفث أي ألقى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذي
لا ريق معه في روعي بضم الراء أي قلبي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها
ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أي عاملوا بالجميل في طلبكم وتتمته
ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله أي كالكذب فان ما عند الله
لن ينال الا بطاعته وفي كلام ابن عطاء الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها
كثيرة منها أن لا يطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به ومنها أن يطلبه من الله
تعالى ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه
وأحاطت الغفلة بقلبه ❊ ومنها أن يطلب وهو شاكر لله ان أعطى وشاهد حسن
اختياره اذا منع ❊ ومنها أن يطلب من الله تعالى ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ
دنياه ❊ ومنها أن يطلب ولا يستعجل الاجابة ❊ وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوائج
بعزة النفس فان الامور تجري بالمقادير ❊ ومن حالات الوحي أنه كان يأتيه في مثل

صلصلة الجرس وهي أشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم أي لما قيل انه كان يأتيه في هذه الحالة بالوعيد والنذارة * أقول روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه وهو أخو أبي جهل لابويه وكان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر

أحسبت أن أباك حين يسبني * في المجد كان الحارث بن هشام
أولى قريش بالمكارم والندى * في الجاهلية كان والاسلام

أسلم يوم الفتح وسيأتي انه استجار في ذلك اليوم بأم هانيء أخت علي بن أبي طالب وأراد علي قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سيأتي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي أي حامله الذي هو جبريل قال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم بالفاء أي يقلع عني وقد وعيت ما قال * وفي رواية يأتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك أي الذي هو حامل الوحي رجلا أي يتصور بصورة الرجل * وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فأعي ما يقول * وروى انه في الحالة الثانية ينفلت منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك ينفلت مني ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا ينفلت مني * قيل وانما كان ينفلت منه في الحالة الاولى لشدة تأنسه بحامله لانه يأتي اليه في صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يثبت فيما ألقى اليه بخلافه في الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذي يفزع منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه اذا علم أنه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقولنا أي حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين بها صفة الوحي لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قاله * وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي * وقوله يأتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كأنه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه * وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيأ أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت أي وجاءانه

لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها * و فى رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالفه ما قبله لانه جاز أن يكون حصل لها ذلك فكان سببا للنزول * ثم رأيت فى رواية ما يصرح لذلك وجاء ما من مرة يوحى الى الاظننت ان نفسى تقبض منه * وعن أسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه * و فى رواية يصير كهيئة السكران * أقول أى يقرب من حال المغشى عليه لتغيره عن حالته المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران أى مع بقاء عقله وتمييزه ولا ينافى ذلك قول بعضهم ذكر العلماء انه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا الانه يجوز أن يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينتقض وضوءه * ثم رأيت صاحب الوفاء قال فان قال قائل ما كان يجرى عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول الوحى هل ينتقض وضوءه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا فى منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذى يسقط فيه الوكاء لا ينقض وضوءه فالحالة التى اكرم فيها بالمسارة والقاء الهدى الى قلبه أولى لكون طباعه فيها معصومة من الاذى هذا كلامه وما ذكرناه أولى لما تقرر أن الاغماء أبلغ من النوم فليتأمل * وفى كلام الشيخ محيى الدين ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحى من الانبياء كان اذا جاءه الوحى يستلقى على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى اليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء * قيل وهو محمل قول بعض الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحناء والا فهو عليه الصلاة والسلام لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه * وفيه أنه أمر بالخضاب للشباب * فقد جاء اختضبوا بالحناء فانه يزيد فى شبابكم وجمالكم ونكاحكم * و فى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحى لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى * و فى لفظ كان اذا انزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحى استقبلته الرعدة * و فى رواية كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر * وعن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه كان اذا انزل على

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة واذا انزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها * وعن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل * وذكر الحافظ بن حجر أن دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس أي المتقدم ذكرها لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين والصلصلة بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فالراوي شبهه بدوي النحل والنبي صلى الله عليه وسلم شبهه بصلصلة الجرس أي فالمراد بهما شيء واحد والله أعلم * ومن حالاته أي حالات الوحي أي حامله انه كان يأتيه على صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح * أقول فيوحي اليه في تلك الحالة كما هو المتبادر * وفيه أنه جاء عن عائشة وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين حين سأله أن يريه نفسه فقال وددت اني رأيتك في صورتك أي وذلك بحراء أوائل البعثة بعد فترة الوحي بالافق الاعلى من الارض وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخرى ليلة الاسرى المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وسيأتي الكلام على ذلك * وفي الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها أي لم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم * وذكر السهيلي أن المراد بالاجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتأمل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ ابن حجر من أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط والله أعلم * ومن حالات الوحي أي نفسه أي الموحى به لا حامله الذي هو جبريل ان الله تعالى أوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة أو من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل أن يكون النوعين وقع كل منهما ليلة الاسرا ويحتمل أن يكون نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم الرؤية والثاني بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عد

ذلك نوعين كما فعل الشامي ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثاني لبعضهم كالمتبري منه حيث قال * وقد زاد بعضهم مرتبة ثانية وهي تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحا بغير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية وما زاد بعضهم بناء على القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جاء قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا * وقول ابن القيم السادسة أي من حالات الوحي ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها الان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذ محتمل لان يكون من غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهي لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة أي من حالات الوحي كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى أي من وراء حجاب فهي لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون كلمه في ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن الولي العراقي كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكر والجواب عنه وأقره مع ما في ذلك الكلام من النظر الظاهر الذي لا يكاد يخفى والله أعلم * قال الحافظ السيوطي وليس في القرآن من هذا النوع أي مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب شئ فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة أي آمن الرسول الى آخر الآيات لانها نزلت كما في الكامل للهذلي بقاب قوسين * وروى الديلمي قيل يا رسول الله أي آية في كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك قال آخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمة من تحت عرش الله ولم تترك خيرا في الدنيا والآخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء في فضل آية الكرسي من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله أي آية في كتاب الله تعالى أعظم قال آية الكرسي أعظم * وما جاء عن الحسن رضي الله تعالى عنه مرسلا أفضل القرآن البقرة وأفضل آية فيه آية الكرسي * وفي رواية أعظم آية فيها آية الكرسي * وفي الجامع الصغير آية الكرسي ربع القرآن ونزل في ذلك الموطن الذي هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة ألم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسألة وددت اني لم أكن سألته سألت ربي اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويت وضالا فهديت وعائلا فأغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الاوتذكر معي انتهى * أقول قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين أن يكون مشافهة من غير حجاب

وقوله فقال يا محمد ألم أجدك الى آخره ليس هذا نص التلاوة وان هذا ظاهر في ان المتلو الدال على ماذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به والله أعلم * ومن حالات الوحي أنه أوحى اليه بلا واسطة ملك مناما كما في حديث معاذ أتاني ربي وفي لفظ رأيت ربي في أحسن صورة أي خلقة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض * أي وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية ولهذا الا يبعد أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث أي تجلى له الحق بالتجلي الخاص الذي ماذكر عبارة عنه * وفي رواية فعلمت علم الاولين والآخرين * أي ومن حالات الوحي رؤيا النوم قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي كما تقدم * ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم أن ماتقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال الحارث له صلى الله عليه وسلم اغلبي أو أن ماعداهما وقع بعد سؤال الحارث له * وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير مانزل جبريل بوحي قط الا وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى أوليائهم * ثم رأيت في الاتقان ذكر أن من القرآن مانزل معه ملائكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون ألف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون ألف ملك وآية الكرسي شيعها ثمانون ألف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون ألف ملك واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون ألف ملك ولعل هذا الا ينافي ماتقدم من ان الغرض من تساقط النجوم عند البعثة حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز أن يكون هذا الحفظ مايوحى من استراقه في الارض وبين السماء والارض وعن النخعي أن أول سورة أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك * قال الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه * ولا يخفى أن مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القرآن أي أول آيات أنزلت فلا ينافي ماتقدم عن رواية عمرو بن شرحبيل مما دل على أن أول سورة أنزلت فاتحة الكتاب لان المراد أول سورة كاملة نزلت لا في شأن الانذار فلا ينافي ماتقدم عن رواية جابر مما يقتضي أن أول مانزل يا أيها المدثر لان المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت في شأن الانذار بعد فترة

الوحي أي فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم الوعد به أي لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على أنه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله أحد ويخالفه ما في الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح أن هذا روي بسند فيه ضعف قال ولم أر له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان مما نزل جملة سورة براءة وذكر أن المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا آية آية وحرفا حرفا أي كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد أنزل عليه ثلاث آيات وأربع آيات وعشر آيات كما أنزل عليه آية وبعض آية فقد صح نزول غير أولي الضرر منفردة وهي بعض آية * وفي الاتقان عن جابر بن زيد قال أول ما أنزل الله تعالى من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة الى آخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر ابن زيد من علماء التابعين هذا كلامه * وذكر بعض المفسرين أن سورة والتين أول ما نزل من القرآن والله أعلم وما تقدم من ان نزول يا أيها المدثر كان في شأن الانذار بعد فترة الوحي لانه بعد نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل أي وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى بذروة كي يلقي نفسه فيها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا وافى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك * قال وفي رواية أنه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه فكلما وافى ذروة جبل منها كي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثنى عشر يوما وقيل ثلاثة أيام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى * أقول ويبعد هذا الاشبه بقوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله أعلم * وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها

ابن اسحاق مدة معينة * أقول فى فتح البارى أن ابن اسحاق جزم بأنها ثلاث سنين والله أعلم * قال أبو القاسم السهيلى وقد جاء فى بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة أى * وفى كلام الحافظ بن حجر وهذا الذى اعتمده السهيلى لايثبت وقد عارضه ماجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن مدة الفترة كانت أياما أى وأقلها ثلاثة أى وتقدم مافيه * قال قال بعض الحفاظ والظاهر والله أعلم انها أى مدة الفترة كانت بين اقرأ وياأيها المدثر هى المدة التى اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبى انتهى * أقول ويوافق ذلك مافى الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبى قال أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفى الاصل عن الشعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يترأى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى ولم ينزل القرآن أى شئ منه على لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحى والقرآن وهو موافق فى ذلك لما فى سيرة شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر فى أن اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحى ويحتمل لان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردى لكن تقدم انه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا أن يقال لايلزم من كونه يترأى له أن يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحى هو معنى قوله يأتيه بالشئ بعد الشئ * ثم رأيت الواقدى انكر على الشعبى كون اسرافيل قرن به اولا وقال لم يقترن به من الملائكة الاجبريل أى بعد النبوة ويحتمل مطلقا * قال بعضهم ماقاله الشعبى هو الموافق لما هو المشهور والمحفوظ الثابت فى الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبى مرسل أو معضل فلا يعارض ما فى الاحاديث الصحيحة هذا كلامه * ثم رأيت الحافظ بن حجر نظر فى كلام الواقدى بأن المثبت مقدم على النافى الا أن صحب النافى دليل نفيه فيقدم هذا كلامه * ولا يقال قد وجد الدليل * فقد جاء بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا أى هدة من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء فقال يامحمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل * لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن أن يكون مستندهم فى ذلك ما فى الطبرانى عن بن عمر رضى الله تعالى عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطى

من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس فى ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا * و فى كلام الحافظ السيوطى أن مجىء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحى بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث وهو بظاهره يردما فى سفر السعادة أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين أمر الله تعالى اسرافيل أن يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة أمر جبريل بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتأمل * وعن يحيى ابن كثير قال ما خلق الله خلقا فى السموات أحسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ فى السماء يقطع على أهل السماء ذكرهم وتسبيحهم * ثم رأيت فى فتح البارى ليس المراد بفترة الوحى المقدرة بثلاث سنين أى على ما تقدم ما بين نزول اقرأ و يا أيها المدثر عدم مجىء جبريل اليه بل تأخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه أى فكان جبريل يأتى اليه بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجىء اليه بالقرآن الذى هو يا أيها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ما تقدم ثم فى تلك المدة مكث أياما لا يأتيه أصلا ثم جاءه بيا أيها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحى ثلاث سنين كما يقول ابن اسحاق وسنتين ونصف كما يقول السهيلى وسنتين كما يقول الحافظ السيوطى وبين كونها أياما أقلها ثلاثة وأكثرها أربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام هى التى كانت لا يرى فيها جبريل اصلا على ما تقدم أى ولا يرى فيها اسرافيل أيضا وفى غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلى و ينبغى أن تكون تلك الايام التى لا يرى فيها جبريل واسرافيل هى التى يريد فيها أن يلقى نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق أيضا يدل على أن النبوة سابقة على الرسالة بناء على أن الرسالة كانت بيا أيها المدثر و يصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله اقرأ باسم ربك وأرسله بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحى وعليه أكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بتلك يقول يا أيها المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمفاجأة بها الذى دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل * وذكر السهيلى أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بقوله يا أيها المدثر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد

ومن

ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد نام وترب جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة فى غزاة أحد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان ❊ وذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر واعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك أن الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه ❊ وذكر بعضهم فى تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى نفعنا الله تعالى ببركاته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى فى كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابى قال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر ❊ وجاء فى وصف اسرافيل فى بعض الاحاديث لا تفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش أو يخلفه غيره من الملائكة فى ذلك

❊(باب ذكر وضوءه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة)❊

أى أول ارساله اليه باقرأ ❊ أقول فى المواهب أنه روى أن جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وأطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل أن يكون بفعله المذكور ويحتمل أن يكون علمه بقوله افعل كذا فى وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سيأتى ❊ وفيه أن قول جبريل المذكور انما كان عند أمره باظهار الدعوة والمفاجأة بها الى الله تعالى بعد فترة الوحى كما سيأتى فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى آخره لا يحسن لانه سيأتى ان ذلك كان

في يوم نزوله له باقرأ باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله أعلم * فعن ابن
اسحاق حدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه
وسلم أي قبل الاسرا أتاه جبريل وهو بأعلا مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي
فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف
الطهور أي الوضوء للصلاة أي فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح برأسه
وغسل برجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات (ه) أي وفي رواية فغسل كفيه
ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه
ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوئه
* أقول وبهذه الرواية يرد قول بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء
التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل
ومسح الاذنين والتثليث الا أن يقال مراد هذا البعض ان ماذكر زاده على
ما في الآية * وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة
ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والله أعلم ثم قام جبريل فصلى به
صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل أن تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع
الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي أي قبل غروب الشمس * وفي الامتاع
وانما كانت الصلاة قبل الاسرا صلاة بالعشي أي قبل غروب الشمس ثم صارت
صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي
والعشي هو العصر * ففي كلام بعض أهل اللغة العصر العشا والعصران الغداة
والعشي وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود أي
جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على أنه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس
لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني
كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سيأتي أنه كان يصلي بين
الركنين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام (ه) * أي
بينه وبين بيت المقدس أي صخرته الا أن يقال يجوز أن يكون عند صلاته الى الكعبة
كان بينهما الا أنه كان الى الحجر الاسود أقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر
الاسود فلا مخالفة لكن سيأتي ما قد يفيد أنه لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات
الخمس أي بعد الاسرا وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة الى أي جهة من جهاتها
ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا
الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

وأخبرها فغشي عليها من الفرح فتوضأ لها بها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه الصلاة والسلام * وفي سيرة الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام له باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما جاء أتاني جبريل في أول ما أوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه أي رش بها فرجه أي محل الفرج من الانسان بناء على أنه لافرج له وكون الملك لافرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بأنه ليس ذكرا ولا أنثى وفيه نظر لانه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار وبذلك استدل أئمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء أن يأخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى اذا خيل له أن شيأ خرج ووجد بللا قدر أنه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وأمرني أن أنضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء أي دفعا لتوهم خروج شيء من البول بعد الوضوء لو وجد بللا بالمحل * وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جاء أنه لما اقرأه اقرأ باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء والنون أي وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل الحديث فشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ * وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة * ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه * الا أن يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية أنه كان قبل الهجرة مندوبا أي وانما وجب بالمدينة بآية المائدة يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية * ويرده ما في الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة أي فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني

بالتلاوة * قال والحكمة فى ذلك أى فى نزول الآية بعد تقدم العمل لما يدل عليه
أن تكون قرآنيته متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة يحتمل أن المراد صلاة
الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق
لما تقدم عن ابن اسحاق * و يحتمل أن المراد الصلاة الخمس أى ليلة الاسراء وهو
الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملى حيث قال وكان فرضه مع فرض
الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه * وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى
فى صلاة الليل * وقول صاحب المواهب ماذكر من ان جبريل عليه الصلاة والسلام
علمه الوضوء وأمره به يدل على أن فريضة الوضوء كانت قبل الاسراء فيه نظر ظاهر
اذ لا دلالة فى ذلك على الفرضية اذ يحتمل أن يكون اللفظ الصادر من جبريل له
أمرتك أن تفعل كفعلى وصيغة أمر مشتركة بين الوجوب والندب * وذكر بعضهم
أن الغرض من نزول آية المائدة بيان أن من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض
أو لعدم الماء يباح له التيمم أى ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها * ويؤيد
ذلك قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى الآية فأنزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية
الوضوء وهى هى لان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك الآية ويوافقه ماذكره ابن
عبد البر من اتفاق أهل السير على أن الغسل من الجنابة فرض عليه صلى الله عليه
وسلم وهو بمكة * وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما يقتضى أن فرض الغسل كان
مع فرض الصلوات ليلة الاسراء * فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من
الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعل الصلاة
خمسا والغسل من الجنابة مرة * قال بعض فقهائنا رواه أبو داود ولم يضعفه وهو اما
صحيح أو حسن قال ذلك البعض ويجوز أن يكون المراد بها أى الغرض من نزولها
فرض غسل الرجلين فى قراءة من قرأ وأرجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس
فيه الا مسحهما أى وهو أن جبريل أول ما جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى توضأ
فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح رأسه ورجليه الى الكعبين وسجد
سجدتين أى ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبى صلى الله عليه وسلم كما رأى
جبريل يفعله هذا كلامه * وفيه نظر لان أكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم
فرجليه فى هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان أرجلكم فى الآية على قراءة
الجر معطوفة على الوجوه وانما جر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة فى غير
النعت قليلا أو عبر عن الغسل الخفيف بالمسح * وفى كلام الشيخ محيى الدين مسح
الرجلين فى الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل

العدول عن الظاهر بناء على أن المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح وان هذه الواو قد تكون واو المعية * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة أي عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الآية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فعلت شيأ لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر أي للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء عليه لكل صلاة * و يوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه أي و يؤيد ذلك ظاهر ما جاء أنه أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث أي و يكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت أنه لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على أن وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روى عن أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون أي هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزى أحدنا الوضوء ما لم يحدث أي فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ * وذكر فقهاؤنا أن الغسل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكل صلاة (ه) فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة فظاهر سياقهم يقتضي أن وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان عاما في حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته و يحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الوضوء في حقه لكل صلاة في حق الامة * ومنه يعلم أن نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا الآية تقتضي وجوب الطهر بالماء والتراب لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة أي بما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح و بتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة أن يصلي الواحد منهم الصلوات بوضوء واحد وبقي التيمم على مقتضى الآية فقد وقع النسخ أولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحي غير قرآن أو باجتهاد * ولا يخفى أن كون ظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما نقله امامنا رضي الله تعالى عنه عن زيد بن أسلم أن الآية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط

أولامستم النساء فاغسلوا وجوهكم الآية والله أعلم * وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالى فى أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى أى قبل غروب الشمس * أقول ان كان المراد بأول الاسلام نزول جبريل عليه باقرأ يرد ماتقدم عن الامتاع ان أول ماوجب ركعتان بالعشى ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ركعتين الا أن براد الاولية الاضافية وفى بعض الاحاديث ما يدل على أن وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أمته منها قوله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس * وفيه أنه افترض عليه قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس * وفى الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى فكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فرادى ومثنى أى فيصلون صلاة العشى وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليها وقت الضحى لا قبل الشمس فليتأمل والله أعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج * وذهب جمع الى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة أى لا عليه ولا على أمته الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد أى بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر أى صلوا * أقول وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد فى أول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه * وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء ولم يذكر أئمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحاق من وجوب صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير فى قولهم ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلوات مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء * قال بعضهم وانما قال ذلك لان أصل الصلاة قد فرض فى حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى * وفى كلام ابن حجر الهيثمى لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ماذكر فى سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن فى القلوب وكان كلما زاد ظهورا وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه * ولم أقف على ما كان يقرأ فى صلاة الركعتين قبل فترة الوحى وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تأخر

نزولها عن ذلك كما هو الراجح * ثم رأيته في الاتقان ذكر أن جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه * وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمول على ذلك أيضا وقد تقدم ذلك والله أعلم

(باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم)

أي بعد البعثة أي الرسالة وهي المرادة عند الاطلاق بناء على أنها مقارنة للنبوة * لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث أخفى أمره وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء * أقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلماء عليه * وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين * وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله تعالى أسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة * وفيه أن بناته الاربع كن موجودات عند البعثة وبعد تأخير ايمانهن الا أن يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن أخذا مما يأتي * وعن ابن اسحاق أن خديجة كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيأ يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به * ثم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه * ففي المرفوع عن سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول هذه الامة ورودا على الحوض أولها اسلاما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه * وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه أول أصحابي اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتي حكاية الاجماع عليه وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ واحدا وأنا واحدا فجاء اليه وقال انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا وقيل وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي خصائص العشرة للزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم تولى

تسميته بعلى وتغذيته أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه * فعن فاطمة بنت أسد أم
على رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ولدته سماه عليا وبصق فى فيه ثم انه ألقمه
لسانه فما زال يمصه حتى نام * قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل
ثدى أحد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فألقمه لسانه فنام فكان كذلك
ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتأمل * وعنها رضى الله تعالى عنها أنها
فى الجاهلية أرادت أن تسجد لهبل وهى حامل بعلى فتقوس فى بطنها فمنعها من ذلك
* وكان على رضى الله تعالى عنه أصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر
سنين وبين جعفر وأخيه عقيل ذلك وبين عقيل وأخيه طالب ذلك أيضا فكل أكبر
من الذى بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على أى وكلهم
أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه * وقد جاء أنه صلى الله
عليه وسلم قال لعقيل لما أسلم يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا
لما كنت أعلم لحب عمى اياك * وكان عقيل أسرع الناس جوابا وأبلغهم فى ذلك
قال له معاوية يوما أين ترى عمك أبا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهو على
يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب * ولما وفد على
معاوية وقد غضب من أخيه على لما طلب منه عطاءه وقال له اصبر حتى يخرج
عطاؤك مع المسلمين فأعطيك فقال له لأذهبن الى رجل هو أوصل الى منك فذهب
الى معاوية فأعطاه معاوية مائة ألف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر
ما أولاك على وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى أخبركم
أنى أردت عليا على دينه فاختار دينه وأنى أردت معاوية على دينه فاختارنى على
دينه وفى رواية أن معاوية قال للجماعة يوما بحضرة عقيل هذا أبو يزيد يعنى عقيلا
لولا علمه بأنى خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال عقيل أخى خير لى فى دينى
وأنت خير لى فى دنياى وأسأل الله تعالى خاتمة الخير * توفى عقيل فى خلافة معاوية
* قال وسبب اسلام على كرم الله تعالى وجهه أنه دخل على النبى صلى الله عليه
وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له
والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم
فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا على اذا لم تسلم فاكتم هذا
فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاسلم انتهى * أقول وذلك فى اليوم الثانى من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما فى سيرة الدمياطى أى لانه تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما يأتى على القول بأن النبوة والرسالة تقارنتا لا على أن الرسالة تأخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحى على ما تقدم * وفى أسد الغابة ان أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام أخيه على بقليل * قال بعضهم وانما صح اسلام على أى مع انهم أجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم أى ومن ثم نقل عنه أنه قال

سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

أى كان عمره ثمان سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبى عام خيبر * وعن البيهقى أن الاحكام انما تعلقت بالبلوغ فى عام الخندق * وفى لفظ فى عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر أنه لم يحفظ عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال شعرا وقيل لم يقل الا بيتين أى ولعل أحدهما ما تقدم * ثم رأيت عن القاموس أن البيتين هما قوله

تلكموا قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن مهجتى لهمو * بذات ودقين لا تبقى ولا تذر

وذات ودقين هى الداهية * وقد ذكر أن الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة * ومما يدل للاول ما جاء عن بعضهم كان على والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ولدوا فى عام واحد * ومن العجب أن الزمخشرى فى خصائص العشرة اقتصر على أن سن الزبير حين أسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك بأسطر انه أول من سل سيفا فى سبيل الله وهو ابن اثنتى عشرة سنة مقتصرا على ذلك * ومما يدل للاول أيضا ما جاء فى كلام بعض آخر أسلم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على أن عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بأن عمره كان اذ ذاك عشر سنين أى بناء على أن سن امكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا * ويوافقه ما حكاه بعضهم أن الراشد بالله وهو الحادى والثلاثون من خلفاء بنى العباس لما كان عمره تسع سنين وطئ جارية حبشية فحملت منه فولدت ولدا حسنا ويرد القول بأن سنه اذ ذاك كان ثلاث عشرة أو خمس عشرة أو ست عشرة سنة * أقول قال بعض متأخرى أصحابنا وانما صحت عبادة الصبى المميز ولم يصح اسلامه

لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ما تقدم يشكل ما فى الامتاع
وأما على بن أبى طالب فلم يكن مشركا بالله أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى كفالته كاحد أولاده يتبعه فى جميع أموره فلم يحتج أن يدعى للاسلام فيقال
أسلم هذا كلامه فليتأمل فان عليا كان تابعا لابيه فى دينه ولم يكن تابعا له صلى الله
عليه وسلم كأولاده وقوله فلم يحتج أن يدعى للاسلام يرده ما تقدم من قوله صلى الله
عليه وسلم له أدعوك الى الله وحده الى آخره * ثم رأيت فى الحديث ما يدل
لما فى الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب
وآسية امرأة فرعون * والذى فى العرائس روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه
قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب
النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أفضلهم الا أن يراد
بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا للصنم * وفيه أنه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم له وادعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قيل أيضا ان أبا بكر لم يسجد لصنم قط
* وقد عد ابن الجوزى من رفض عبادة الاصنام فى الجاهلية أى لم يأت بها أبا بكر
الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة
ابن نوفل ورباب بن البراء وأسعد بن كريب الحميرى وقس بن ساعدة الايادى
وأبا قيس بن صرمة * ولا يخفى أن عدم السجود للاصنام لا ينافى الحكم بالكفر
على من لم يسجد لها لكن فى كلام السبكى الصواب أن يقال الصديق لم يثبت عنه
حال كفر بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه
فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح
اذا لم يكن أحد من جميع من ذكر أسلم * وفى كلام الحافظ ابن كثير الظاهر أن أهل
بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد خديجة وزيد وزوجة زيد أم أيمن وعلى
رضى الله تعالى عنهم فليتأمل قوله آمنوا قبل كل أحد وكذا يتأمل قول ابن اسحاق
أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن وعن ابن اسحاق ذكر
بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى
شعاب مكة وخرج معه على مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك
ثم ان أبا طالب عثر أى أطلع عليهما يوما وهما يصليان أى بنخلة المحل المعروف فقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ما هذا الذى أراك تدين به فقال هذا دين
الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثنى الله به رسولا الى العباد وأنت
أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابنى الى الله تعالى

وأعانني عليه فقال أبو طالب اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه
﴿وفي رواية أنه قال له ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني أستي أبدا وهذا
كما لا يخفى ينبغي أن يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن
عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن
يروى أن عليا رضي الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال
تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآني أصلي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بنخلة فقال ما هذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله
أبدا اني لا أحب أن تعلوني أستي فلما تذكرت الآن قوله ضحكت وقوله حين
فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بأن
ذلك كان واجبا ﴿ويذكر أن أبا طالب قال لعلي أي بني ما هذا الذي أنت عليه فقال
يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه
لم يدعك الا الى خير فالزمه أي ويذكر عنه أنه كان يقول اني لأعلم أن ما يقوله ابن
أخي لحق ولولا اني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته ﴿وعن عفيف الكندي
رضي الله تعالى عنه قال كنت امرأ تاجرا قدمت الحج وأتيت العباس بن عبد
المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن
يشتري العطر ويبيعه ايام الموسم فبينما أنا عند العباس بمنى أي وفي لفظ بمكة
في المسجد اذ رجل مجتمع أي بلغ أشده خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس
فلما رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء أي أكمله ثم قام يصلي أي الى الكعبة كما في بعض
الروايات ثم خرج غلام مراهق أي قارب البلوغ فتوضأ ثم قام الى جنبه يصلي ثم
جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت
المرأة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة فقلت ويحك يا عباس ما هذا
الدين فقال هذا دين محمد بن عبد الله أخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن أخي
علي بن أبي طالب وهذه امرأته خديجة قال عفيف بعد أن أسلم يا ليتني كنت رابعا
أي ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي
معهم أو ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سيأتي قريبا أن اسلامه كان بعد اسلام علي
ولذا أبو بكر لم يكن موجودا عندهم بناء على أن اسلامه كان قبل اسلام علي
ويؤيده ما قيل أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر لكن في الاستيعاب
لابن عبد البر أن العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ما هذا الذي يصنع قال
يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره الا امرأته وابن عمه هذا الغلام ﴿وفيه

أن عليا قال لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامة خمس سنين أى ولعل المراد أنه عبده بغير الصلاة وقوله فى هذا الحديث ننظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ وصلى قد يخالف ما تقدم من ان فرض الصلاة كانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى قبل غروب الشمس فقط * أقول قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون صلاته فى الوقت ليست مما فرض عليه والجماعة فى ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم فى النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى فى صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس * وفى كلام بعض فقهائنا أنها لم تشرع الا فى المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضى الله تعالى عنهم الا أن يقال المراد بشرعيتها طلبها فكانت فى المدينة مطلوبة استحبابا أو وجوبا كفاية أو عينا على الخلاف عندنا فى ذلك وفى مكة كانت مباحة * لكن فى كلام بعض آخر من فقهائنا أن الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة * وفيه أن القهر انما ينافى اظهار الجماعة لا فعلها الا أن يقال تركت حسما للباب * وفيه أنه بعد تركها وهم مستخفون فى دار الارقم فليتأمل والله أعلم ثم بعد اسلام على رضى الله تعالى عنه أسلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة أى لما تزوجها صلى الله عليه وسلم أى وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية أى فان عمته خديجة أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع أى وعمره ثمان سنين فانه أسر من عند أخواله طى وعليه اقتصر السهيلى فان أمه لما خرجت به لتزيره أهلها فاصابته فصل فبـ عوه فاشتراه * أى وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة أعجبها فأخذته أى ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أى اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحى أى وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لى ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لاعتقته قالت هو لك فأعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتأمل ذلك * وزعم أبو عبيدة أن زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصى حين تبناه ثم انه خرج فى ابل

لابى

لابى طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه وقال من أنت ياغلام
قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال
عربى أنت أم أعجمى قال بل عربى قال ممن أهلك قال من كلب قال من أى كلب قال
من بنى عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت
قال فى أخوالى قال ومن أخوالك قال طى قال ما اسم أمك قال سعدى فالتزمه
وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال ياحارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه
قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على أهله وولده ورزقت منه حبا
فلا أصنع الا ما شئت وركب معه أبوه وعمه واخوه * وفى رواية أن ناسا من قومه
حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا وأعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه
وعمه * وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك
الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه خيره النبى صلى الله عليه وسلم بين المكث
عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقد
ذكر انهم لما جاؤا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه
أى وفى لفظ لما قدم أبوه وعمه فى فدائه سألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو
فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل
حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك
فامنن علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قال زيد بن حارثة فقال
أوغير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء
وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على الذى اختارنى فداء فقالا لو زدت على
النصف وفى لفظ زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم
أبى وعمى ولعل سكوته عن أخيه استصغاره بالنسبة لابيه وعمه على أن أكثر
الروايات اقتصار على مجىء أبيه وعمه * وفى كلام السهيلى أن زيدا لما جاء قال
صلى الله عليه وسلم له من هذان فقال هذا أبى حارثة بن شرحبيل وهذا كعب بن
شرحبيل عمى فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له أنا من علمت وقد رأيت صحبتى
لك فاخترنى أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذى أختار عليك أحدا أنت منى مكان الاب
والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك
قال نعم ما أنا بالذى أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه
ما رأى أخرجه الى الحجر أى الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى أرثه
ويرثنى فطابت أنفسهما وانصرفا * وفى كلام ابن عبد البر أنه حين تبناه رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف أي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من أنه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على أن ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء أبيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء أبيه وعمه اظهارا لما تقدم فليتأمل * وفي أسد الغابة ان حارثة أسلم وفي كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذرى ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو كما سيأتي * قال ابن الجوزي الا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى أدعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب *ولا يخفى أنه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم ولزيد أخ اسمه جبلة أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله أي لان زيدا أفضل منه لسبقه للاسلام * ثم أسلم من الصحابة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال بعضهم في سبب اسلامه أنه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة له لما ذهب معه اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبو بكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بأبي أنت وأمي وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فيقال له سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على أن أبا بكر تأخر الى نزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ما سيأتي انه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز أنه لم يشتهر بذلك الا حينئذ

وقد

* وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر قيل ولما سمعت خديجة مقالة أبي بكر فخرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة واسمه عبد الله أي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فأبو بكر رضي الله تعالى عنه أول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه أو لأنه عتق من الذم والعيب أي أو نظر اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو أول لقب وجد في الاسلام وقيل سمته بذلك أمه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل ما ذكر بعضهم أن أمه كانت اذا هزته تقول عتيق وما عتيق ذو المنظر الانيق * وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح أن الملقب له به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة وانه غلب عليه من يومئذ قال وبه يندفع أن الملقب له به أبوه وزعم أنه أمه هذا كلامه وليتأمل قوله في بيت عائشة مع ما تقدم وما في كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم أنت عتيق من النار * وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان من أعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان أبو بكر أعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان أعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك أنه قال انما أخذت النسب من أبي بكر لاسيما انساب قريش فانه كان أعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فانه كان بعد أبي بكر أعلم قريش بانسابها وبآبائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وأيام العرب ووقائعهم * وفي كلام بعضهم كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد * قال الزمخشري ولعله كني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضي الله عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم

أبي عبيدة بن الجراح الحمد لله * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة أي وقفة وتأخر وتردد الاما كان
من أبي بكر وفي رواية ما كلمت أحدا في الاسلام الا أبى علي وراجعني في الكلام
الا أبا قحافة فاني لم أكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه أي ومن ثم كان أشد
الصحابة رأيا وأكملهم عقلا الخبر تمام أتاني جبريل فقال لي ان الله أمرك أن تستشير
أبا بكر ونزل فيه وفي عمر وشاورهم في الامر * كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه بمكان
الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها * وقد جاء
ان الله تعالى أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين
من أهل الارض أبي بكر وعمر * وفي حديث رواته ثقات ان الله يكره أن يخطئ أبو
بكر وفي رواية ان الله يكره في السماء أن يخطئ أبو بكر الصدّيق في الارض
* وجاء الحسن بن علي وهو صغير الى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل
عن مجلس أبي فقال مجلس أبيك والله لا مجلس أبي فأجلسه في حجره وبكى فقال
علي والله ما هذا عن رأيي فقال والله ما اتهمتك * ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر أبي
فقال له منبر أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا فقام علي فقال له ما أمره بهذا أحد ثم قال
للحسين لا وجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن أخي صدق منبر أبيه قال وسبب مبادرته
الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته
قبل دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل الى مكة فدخل في كل بيت منه
شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض أهل الكتاب فعبرها له بأنه
يتبع النبي المنتظر الذي قد ظل زمانه وانه يكون أسعد الناس به ولعل هذا الذي
من أهل الكتاب هو بحيرا فقد رأيت أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى رؤيا فقصها
على بحيرا فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون أنت وزيره
في حياته وخليفته بعد مماته أي وأخرج أبو نعيم عن بعض الصحابة أن أبا بكر
رضي الله تعالى عنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة أي علم أنه النبي
المنتظر لما مر عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرأ الكتب
نزل به في اليمن فقال له أحسبك حرميا فقال أبو بكر نعم فقال له أحسبك قرشيا
قال نعم فقال له أحسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لي فيك واحدة قال وما هي قال له
تكشف لي عن بطنك فقال له لا أفعل أو تخبرني لم ذلك فقال أجد في العلم الصحيح
الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاون على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات

ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة أى مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله أحسبك حرميا أحسبك قرشيا أحسبك تيميا وما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت فيك الصفة أى كونه حرميا قرشيا تيميا أبيض نحيف الا ماخفى على فقال أبو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة بيضاء سوداء فوق سرتى أى ورأى العلامة على الفخذ الايسر فقال أنت هو ورب الكعبة * قال أبو بكر فلما قضيت أربى من اليمن أتيته لاودعه فقال أحافظ عنى أبياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى قلت نعم فذكر له أبياتا * قال أبو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش كعقبة بن أبى معيط وشيبة وربيعة وأبى جهل وأبو البخترى فقالوا يا أبا بكر يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية أى لان أبا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم * قال أبو بكر فصرفتهم على أحسن شئ ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى وقال يا أبا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذى أفادك الابيات فقلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك العظيم الذى يأتى الانبياء قبلى قلت مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله * قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى لفظ أشد سرورا منى باسلامى ولا مانع من صدق الامرين منه رضى الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما الى آخره على تقدير صحة الروايتين وما جاء من شعر حسان رضى الله تعالى عنه من ان أبا بكر أول الناس اسلاما حيث يقول فيه وأول الناس منهم صدق الرسلا وانه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت يا حسان كما سيأتى عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه أول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من أهل السنة لا ينافى ما تقدم من ان عليا أول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد أول رجل بالغ ليس من الموالى أسلم أبو بكر أى وعبارة ابن الصلاح والاورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أى غير الموالى أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل على ان اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالى تأمل وان مراد من قال ان أبا بكر سبق عليا فى الاسلام أى فى اظهار

الاسلام لانه حين أسلم أظهر اسلامه بخلاف على * فقد جاء عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه سبقنى الى أربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وانا أخفيته ولعله لا ينافى ذلك ما جاء بسند حسن أن أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب لان ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فى دار الارقم كما سيأتى فالاولية اظهار الاسلام اضافية قال ابن كثير * وورد عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روى فى هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة كلها لا يصح شىء منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها مراده أول من أسلم من الصبيان فالاولية اضافية * ومما يؤثر عن على رضى الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعو ويستبطئ الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصى * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضى الله تعالى عنها أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبى بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب * وينبغى أن تكون أم أيمن سابقة فى الاسلام على أم الفضل على ما تقدم * وقول السراج البلقينى للزين العراقى ان أول رجل أسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبى صلى الله عليه وسلم انا أشهد انك الذى بشر بك عيسى ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل * قد علمت ما فيه وانه انما كان من أهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبى وهو يرد القول المتقدم بأن وفاة ورقة تأخرت عن البعثة فورقة ونحوه كبحيرا ونسطورا من أهل الفترة لا من أهل الاسلام ويؤيده ما تقدم ان باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة فى الاسلام لا رجل ولا امرأة لكن هؤلاء من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وآمن وصدق بأنه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الآخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة قال لقد رأيت القس يعنى ورقة فى الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بى وصدقنى الى آخر ما تقدم وعلى تسليم أنه لا يشترط فى المسلم أن يؤمن ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكفى ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابى لان الصحابى من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى أى محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبى على ابن منده أى ومن وافقه كالزين العراقى فى عده له من الصحابة أى كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر أن من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من أهل الفترة هذا كلام

الحافظ الذهبي والمراد بالرسالة نزول يا أيها المدثر ظاهر ونزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تأخير الرسالة عن النبوة وحين أسلم أبو بكر رضي الله تعالى عنه دعا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أي ولما أسلم عثمان رضي الله تعالى عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وفي كلام ابن الجوزي أن المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك وجاء لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان * وأسلم بدعاء أبي بكر أيضا الزبير ابن العوام رضي الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم * وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحارث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن خلف لي صديقا فقال لي يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال لي اني لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك * قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكف الحميري فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل خالف منكم عليكم في دينكم فأقول لا حتى كان السنة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن ونزلت عليه الى آخر القصة * وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف أنت أمين في أهل الارض أمين في أهل السماء وجاء أنه وصفه بالصادق الصالح البار * وأسلم بدعاية أبي بكر رضي الله تعالى عنه أيضا سعد بن أبي وقاص أي فان أبا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يبعد وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن أمره فأخبر به (ص) فأسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو رضي الله تعالى عنه من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد خالي فليرني أمرؤ خاله وفي كلام السهيلي أنه عم آمنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت له ألست تزعم ان الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد أي وتمس اسافا

وبأنها فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت أولا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت * وفي الانساب للبلاذري عن سعد قال أخبرت أمي اني كنت أصلي العصر أي الركعتين اللتين كانوا يصلونها بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح الا أعوان تعينوني عليه من عشيرتي أو عشيرته فأحبسه في بيت وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الي أن عد الى منزلي ولا تتضيفن فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرت تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني بأخي عامر وتقول هو لبر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها مالم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوء مقعدك من النار * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر سعد ابن أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه في مرض نزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن ابن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحارث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن اني لارجو ان يشفيك الله حتى يضربك قوم وينتفع بك آخرون ثم قال الحارث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لا ارجو شفاءه فيما ينفعه من رحله هل معك من هذه الثمرة العجوة شيء قال نعم فخلط ذلك الثمر بحلبة ثم أوسعها عينا ثم أحشاه اياها فكأنما انشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وانكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة أهل الكفر في الطب اذا كانوا من أهله * وممن أسلم بدعاية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أيضا طلحة بن عبد الله التيمي فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فأسلم أي ولما تظاهر أبو بكر وطلحة بالاسلام أخذهما نوفل ابن العدوية وكان

يدعى احد أسد قريش فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية * أقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه ما تقدم أنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم انا قال هل ظهر أحمد بعد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن أبى قحافة فخرجت حتى دخلت على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة وطلحة هذا هو احد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل آخر فى اسمه واسم أبيه ونسبته وهو طلحة بن عبيد الله التيمى وهو الذى نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه الآية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفى لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لان مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية * قال الحافظ السيوطى وقد كنت فى وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة أجل مقاما من أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجلا آخر شاركه فى اسمه واسم أبيه ونسبه هذا كلامه * والحاصل أن أبا بكر أسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة عثمان وطلحة ابن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة بن الجراح وكان كل من أبى بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبى وقاص يصنع النبل والله أعلم ثم دخل الناس فى الاسلام منهم عبد الله ابن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث به قال كنت فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر بن أبى قحافة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكنى مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص لاضرع لها فمسح النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا فى الاصل * وفى الصحاح كما فى النهاية الشصوص التى ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل

لا ضرع لها أي لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع أي محل اللبن فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقا أبابكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع أقلص فرجع كما كان أي لا وجود له على ظاهر ما في الاصل أولا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

و رب عناق ما ترى الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

* قال ابن مسعود فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله علمني مسح رأسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم * أقول فان قيل قول ابن مسعود ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها يخالف ما سيأتي في حديث المعراج والهجرة أن العادة كانت جارية بإباحة مثل ذلك اللبن لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك واذا كان ذلك أمرا متعارفا مشهورا يبعد خفاؤه قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين بالجواز أن يكون تلك الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها مسافرا ولعله لا ينافي ذلك ما سيأتي أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له * وكان عبد الله بن مسعود يعرف بأمه وهي أم عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضي الله تعالى عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان أثقل من أحد وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد وقوله لرجل عبد الله في الميزان يدل للقول بأن الموزون الانسان نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم أقف على أنه أسلم حين أحفلت الشاة لكن قول العلامة ابن حجر الهيثمي في شرح الاربعين أسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى آخره يدل على أنه أسلم حينئذ * ومما يزهد عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها

فى سرور وهو ربح والله أعلم * وذكر فى الاصل أن من السابقين أباذر الغفارى واسمه
جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما * قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل
أن آتى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث وجهنى ربى فبلغنا
أن رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لاخى أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه
وائتنى بخبره فلما جاء أنيس قلت له ما عندك فقال والله رأيت رجلا يأمر بخير
و ينهى عن الشر وفى رواية رأيتك على دينه يزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم
الاخلاق قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق
وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة
فحملت جرابا وعصا ثم أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا أعرفه واكره أن أسأل
عنه فمكثت فى المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت
حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على بطنى سخنة جوع والسخنة
بالتحريك قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جا آ فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما اقضى صلاته أتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل قلت
من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم ههنا
قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت
عكن بطنى وما أجد على بطنى سخنة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم
أى وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك
الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقيا الله اسماعيل
وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم
لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتحية الاسلام وبايع صلى الله عليه وسلم أن لا يأخذه فى الله لومة لائم
وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت
الخضراء أى السماء ولا أقلت الغبراء أى الارض أصدق من أبى ذر وقال صلى الله
عليه وسلم فى حقه أبو ذر يمشى فى الارض على زهد عيسى بن مريم وفى الحديث
أبو ذر أزهد أمتى وأصدقها وقد هاجر أبو ذر الى الشام بعد وفاة أبى بكر واستمر
بها الى ان ولى عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة

فكان بها حتى مات فان أبا ذر صار يغلظ القول لمعاوية و يكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لقيا أبي ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وأنه قال له ما أقدمك هذه البلد فقال له أبو ذر ان كتمت علي أخبرتك * وفي رواية ان أعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني أخبرتك نفعل قال أبو ذر فاخبرته فأرشدني وأوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت * وفي الامتاع ان عليا استضاف أبا ذر ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ثم في الثالث قال له ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت علي أخبرتك قال فاني أفعل قال له بلغنا انه خرج هنا رجل يزعم انه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت ان ألقاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي أي خروجي اليه فاتبعني أدخل حيث ادخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأني أصلح نعلي وفي لفظ كأني أريق الماء فامض أنت قال أبو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب أبي ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد أن يكون علي رضي الله تعالى عنه أضاف أبا ذر ولم يأكل عنده وكذا يبعده ما جاء أن أبا بكر قال يا رسول الله ائذن لي في اطعامه الليلة قال أبو ذر وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابا فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته الا أن يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين أي رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بأن يكون ابو ذر دخل عليه أولا مع علي ثم لقيه في الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله في ليلة لم يطف بالبيت أحد الى آخره والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى آخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا أبا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتوني فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في أول الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما يأتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلى صوت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا

رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضرب لاموت وفي لفظ فمال على أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس ثم قال لهم ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاراتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ماصنع وادركني العباس وكان منه كالامس فخرجت وأتيت أنيسا فقال ماصنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالي رغبة عن دينك فاني قد أسلمت وصدقت فأتينا آمنا فقالت مالي رغبة عن دينكما فاني أسلمت وصدقت ثم أتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال نصفهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثاني أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم بك ويؤجرك فيهم * وجاءت أسلم القبيلة المعروفة فقالوا يارسول الله نسلم على الذي أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله أي وقد ذكر ان أبا ذر وقف يوما عند الكعبة أي في حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لوأن أحدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا مايصلحكم قالوا ومايصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور * وممن أسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل كان حين أسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو أول من أسلم من اخوته ويمكن ان يكون ذلك محمل قول ابنته أم خالد أول من أسلم أبي أي من اخوته وسبب اسلامه انه رأى في النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريدان يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال أحلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى أبا بكر فذكر له ذلك فقال له أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يامحمد ماتدعو وقال أدعو الى الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد * وفي الوفاء عن أم خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك

اذ خرج نور أى من زمزم ثم علا فى السماء فاضاء فى البيت ثم أصاب مكة كلها ثم تحول الى يثرب فأصابها حتى انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو ابن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر يكون فى بنى عبد المطلب الا ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد مبعثه فقال يا خالد أنا والله ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم أبوه وهو سعيد أبو احيحة وكان من عظما قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

أبا أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

* وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه أى بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال أتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب المتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لأمنعنك القوت قال ان منعتنى فان الله يرزقنى ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد أول من هاجر اليها * وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة أبدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم * وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سبب الاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد فكانت سبب اسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما * وأسلم من بنى سعيد أيضا أبان والحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * أى ومن السابقين للاسلام صهيب كان أبوه عاملا لكسرى أغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشا فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ وابتاعه منهم بعض أهل مكة أى وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله

صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر بن يزيد فقال له عمار بن ياسر ابن تريد يا صهيب قال أريد ان أدخل الى محمد فأسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما القران فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى أمسيا خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه اين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك فأعجبهما فأسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب المطيب ❊ وأسلم أيضا حصين والد عمران بن حصين رضى الله تعالى عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده في الصحابة فقال حصين ماهذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحدا في السماء فقال فاذا أصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال قال الذي في السماء قال فيستجيب لك وحده وتشرك معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أى عتبته رأته قريش قالوا قد صبا وتفرقوا عنه

❊(باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى دار الارقم بن ابى الارقم رضى الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب فى ان يخلى بينهم وبينه وما لقى هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه)❊

❊عن ابن اسحاق انه ❊ذكر انما أخفى صلى الله عليه وسلم أمره أى المدة التى صار يدعوا الناس فيها خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين أى فكان من أسلم اذا أراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين أى كما تقدم فبينما سعد بن أبي وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم

ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم أهريق فى الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستخفين فى دار الارقم أى بعد هذه الواقعة فان جاعة أسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور وأعطاها ولده المهدى ثم أعطاها المهدى للخيزران أم ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه وولادة جارية عبد الملك ابن مروان فانها أم الوليد وسليمان (ه) وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان أمره الله تعالى باظهار الدين أى وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو وأصحابه فى دار الارقم الى ان أظهر الدعوة وأعلن صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة أى وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم أربع سنين وأعلن فى الخامسة وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون * وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة وأعلانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرابعة أو الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وبقوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أى أظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب أى وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد المطلب بدليل ما يأتى * قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها * وقال بعضهم انما أمر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم * قال ذكر بعضهم أنه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أى عجز عن احتماله (ه) فمكث شهرا أو نحوه جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك أى مريض فدخلن عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد ان أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم أى وكنى عبد العزى بأبى لهب لجمال وجهه ونضارة لونه كأن وجهه وجبينه ووجنتيه لهب النار أى خلافا لما زعمه بعضهم ان ولده عقبة

الاسد أو ولدا آخر غيره كان اسمه لهب * قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير أبى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أى الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله * وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام أيضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش * وفى كلام القاضى وانما كناه والكنية تكرمة أى بالعدول عن الاسم اليها لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذى هو الصنم فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله فى الآخرة فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة أو تعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها * قال فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه ما يكره وقال تبا لك ألهذا جمعتنا أى وأخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بأشر ما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس انتهى * أى وفى الامتاع أن أبا لهب ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريدوا ترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وأن أحق من أخذك وحبك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بشر ما جئتهم به وعند ذلك أنزل الله تعالى تبت أى خسرت وهلكت يدا أبى لهب وتب أى خسر وهلك بجملته أى أو المراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثانى الخبر على حد قولهم أهلكه الله وقد هلك أى ولما قال أبو لهب عند نزول تبت يدا أبى لهب وتب ان كان ما يقوله محمد حقا افتديت منه بمالى وولدى نزل ما أغنى عنه ماله وما كسب أى وأولاده لان الولد من كسب أبيه أى * وفى رواية وهو فى الصحيحين أنه دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار أى وفيه انه انما أمر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار يا صفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم

من الله شيأ * وفى لفظ لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة
نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم منى
فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها أى
أصلها بالدعاء أى والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الماء أو اللبن وبل رحمه
اذا وصلها وبلوا أرحامكم ندوها بالصلة * وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى
صلوها أى وقد ذكر أئمتنا ضابط الصلة * وفى تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة
من بين بناته مع انها أصغرهن وقيل أصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم
صفية من بين عماته حكمة لا تخفى * ومن الغريب ما فى الكشاف من زيادة يا عائشة
بنت أبى بكر يا حفصة بنت عمر * وعندى أن ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا
من خلط بعض الرواة وأن هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض
الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم الا أن تقولوا لا اله الا الله مع أنه تقدم أن بناته عليه الصلاة والسلام لم يكن
كفارا فليتأمل * ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل وأمره بامضاء
أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم
أن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس
جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة
والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون
بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة أبدا والنار أبدا والله يا بنى عبد المطلب
ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم
القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يا بنى عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على
يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم فان أسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت
له أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنها أى أخى
أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئى
أى أصل عبد المطلب نبى فهو هو قال هذا والله الباطل والامانى وكلام النساء
فى الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن
عندهم الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه
وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سنح
بالنون والحاء المهملة أى أصل وفى لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا الجبل تريد
أن تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش أنقذوا

أنفسكم من النار فاني لا أغني عنكم من الله شيأ اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد أي وفي لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم * ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم أنا النذير العريان أي الذي ظهر صدقه من قولهم عري الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار أي ظاهر وقيل الذي جرده العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل واختلف الروايات في محل وقوفه ففي رواية وقف على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على أضمة من جبل فعلى اعلاها حجرا يهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولا الحديث وفي رواية صاح على أبي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير (وروي) انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون وفي الامتاع خمسة وأربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم علي طعاما أي رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة وفي رواية يشرب الفس من الشراب في مقعد واحد فقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم سحرا عظيما صاحبكم وفي رواية محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويؤازرني أي يعاونني على القيام به قال علي أنا يا رسول الله وأنا أحدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال أنا يا رسول الله قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال أنا يا رسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجب أحد منهم فقام علي فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي

ووارثي وخليفتي من بعدي * قال الامام أبو العباس بن تيمية أي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له أدنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه أي الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال أحمد انه ليس بثقة عامة أحاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث * وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لي أدع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون على فعل ذلك عند خديجة وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعى قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه أي وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم أي وسفه عقولهم وضلل أباءهم أي حتى انه مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا أي عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل أباءنا فاما أن تكفه عنا وأما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله * وفي الكفر شدة واباء

أمما أشربت قلوبهم الكفر * فداء الضلال فيهم عياء

أي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعاتهم الى الله تعالى بأن يقولوا لا اله الا الله حسبما أمر * فقد جاء أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وأطيب رائحة وقال يا محمد أن الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال أن في أهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن أتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال أي داء هو الضلال فيهم عضالا يعيي الاطباء مداواته

وحصول شفائه ثم شرى الامر أى بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم و بينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أى أضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض أى حث بعضهم بعضا عليه أى على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا أى عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى أن قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر مالا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ماتركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخى فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك وأنشد أبياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ✽ حتى أوسد فى التراب دفينا

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لاتخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير الممحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ✽ ومن غريب التعبير أن رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لى عملا ✽ فاتفق أن هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أنهد أى أشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه لك ولدا أى بأن تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل

كرجلي فقال لهم أبو طالب والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أي وقال أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها (ه) قال المطعم بن عدي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيأ فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكن قد اجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك أي وقد مات عمارة بن الوليد هذا على كفره بأرض الحبشة بعد أن سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سيأتي ومات المطعم بن عدي المذكور على كفره أيضا فعند عدم قبول أبي طالب ما أرادوه اشتد الامر * ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه * فما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدثت به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل فقال لله علي ان رأيت محمدا ساجدا ان أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شأن أبي جهل كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى الى أن بلغ آخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى لقد سد أفق السماء علي وفي رواية رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي أن قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في أبي جهل * ومن ذلك ما حدثت به بعضهم قال ذكر أن أبا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم اني أعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة أي وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام الى صخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن

اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في أنديتهم وهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع وقد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده أي بعد أن عالجوا فكه من يده فلم يقدروا كما سيأتي وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنى لاخذه * والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

أي وأبو جهل الذي هو أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت أن هم أن يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أبصر عنق الفحل وقد برزت اليه كأنه الداهية العظيمة أي فرجع عن ذلك الرمي بذلك الحجر أي وفي رواية أن أبا جهل قال رأيت بيني وبينه لخندقا من نار ولا مانع أن يكون وجد الامرين معا * وذكر في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي انا جعلنا أيديهم متصلة بأعناقهم واصلة الى أذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الاولى نزلت في أبي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ما وقع لابي جهل قال أنا ألقي هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك * وعن الحكم بن أبي العاص أبي مروان بن الحكم أن ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رأيناه يصلي ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أي ظننا أنه تفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأيت الصفا والمروة التصقتا

احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه وتأمل هذا الان صلاته صلى الله عليه وسلم
انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة * وفي رواية كان صلى الله عليه
وسلم يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى
عبدا اذا صلى الى آخر السورة * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من
صلاته زبره أبو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم ما بها نادأ كثر مني فانزل الله تعالى
فليدع ناديه سندع الزبانية * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو دعى ناديه
لاخذته زبانية الله أي وقال يوما ولقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله
تعالى فيه ذق انك أنت العزيز الكريم كذا قاله الواحدي أي تقول له الزبانية عند
القائه في النار ما ذكر توبيخا له * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال لما أنزل الله
تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل واسمها العوراء
وقيل اسمها أروى بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب ولها ولولة وفي يدها فهر أي
بكسر الفاء وسكون الهاء حجر يملأ الكف فيه طول يدق به في الهاون الى النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلما رآها قال يا رسول الله
انها امرأة بذية تأتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال صلى الله عليه وسلم
انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني أي * وفي لفظ ما شأن
صاحبك ينشد في الشعر قال لا وما يقول الشعر أي ينشئه * وفي لفظ لا ورب
هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر أي لا يحسن انشاؤه
قالت له أنت عندي تصدق وانصرفت أي وهي تقول قد علمت قريش أني بنت
سيدها أي تعني عبد مناف جد أبيها ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لاحد أن يتجاسر
على ذمه قلت يا رسول لم لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحه * أي فقد جاء في رواية
أنه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها أبو بكر
فقالت اتهزؤ بي والله ما أرى عندك أحدا * أقول وفي الامتاع انها جاءت وهو
صلى الله عليه وسلم في المسجد معه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفي يدها فهر
فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر
فأقبلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالت ابن صاحبك قال وما تصنعين به
قالت بلغني أنه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فيه فقال عمر رضي الله
تعالى عنه ويحك أنه ليس بشاعر فقالت أني لا أكلمك يا ابن الخطاب أي لما تعلمه
من شدته ثم أقبلت على أبي بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقالت والشواقب أي

النجوم انه لشاعر وانى لشاعرة أى فكما هجانى لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال انها لن ترانى جعل بينى و بينها حجاب أى لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وفى رواية أقبلت ومعها فهران وهى تقول مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا * فقالت أين الذى هجانى وهجا زوجى والله لئن رأيته لاضربن أنثييه بهذين الفهرين قال أبو بكر فقلت لها يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبى صلى الله عليه وسلم حال بينى و بينها جبريل ولعل بحثها قد تكرر فلا منافاة بين ماذكر وكذا ما يأتى وكما يقال فى الحمد محمد يقال فى الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما أن محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى كما تقدم * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد * وفى الدر المنثور رأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى الملاء فقالت يا محمد على م تهجونى قال انى والله ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت رأيتنى أحمل حطبا أو رأيت فى جيدى حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين أن الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أى ينم لانها كانت تمشى بين الناس بالنميمة وتغرى زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على عداوته صلى الله عليه وسلم وأن الحبل عبارة عن حبل من نار محكم * وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم * والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر * وجاءت كأنها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول أفى مثـــلى من أحمد يقال الهجاء
و تولت وما رأته ومن أيـــن ترى الشمس مقلة عمياء

أى دهيأت حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحطب أى تجمع الحطب وتحمله لبخلها ودناءة نفسها أو كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه فى طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها بعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذى يملأ الكف كما تقدم لتضرب به النبى صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت فى غاية السرعة والعجلة كأنها فى شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها فى سورة تبت يدى

أبي لهب تقول أفي مثلي وأنا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء والسب حالة كونه من
أحمد وتوالت والحال انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء أقول في ينبوع الحياة
انها لما بلغها سورة تبت يدي أبي لهب جاءت الى أخيها أبي سفيان في بيته وهي
مضطرمة أي متحرقة غضبي فقالت له ويحك يا أحمس أي يا شجاع أما تغضب
أن هجاني محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت
هل قتلته فقال لها يا أخية أيسرك أن رأس أخيك في فم ثعبان قالت لا والله قال
فقد كان ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم
رأسه * ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لابنه عتبة أي
بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح كما سيأتي رأسي من رأسك حرام
ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها
ففارقها * ووقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل وكان أخوه عتيبة
بالتصغير متزوجا بابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها فقال أي وقد أراد
الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
أي وفي لفظ برب النجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله
عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
وفي رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب
وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه أبي لهب فأخبره
بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير
فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم سني وحقي
فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني
دعوة محمد فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله
ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم
حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فضخ رأسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه
ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة فكانت اياها فقال
وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت
والله ما كان ليفلت من دعوة محمد * أقول وحلفه بالنجم الى آخره يدل على أن ذلك
كان بعد الاسراء والمعراج ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هذا فلان ينشد
الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله
بشيء قال نعم قال فأنشد

علينا كوازيدا على رأس نخلة * ولم أره يهدى على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علي وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة وضعف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذي هو الحيوان * وقد جاء انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح والله أعلم * ومما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه أي روثه في كرشه فقال أبو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد أي وفي رواية قال قائل ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه * وفي رواية أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان الجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ اشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أي فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض أي من شدة الضحك قال ابن مسعود فهبنا أي خفنا ان نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها أي بعد ان ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره في الصلاة عند فقهائنا لعدم علمه بنجاسة ما ألقي عليه ولما ألقته عنه أقبلت عليهم تشتمهم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك أي عقابك الشديد على مضر سنين كسني يوسف اللهم عليك بأبي الحكم بن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف زاد بعضهم وشيبة ابن أبي ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع في رواية في مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك الوقت موجودا أو كان صغيرا جدا وعمارة ابن الوليد أي وهو المتقدم ذكره الذي أرادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم * أقول والذي في المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة

قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم ذكره
* وفي الامتاع فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم
وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك
بقريش فلما سمعوا صوته ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك
بأبي جهل بن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رأيتهم وفي رواية رأيت
الذي سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر
* واعترض بأن عمارة ابن الوليد مات بالحبشة كافرا كما تقدم وبأتي وبان عقبة بن
أبي معيط لم يقتل ببدر وانما أخذ اسيرا منها وقتل بعرق الظبية كما سيأتي وبان أمية
ابن خلف لم يطرح بالقليب * وأجيب بأن قول ابن مسعود رأيتهم أي رأيت
أكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلي
وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله أعلم والمراد بسني يوسف بتخفيف الياء
و يروى سنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب أي فاستجاب الله دعاءه
فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أي يخلط
الدم بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان
من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد
انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر
فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءتهم قالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون أي لانعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا أي وفيه
ان هذا انما كان بعد الهجرة فسيأتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه
من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم أنج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين
بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل
ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء وسيأتي ما فيه وقد يقال لا مانع
ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة أخرى سيأتي الكلام عليها
* ثم رأيت في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي قد روي
في قصة أبي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين أي وسيأتي
في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان تأتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك
وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش

على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر و في رواية فيه أيضا لما ابطأوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر * ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل ابن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته أي جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر وأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى ان نعبد ما كان يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع ناهضوه أي قاموا اليه ووثب أبو جهل يريد ان يأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعته في صدره فوقع على أسته ودفع أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر * أقول ولا يخالف ذلك كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم * وفي رواية ان عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه

تبرزان * أى وفى رواية دخل عقبة بن أبى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم
يصلى فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم * أى
وفى البخارى عن عروة ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن
العاص أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة ابن أبى معيط فأخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث ولعل أشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما
أو ما رآه * وعنه رضى الله تعالى عنه قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد
ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع
ساداتهم وكبراؤهم فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا
لامر كصبرنا الامر هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق
جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم
لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك
فى وجهه ثم مر بهم الثالثة دلمزوه فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما
والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فارتقبوا الكلمته صلى الله عليه وسلم ذلك وما بقى
رجل منهم الا كانما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله
ما كنت جهولا فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض
ذكرتم ما بلغ منكم وما نقلكم عنه حتى اذا نادا كم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك
اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به
وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنى عيب المتهم ودينهم فقال نعم أنا الذى
أقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام أبو بكر دونه
وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة
فى قلوبهم فانصرفوا عنه فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى رواية أأنت تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا با جمعهم فأتى الصريخ
الى أبى بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر يضربونه قالت بنته اسماء فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءانهم جذبوا رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبوبكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله أي وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم ياأبابكر فوالذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالربح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم * وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت اجتمعت مشركوا قريش في الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت فدخلت على أبي فذكرت ذلك له أي قالت له وهي تبكي تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يابنية اسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج صلى الله عليه وسلم أي بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم الا قتل ببدر أي وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبولهب والحكم بن أبي العاص ابن أمية والد مروان وعقبة بن أبي معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه عليه أخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول يابني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان في اسلامه شيء وتقدم انه صلى الله عليه وسلم نفاه الى وج الطائف وانه سيأتي السبب في نفيه * وأشار صاحب الهمزية الى ان هذه الاذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن ظان أنها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء

كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النار * لما اختير للنضار الصلاء

أي لا تظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة

كونها صادرة منهم لان كل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة التي تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التي تحصل لهم أيضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة

* قال ومما وقع لأبي بكر رضي الله تعالى عنه من الاذية ما ذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من اصحابه فيها سرا أي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور أي الخروج الى المسجد فقال يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه الى المسجد وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملوه في ثوب الى ان أدخلوه منزله ولا يشكون في موته أي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب أي فانها كانت أسلمت رضي الله تعالى عنها كما تقدم وهي تخفي اسلامها فأتت سألها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا اعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضي الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لأرجوا ان ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها أي لا تفشي سرك قالت سالم فقال أين هو فقالت في دار الارقم فقال والله لا اذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن

الناس فخرجنا به يشكي على حتى دخل على رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبي وأمي أنت يا رسول الله مابي من بأس الاما نال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها فعسى الله ان ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت انتهى هذا * وذكر الزمخشري في كتابه خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابي بكر لما اسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد * ومما وقع لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا الامن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت الشمس وقريش في أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتأملته قريش وقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون * ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم * ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وهو ما حدث به بن اسحاق قال حدثني به رجل من أسلم أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا أي وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه أي وقيل انه صب التراب على رأسه أي وقيل ألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان في سكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف ابو جهل الى نادي قريش أي محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أي من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر

أي فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من أبي الحكم بن هشام تعني أبا جهل وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم أي وقيل الذي أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر أبو حيان في النهر فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذي تقولين قالت نعم وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت * أي وفي لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف أبانا قال ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقامت رجال من بني مخزوم أي من عشيرة أبي جهل الى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه انا أشهد انه رسول الله وان الذي يقوله حق والله لا أنزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة أي ويكنى أيضا بأبي يعلى اسم ولد له أيضا فاني والله لقد أسمعت ابن أخيه شيأ قبيحا وتم حمزة على اسلامه أي استمر أي بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابي وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اني قد وقعت في أمر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلي على مالا أدري ارشد هو أم غي شديد فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله تعالى في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لصادق فأظهر يا ابن أخي دينك (ه) وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني أبا جهل وسر رسول

الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة أى أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على بعض أصحابه لاذية سيما المستضعفين منهم الذين لاجوار لهم أى لاناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه (ه) بالحبس والضرب والجوع والعطاش وغير ذلك أى حتى ان الواحد منهم ما يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بأن رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به (ه) حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وأبى قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى ابن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر

(وممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع للكفر بلال رضى الله تعالى عنه) وكان مملوكا لامية بن خلف فعن بعضهم ان بلالا كان يجعل فى عنقه حبل يدفع الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد بالرفع والتنوين أو بغير تنوين أى الله أحد أربا أحد فهو اشارة لعدم الاشراك وقد أثر الحبل فى عنقه *وعن ابن اسحاق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره فى الرمضاء أى الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد أى انا لا اشرك بالله شيأ انا كافر باللات والعزى أى وقيل كان بلال مولدا من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمى وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أمر بهم فأخرجوا من مكة أى خوف اسلامهم فأخرجوا الابلالا فانه كان يرعى غنمه فأسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال يوما على الاصنام التى حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله وقالوا له أصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم أى ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالف ما تقدم من أن أمية

ابن خلف كان يتولى تعذيبه وما يأتي من ان أبا بكر اشتراه منه ويقال انه صلى الله
عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال سينجيك أحد احد أي قيل ومر عليه ورقة
ابن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال نعم احد أحد والله يا بلال ثم أتى الى أمية وقال له
والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا أي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من
أهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة التي هي الرسالة وتقدم ما فيه
وكان بلال بقوله أحد أحد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضي الله
تعالى عنه انه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا ألقى
الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء * وقد ذكر بعضهم
ان هذا قاله أبو موسى الاشعري ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو
في خيبر أي صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه * ومر به أبو بكر رضي الله
تعالى عنه يوما وهو ملقى على ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن
خلف الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه
مما ترى قال أبو بكر عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى أي على دينك أعطيكه
به قال قبلت قال هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه * وفي تفسير
البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان أمية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه في بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعني عبدا لابي
بكر رضي الله تعالى عنه كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجواري ومواشي
وكان مشركا يأبى الاسلام فاشتراه أبو بكر به هذا كلامه * وفي الامتاع لما ساوم
أبو بكر أمية بن خلف في بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها أحد
بأحد ثم تضاحك وقال له أعطني عبدك قسطاس فقال أبو بكر ان فعلت تفعل
قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت
تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته
قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدني معه
مائتي دينار فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنت رجل لا تستحي من الكذب قال
لا واللات والعزى لئن أعطيتني لافعلن فقال هي لك فأخذه هذا كلامه وقيل
اشتراه بتسع وقيل بخمس أواق أي ذهبا أي وقيل ببردة وعشرة أواق من فضة
وفي رواية برطل من ذهب وروي ان سيده قال لابي بكر لو أبيت الا أوقية أي لو قلت
لا اشتريه الا بأوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة اوقية لاخذته بها ولما قال المشركون
انما اعتق أبو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى

السورة فالاتقى أبو بكر رضى الله تعالى عنه والاشقى أمية ابن خلف * قال الامام فخر الدين اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى أبو بكر وذهب الشيعة الى ان المراد به على رضى الله تعالى عنه ويرده وصف الاتقى بقوله تعالى ومالاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على على رضى الله تعالى عنه لانه كان فى تربية النبى صلى الله عليه وسلم أى كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها أى نعمة دنيوية لانها التى يجازى عليها بخلاف أبى بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهى نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا فتعين حمل الآية على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيلزم من ذلك ان يكون أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق لان الله تعالى يقول ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازى بأن الامة مجمعة على ان أفضل الخلق بعد النبى صلى الله عليه وسلم اما أبو بكر واما على ولا يمكن حمل الآية على على لما تقدم فتعين حملها على أبى بكر * وذكر بعض أهل المعانى أى المبينين لمعانى القرآن كالزجاج والفرا والاخفش أن المراد بالاشقى والاتقى الشقى والتقى فأوقع أفعل التفضيل موضع فعيل فهو عام فى أمية ابن خلف وأبى بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذى بخل واستغنى المراد به أبو سفيان لانه كان عاتب أبا بكر فى ادمانه واعتاقه وقال له أضعت مالك والله لا تصيبه أبدا وقيل المراد به أمية بن خلف * ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله أى لان بلالا قال لابى بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتنى لنفسك فأمسكنى وان كنت انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله فأعتقه هذا * وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال لو كان عندى مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضى الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى أبى بكر أى ملكه له فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذا وما تقدم * وقد اشترى أبو بكر رضى الله تعالى عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب فى الله منهم حمامة أم بلال ومنهم عامر ابن فهيرة فانه كان يعذب فى الله تعالى حتى لا يدرى ما يقول كان لرجل من بنى تيم من ذوى قرابة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ومنهم أبو فكيهة كان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم بلال فرآه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقد أخذه أمية أبو صفوان وأخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأخو أمية يقول له زده عذابا حتى يأتى محمد بسحره فاشتراه أبو بكر رضى الله

تعالى عنه ومنهم امرأة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورة بر فتناة تحتية ساكنة
وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتى عميت قال لها يوما أبو جهل ان
اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا
ضرا هذا أمر من السماء وربي قادر على ان يرد على بصري فأصبحت تلك الليلة وقد رد
الله تعالى عليها بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضي الله
تعالى عنه وأعتقها أي وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية أم عنيس بالنون أو الباء
الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها
ولم يصفها بأنها بنت زنيرة فاشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقها وكذا النهدية
وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها الطيفة وكذا أخت عامر بن
فهيرة أو أمه كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم * فقد جاء أن أبا بكر
رضي الله تعالى عنه مر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعذب جارية أسلمت
استمر يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم أتركك حتى
مليت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه وأعتقها * وفي السيرة
الشامية وصفها بأنها جارية بني المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة فجملة هؤلاء
تسعة * وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانى في سبي
في الجاهلية فاشترته أم أنمار أي وكان قينا أي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم
يألفه ويأتيه فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة وقد أحمتها
بالنار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوي
فكان خباب يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي رأسها * وفي البخاري عن خباب قال
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا
يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله
لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط
أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن
دينه ويوضع المنشار على فرق رأس أحدكم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه
وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذئب على غنمه * قال ومن خباب رضي الله تعالى عنه انه حكى
عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا الى نارا ووضعوها على ظهري فما أطفأها
الا ودك ظهري أي دهنه * وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضي الله تعالى

عنه

عنه كان يعذب بالنار وفى كلام ابن الجوزى كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص أى صار أثر النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بأن النار تكون بردا وسلاما عليه * وعن أم هانى رضى الله تعالى عنها ان عمار ابن ياسر وأباه ياسر وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضى الله تعالى عنهم كانوا يعذبون فى الله تعالى فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة أى وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلنا فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية لأبى جهل أى أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها فى قلبها فماتت أى بعد أن قال لها ان آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الا لانك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة فى قبلها حتى قتلها فهى أول شهيد فى الاسلام انتهى * وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار ابن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف فنزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار * قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبواه مؤمنان الا هو أى من المهاجرين فلا ينافى ان بشر بن البراء ابن معرور الانصارى حضر بدرا وأبواه مؤمنين * ومما أوذى به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون بأذى المشركين أى وحصروا بنى هاشم والمطلب فى شعب أبى طالب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة وهى الهجرة الثانية (ه) خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع باقاصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة أميال أى وفى رواية حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه بن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة أى وهو واسمه الحارث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لاسيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها فقال له أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجنى قومى فأريد ان أسيح فى الارض فاعبد ربى قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج أنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على

نوائب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة فى اشراف قريش وقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله ألا تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق وهو فى جوارى فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أى لم ترد جواره وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابى بكر فلبث أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه ففزع ذلك كثيرا من اشراف قريش أى من المشركين وأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان يرى أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أى نزيل خفارتك أى ننقض جوارك ونبطل عهدك فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى قد عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت أى أزيلت خفارتى فى رجل عقدت له فقال له أبو بكر فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى * قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر ألا ترى ما صنع هذا السفيه فقال له أنت فعلت بنفسك فصار أبو بكر يقول رب ما أحلمك قال ذلك ثلاثا انتهى أى * وفى كلام بعضهم وينبغى لك أن تتأمل فيما وصف به ابن الدغنة أبا بكر بين اشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف أى اعتراف بأن أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحد أن ينازع فيها ولا أن يجحد شيأ منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له ومما يؤثر عنه رضى الله تعالى عنه صنائع المعروف تقى مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر

باب

(باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم اشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعن ماجاء به وحديث الزبيدى وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرذنا أنبأنا حدثنا محمد بن كعب القرظى)

قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا فى قريش قال يوما وهو جالس فى نادى قريش أى متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا قالوا يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه * قال وفى رواية أن نفرا من قريش اجتمعوا وفى أخرى اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه فقالوا أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب أى من الوسط أى الخيار حسبا ونسبا وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم أنه قال له أيضا أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب أى فسكت ان كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل يسمع لقولك لقد أفضحتنا فى العرب حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانا انتهى فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع فقال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أى فيصير لك الامر والنهى فهو أخص مما قبله وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال

لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا
ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه
ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم أن يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد
ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف لقد جاءكم
أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال
ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو
فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه
بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به
قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم * قال
وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد عليهم
فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد صلى الله عليه
وسلم وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك
الا أنك قد صبوت الى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبك أمره فقص عليهم القصة فقال
والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير أنه أنذركم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه فأنشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا
صلى الله عليه وسلم اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا ويلك
يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر
الى آخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد قال هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم
انتهى * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا أي اشرافهم وشيعتهم
منهم الاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن
ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأبو جهل * وفي الينبوع
أتى الوليد بن المغيرة في أربعين رجلا من الملأ أي من السادات منزل أبي طالب
وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمره بإشكائهم مما يشكون منه
أي أن يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى أمر فيه الالفة والاصلاح فأحضره وقال يا ابن

أخي

أخي هؤلاء الملأ من قومك فو شكوهم وتألمهم فعاتبوا النبي صلى الله عليه وسلم على
تسفيه أحلامهم وتسلام آبائهم وعيب آلهتهم الحديث أي قالوا له يا محمد انا بعثنا اليك
لنكلمك فانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك
لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت
الجماعة ولم يبق أمر قبيح الا أتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث
تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب
الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذي يأتيك تابعا من الجن
قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طبك وفي رواية انهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله
عليه وسلم فجاءهم مسرعا طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال
والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم
ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا
وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا
مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى
حتى يحكم الله بيني وبينكم * وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة
ويزوجوه ما أراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر
أن عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباه فاختر أي نساء قريش فنزوجك
عشرا وقالوا له ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك
بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة
واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قال تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك
سنة فنشترك نحن وأنت في الامر فان كان الذي تعبده خيرا مما نعبد كنت أخذت منه
بحظك وان كان الذي نعبد خيرا مما تعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر
ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون
ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم السورة * وعن جعفر الصادق أن
المشركين قالوا له أعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا
شهرا نعبده معك الهك سنة فنزلت أي لا أعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما أعبد
عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير شهرا
جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعنا في القرآن لو قال امرؤ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك أربع مرات في نسق أما كان عيبا

فكيف وقع فى القرآن قل يا أيها الكافرون السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم
ولى دين فسخ بآية القتال و بقوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون بل
الله فاعبد وكن من الشاكرين * ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله أنزل لما كرهتموه القرآن قالوا ائت بقرآن غير هذا فانزل الله تعالى ولو تقول
علينا الآيات * وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله
من تلقاء نفسى الآية * ثم رأيت فى الكشاف ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم
ما فى القرآن من ذم عبادة الاصنام والوعيد الشديد قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه
ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر
الآلهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله الآية قال وجلس أى
صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة
ابن ربيعة أى وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم أليس
حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفى لفظ هل ترون بما أقول بأسا فيقولون لا
فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين وهو ممن أسلم بمكة
قديما والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع
فى اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه
صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه انتهى أى وفى رواية
أشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن أم مكتوم بأن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه
فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا
على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى فى ذلك بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى
وما بعدها السورة أى والمجىء مع العمى ينشئ عن مزيد الرغبة وتجشم الكلفة
والمشقة فى المجىء ومن كان هذا شأنه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان
بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و يبسط له رداءه * قال وبهذا يسقط
ما للقاضى أبى بكر بن العربى هنا انتهى * أقول لعل الذى له هو ما ذكره تلميذه
السهيلى وهو أن ابن أم مكتوم لم يكن أسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى
دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل فى الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول
الآية ويدل على ذلك قوله للنبى صلى الله عليه وسلم استدينى يا محمد ولم يقل استدينى
يا رسول الله ولعل فى قوله تعالى لعله يعطى الترجى والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم
قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتزكى هذا كلامه * وعن الشعبى قال
دخل رجل على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها ابن أم مكتوم وهى تقطع له

الاترج

الاترج ويجعله فى العسل وتطعمه فقيل لها فى ذلك فقالت ما زال هذا له من آل محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وفى فتاوى الجلال السيوطى من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاووسا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاووس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل أعرض ولم يؤمن * ومما سألوه صلى الله عليه وسلم من الآيات غير المعينات على ما رواه الشيخان أو معينة كما فى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسيأتى ما يعلم منه انهم سألوه صلى الله عليه وسلم أولا آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة * فقد ذكر ابن عباس أن قريشا سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية أى وفى رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون أى بمنى منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل ابن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر بن الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الآخر بالمغرب وكانت ليلة أربعة عشر أى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان * وفى لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التى كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتى كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء فى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب * أى ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فهو معجزة أخرى لان القمر ليلة أربعة عشر يستمر جميع الليل وسيأتى عن زين المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا والفرقتان هما المراد تان بالمرتين فى بعض الروايات التى أخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقى فقال انه انشق مرتين لان المرة قد يستعمل فى الاعيان وان كان الاصل وضعها الافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة فى زمانين من له خبرة بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة * وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن

أبي كبشة أي وهو أبو كبشة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لان وهب
ابن عبد مناف بن زهرة جد أبي آمنة أمه يكنى أبا كبشة أو هو من قبل مرضعته حليمة
لان والدها أو جدها كان يكنى بذلك أو كان لها بنت تسمى كبشة فكان زوجها الذي
هو أبوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم في الرضاع * وقد روى عنه صلى الله
عليه وسلم فقال حدثني ماضي أبو كبشة انهم لما أرادوا دفن سلول وكان سيدا
معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلق ففتحوه فاذا سرير عليه رجل وعليه حلل
عدة وعند رأسه كتاب أنا أبو شهر ذو النون مأوى المساكين ومستفاد الغارمين
أخذني الموت غصبا وقد أعيى الجبابرة * وقيل قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون
هذا هو سيف بن ذي يزن الحميري * وقيل أبو كبشة جده صلى الله عليه وسلم لابيه
لان أبا أم جده عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له
الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى أن له
في مخالفته سلفا * وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة
فشبهوه صلى الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام أي * ومما قد يؤيد
هذا الاخير ما في الاتقان حيث مثل بهذه الآية للنوع المسمى بالتنكيت وهو
أن يخص المتكلم شيأ من بين الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وأنه هو رب
الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب
كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا
خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية
هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه فقال
رجل منهم أن محمدا ان كان سحر القمر أي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره
أن يسحر الارض كلها أي جميع أهل الارض وفي رواية لان كان سحرنا ما يستطيع
أن يسحر الناس كلهم فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فسألوهم فأخبروهم
انهم رأوا مثل ذلك وفي رواية أن أبا جهل قال هذا سحر فاسألوا أهل الآفاق وفي لفظ
أنظروا ما يأتيكم به السفار حتى تنظروا هل رأوا ذلك أم لا فأخبر وأهل الآفاق
وفي لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل أوجه فأخبروهم انهم رأوه منشقا فعند
ذلك قالوا هذا سحر مستمر أي مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ما قبله من الآيات
* وفي لفظ قالوا هذا سحر السحرة فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أي مطرد كما تقدم أو محكم أو قوي
شديد أو مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر

منشقا أهل مكة بل جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك أهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بأنه طلب جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام * وفى فتح البارى حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث * أقول والى انشقاق القمر أشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البدر * ومن شرط كل شرط جزاء

* أى شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفى نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة أربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزى على ذلك بأعظم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن وقد أشار الى ذلك أيضا الامام السبكى فى تائيته * بقوله

وبدر الدياجى انشق نصفين عندما * ارادت قريش منك اظهار آية

أى فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا على أن يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم انشقاق القمر الذى هو بعيد عن الاطماع فى غاية الامتناع أى فقد سألوه أولا آية غير معينة ثم عينوها * وفى الاصابة عن بعضهم قال وأنا ابن تسع عشرة سنة سافرت مع أبى وعمى من خراسان الى الهند فى تجارة فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج أهل القافلة نحوها فسألناهم عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فرأينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من أهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا فرأينا زنبيلا معلقا فى بعض اغصان تلك الشجرة فسألناهم فقالوا فى هذا الزنبيل الشيخ زين الدين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعى له بطول العمر ست مرات فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسألناهم أن ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه فتقدم شيخ منهم فأنزل الزنبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ فى وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال ياجداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع أبى وأنا شاب من هذه البلاد الى الحجاز فى تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ

الاودية فرأيت غلاما حسن الشمائل يرعى ابلا فى تلك الاودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فأتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند أبله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند أبله نظر الى ودعا لى ثم عدنا الى بلادنا وتطاولت المدة ففى ليلة ونحن جلوس فى ضيعتنا هذه فى ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر فى كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف فى المشرق ونصف فى المغرب وأظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثانى من المغرب الى أن التقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسألنا الركبان عن سببه فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى أنه رسول الله الى كافة العالم وأن أهل مكة سألوه معجزة واقترحوا عليه أن يأمر لهم القمر فينشق فى السماء ويغرب نصفه فى المشرق ونصفه فى المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسألت عنه فدلونى على موضعه وأتيت الى منزله واستأذنت فأذن لى فى الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الى وتبسم وقال أدن منى وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست وأكلت من الرطب وصار يناولنى الى أن ناولنى ست رطبات ثم نظر الى وتبسم وقال لى ألم تعرفنى قلت لا فقال ألم تحملنى فى عام كذا فى السيل ثم قال أمدد يدك فصافحنى وقال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر بى وقال عند خروجى من عنده بارك الله فى عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله لى فى عمرى بكل دعوة مائة سنة فعمرى اليوم ست مائة سنة أى فى المائة السادسة مشرف على تمامها اهـ ❊ وسئل الحافظ السيوطى عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذى رواه معمر الذى يزعم أنه صحابى وأنه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه أربع ضربات وقال له عمرك الله يا معمر فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التى ضربه بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد أن صافحه من صافحك الى ست أو سبع لم تمسه النار هل هو صحيح أم هو كذب وافتراء لا تجوز روايته ❊ فأجاب بأنه باطل وأن معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ❊ وقد قال أهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم أن آخر الصحابة مطلقا موتا أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت

ذلك

ذلك فى صحيح مسلم * واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبى الطفيل فهو كذاب * ومما سألوه صلى الله عليه وسلم من الآيات المعينات ماأخذت به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليخرق فيها أنهارا كأنهار الشام أو العراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن بعث لنا قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل قال زاد فى رواية فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وأنه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به انتهى * ثم قالوا واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك أى وفى لفظ قالوا لم لا ينزل علينا الملائكة فتخبرنا بأن الله أرسلك أو نرى ربنا فيخبرنا بأنه أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه أى فلا بد أن تمتاز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا أى وفى لفظ قالوا أن محمدا يأكل الطعام كما نحن نأكل ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز أنه يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا (ه) وأنزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ولما قالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا أنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس * ثم قالوا واسقط السماء علينا كسفا أى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل وقد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا أى وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو أى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب أى توبتى ورجوعى (ه) وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا أسفا على مافاته من هدايتهم التى طمع فيها وقال له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل أن يسلم رضى الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل بعض ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك أى كتاب

معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وايم الله انك لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الاسراء وفيها الاشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيه جميع ماسألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة وبين أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثاني لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ماسألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * وعن محمد بن كعب ما حاصله أن الملأ من قريش أقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعوا الله تعالى أن يعطيهم ماسألوه فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بتعذيبهم وفيه انه حينئذ يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر وفي رواية أتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت ان تصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب عذابا لا اعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا تصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة * وفي رواية وان شئت تركهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وايضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون أيمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن اعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وايضا لم يسألوا ماسألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك * والى سؤالهم تلك الآيات وارتيابهم في القرآن وقولهم فيه انه سحر وافترا أي سحر يأثره أي يأخذه عن مثله وعن أهل بابل يفرق به بين المرء واخيه والمرء من قول أبي اليسر وزوجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر وهو عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه * والى قول أبي جهل أيضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحي اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله * والى هذا أشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء

والذي

والذى يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

* أى اعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقرآن الذى فيه اهتداء للعقول واعجب عجبا أيضا من الامر الذى يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القرآن

أو لم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس آية منه والجـ * ـن فهلا يأتى به البلغاء
كل يوم يهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافوا * ه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مراتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منـ * ـنا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيـ * ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت آياته من علوم * من حروف أبان عنها الهجاء
فهى كالحب والنوى اعجب الزرا * ع منها سنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريـ * ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ * ـم فماذا تقوله الفصحاء

* أى أو لم يكفهم عما سألوه عنادا ذكر واصل اليهم حالة كونه من الله تعالى رحمة وشفاء للناس والجن والملئكة اعجز الانس والجن آية منه فهلا يأتى بتلك الآية أهل البلاغة كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تتحلى بسماعه المسامع من التحلية التى هى لبس الحلى وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلو فهو الحلى والحلوا حسن من جهة اللفظ وتصفى من شوائب النقص من جهة المعنى فأرتنا رقة من زلاله وصفاء من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلاء الاصداء عن تلك المرآة سور أشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار فى القرآن كالصور التى يصورها المصورون فانه لا وجود لها فى الحقيقة فما قالوه فى القرآن بائل قطعى البطلان فاحذر الخطباء أن توقع فى وهمك انما يأتى به يقارب القرآن كما وضحت آياته علوما حالة

كونهما متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجي كالحب الذي يلقيه الزرع والنوى الذي يلقيه الغارس أعجب الزراع والغراس منهما أي من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار ونحو فاق الحصر فأطالوا في تلك السور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة أخرى أساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيأ من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيأ واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها بتلك الطرق فأي قول يقوله الفصحاء * أي وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين أي مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا أي هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي أعظم وأشرف من محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله أهم يقسمون رحمت ربك الآية وفي لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ثم لا يخفى أن كفار قريش بعثوا مع النضر ابن الحارث عقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا أحبار يهود أي قالوا لهم أتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفي لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن تبعه منكم قالوا سفلتنا افصح حبر منهم وقالوا هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة قالت لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول أي وهم أهل الكهف ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها أي وهو ذو القرنين ما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهي فاذا أخبركم بذلك أي بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فانه نبي فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أي لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل أربعة أيام لا يأتيه الوحي وتكلمت قريش في ذلك بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه أي ومن جملة من قال ذلك له صلى الله

عليه

عليه وسلم أم جميل امرأة عمه أبي لهب قالت له ما أرى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك أى تركك وبغضك * وفى رواية قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف ويروى أنهم يكونون مع عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين أى وهو اسكندر وذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفى لفظ كان له شبه القرنين فى رأسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها أى بلغ قطرى المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن رأسه فمات ثم أحيى ثم ضرب على قرنه الآخر فمات ثم أحيى وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة * وكان ذو القرنين رجلا صالحا من أهل مصر من ولد يونن وفى لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك فى سورة الاسراء وهو ان الروح من أمر الله أى قل لهم الروح من أمر ربى أى من علمه لا يعلمه الا هو أى وكان فى كتبهم أن الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ومن ثم جاء فى بعض الروايات ما تقدم ان أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بأن أجابكم عنها بأنها من أمر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جاء فى بعض الروايات سلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي * أقول اذا كان فى كتبهم أن حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه كيف يسألونه فيخبرهم بذلك الا أن يقال المراد ان أجابكم بغير قوله من أمر ربى فاعلموا أنه غير نبي فانه يحاول أن يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما فى مأثور التفسير من أمر ربى من علم ربى لا علم لى به * وفى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التى نفخ الله تعالى فى آدم فان قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله فى النار شيأ هو منه وحاصل الجواب الذى أشارت اليه الآية أن الروح أمر بمعنى مأمور أى مأمور من مأموراته وخلق من خلقه لا أنها جزء منه والله أعلم أى وهذا يدل على أن المسئول عنه روح الانسان التى هى سبب فى افادة الحياة للجسد * وفى كلام الامام الغزالى رحمه الله تعالى أن الروح روحان حيوانى وهو التى تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخارى معتدل سارى فى البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه الروح تفنى

بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحانى وهى التى يقال لها النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانى وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه * وفى كلام بعضهم والروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف فى البدن حال فيه حلول الدهن فى الزيتون يعبر عنه بأنا وأنت واذا فارق البدن مات * وذهب جمع منهم الغزالى والامام الرازى وفاقا للحكماء والصوفية الى أنه أمر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله انتهى * ورأيت فى كلام الشيخ الاكبر أن الامام ركن الدين السمرقندى لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها ليناظر المسلمين فسأل عن العلماء فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندى فقال له الهندى ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من أنبأكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذى قال فى الروح قال هو من أمر ربى فقال صدقتم فأسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بنى آدم أوملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل * قال بعضهم قلت كذا فى هذه الرواية انهم سألوه أى مشركوا مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على أن السؤال عن الروح ونزول الآية كان بالمدينة أى من اليهود هذا كلامه * وفيه أنه سيأتى جواز تكرار السؤال وتكرر نزول الآية الى آخر ما يأتى وبه يعلم ما فى الاتقان حيث تعقب قول بعضهم ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سألوه عن الروح وعن ذى القرنين بقوله * قلت السائل عن الروح وذى القرنين مشركوا مكة أواليهود كما فى أسباب النزول لا الصحابة * وفى الاتقان قد يعدل عن الجواب أصلا اذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى * قال صاحب الافصاح انما سأل اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة فقصد اليهود أن يسألوه صلى الله عليه وسلم فبأى مسمى أجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفى سورة الكهف أيضا آية ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت أى اذا أردت أن تقول سأفعل شيأ فيما يستقبل من الزمان تقول ان شاء فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تأتى بها تذكرها بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام فى المجلس أى وظاهره وان طال الفصل * وفى الخصائص الكبرى أن هذا أى الاتيان

بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا أن يستثنى أى يأتى بالمشيئة الا فى صلة يمينه * أقول كان ينبغى أن يقول فى صلة اخباره لان مساق الآية فى الاخبار لا فى الحلف * فان قيل هى عامة فى الخبر والحلف * قلنا كان ينبغى أن يقول حينئذ فى صلة كلامه وحينئذ يقتضى كلامه أنا نشاركه فى الخبر دون الحلف والله أعلم * ثم لا يخفى أنه قيل سبب احتباس الوحى أنه لم يقل ان شاء الله تعالى وهو المشهور * وقيل لانه كان فى بيته كلب وفى لفظ كان تحت سريره جرو ميت * فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل فى احتباسه قال اما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أى فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ماحدث فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا يأتينى قالت فقلت فى نفسى لو كنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو ميتا * أقول قال ابن كثير قد ثبت فى الحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب * وقد أورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة أى صورة التماثيل التى فيها الارواح يلزم أن لا يموت من عنده كلب أو صورة وأن لا يكتب عمله * وأجيب عنه بأن المراد لا تدخل ذلك البيت دخول اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافى دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله أعلم * وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله آتاكم الله من فضله أى وربما سكت * فقد روى الشيخان ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك أنه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده شىء أعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا قط أى يشافهه بالرد * وقد حكى بعضهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله استغفر لى فسكت فقلت يا رسول الله ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيأ قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لى أى فكان يأتى بالاول حيث لا يكون المقام يقتضى الاقتصار على السكوت ولعل هذا فى غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل * وبين الشيخ ابن الجوزى فى التنشر سبب الحاح هذا السائل أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى اليه قطف عنب قبل أوانه فهم أن يأكل منه

فجاءه سائل فقال اطعمونى مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فأعطاه اياه فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم فعاد السائل فسأله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جداً وهو معضل * وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك الغير أن جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عنى قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شعوركم ولا تستاكون * أقول واختلاف هذه الاسباب ظاهر فى أن الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت أى آية سورة الضحى رداً عليهم فى قولهم ان محمداً اقلاه ربه وتركه وهى ماودعك ربك وما قلى أى ما قطعك قطع المودع وما أبغضك لانه يجوز أن يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن أن يقال يجوز أن تكون الواقعة واحدة وتعددت أسبابها ولا ينافيه اخبار جبريل عليه السلام تارة بأن سبب احتباسه عدم قص الاظفار وماذكر معه وتارة بأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بأمر ربك كما يأتى قريبا وكما سيأتى فى قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية أى ماودعك ربك وما قلى غريب فالمعتمد ما فى الصحيح هذا كلامه * أقول ومما يدل على أن واقعة الجرو كانت بالمدينة ما فى بعض التفاسير أن هذا الجرو كان للحسن والحسين وما رواه مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى ساعة أن يأتيه فجاءت تلك الساعة ولم يأته قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فأمر به فأخرج فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتنى فجلست لك ولم تأت فقال منعنى الكلب الذى كان فى بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة * وفى زيادة الجامع الصغير أتانى جبريل فقال لى انى كنت أتيتك البارحة فلم يمنعنى أن أكون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه الا أنه كان على الباب تماثيل وكان فى البيت ستر فيه تماثيل وكان فى البيت كلب فأمر برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطآن وأمر بالكلب فأخرج ومعلوم أن مجىء جبريل له صلى الله عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم

فلا

ثلاثا فى ماتقدم فليتأمل ولما نزلت السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل وأما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم أيضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السور التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن * وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بعد أمره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله أكبر * هذا وقيل ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول والضحى * وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل أعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بأنه كبر فى أول السورة المذكورة والرواية الاخرى أنه كبر فى آخرها * ومما يدل على أن التكبير أول سورة الضحى ماجاء عن عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسماعيل بن عبد ربه فلما بلغت الضحى قال كبر فانى قرأت على عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لى كبر حتى تختم وأخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك وأخبره أبى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك قال بعضهم حديث غريب * ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه قال لآخر اذا تركت التكبير أى من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم * لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف * وقد ذكر الشيخ أبو المواهب الشاذلى عن شيخه أبى عثمان أنه قال انما نزلت سورة ألم نشرح عقب قوله وأما بنعمة ربك فحدث اشارة الى أن من حدث بنعمة الله فقد شرح الله تعالى صدره قال كأنه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتى ونشرتها بين عبادى فقد شرحت صدرك * وعن ابن اسحاق ذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا وفى لفظ ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا أى لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة رآها * وأما حديث الزبيدى فقد حدث بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومن معه من الصحابة

اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المارة أو يجلب اليكم جلب أو يحل بضم الحاء أى ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال له من ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله أى أحسنها فسامه بها أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال فاكسد على سلعتى فظلمنى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين اجمالك قال هذه هى بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بنى عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق ولم يتكلم ثم أقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عمرو اياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى منى ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبى جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت فى يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذى رأيتم منى لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه وشماله معهم رماح يسرعونها الى لو خالفته لكانت اياها أى لأتوا على نفسى ونظير ذلك أن أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل فمشى معه اليه ورد عليه ماله فقيل له فى ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعننى * وأما حديث المستهزئين فيما استهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم أن أبا جهل بن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشى بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبى جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأنه لا قدرة له على أبى جهل أى بعد أن وقف على ناديهم فقال يا معشر قريش من رجل يعيننى على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبى جهل أى قال له يا أبا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى بحقى منه وأشاروا اليك فخذ حقى منه يرحمك الله فخرج النبى صلى الله عليه وسلم مع الرجل

الى أبي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على ذلك المجالس فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لي بحقي وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اليه فعند ذلك قالوا لابي جهل ويلك ما رأينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فمليت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لاكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي ✽ وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ✽ ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن ✽ ما على مثله يعد الخطاء

✽أي وطلب صلى الله عليه وسلم من أبي جهل أن يؤدي دين الاراشي وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك الدين كثيرا النجاء وذلك الذي أتاه به هو الفحل الذي قد رآه من قبل أي لما أراد أن يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه يعد الخطأ لان خطأه لا يحصر أي ومن استهزاء أبي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه في بعض الاوقات سار خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن عبد البركان المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وهو والد مروان بن الحكم الخليفة عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء أبي جهل ما تقدم ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومر يوما من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفض رأسه و يقول صابي أحمق ✽ ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقي القذر أيضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه

وسلم كنت بين شرجار بن أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي كما تقدم * ومن استهزائه أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا أي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة يومامن سفر فصنع طعاما ودعا لناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا با كل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه ونصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي ووجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك * قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا في وجهه أي صار كالبرص وأنزل الله تعالى في حقه ويوم يعض الظالم على يديه أي في النار يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا * ومن استهزاء الحكم بن العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه ولم وقال له كن كذلك فكان كذلك أي كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة أي وقيل بمدرة في يده والمدرة كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولى ابن أخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد أن سأل عثمان أبا بكر في ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولما أدخله عثمان انقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني

برده أى اقى أردة ولا ينافى ذلك سؤال عثمان لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم
فى ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل أن برده عثمان اما بنفسه أو بسؤاله وسيأتى ذلك
فى جملة أمور أنقمها عليه الصحابة * وعن هند ابن خديجة أم المؤمنين رضى الله
تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بأبى الحكم فجعل يغمز بالنبى صلى الله
عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش
* وفى رواية فما قام حتى ارتعش * وعن الواقدى استأذن الحكم بن أبى العاص
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج
من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى
الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم
فأتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو
صحابى ان ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله
عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى آخره * وفى كلام
بعضهم أن مروان ولد بمكة * وفى كلام بعض آخر أنه ولد بالطائف بعد ان نفى أبوه
الى الطائف أى ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى * ومن ثم قال
البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم * وعن عائشة رضى الله
تعالى عنها انها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم
* وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك أى الذى هو
العاص بن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن * وولى مروان الخلافة تسعة أشهر
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد
الرحمن بن أبى بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله
تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن
معاوية فقال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما فبلغ ذلك
عائشة فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له اما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه * وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل
لامتى مما فى صلب هذا * قال بعضهم وكون النبى صلى الله عليه وسلم مع ماهو عليه
من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل دلالة على أمر عظيم ظهر له
فى الحكم وأولاده * وعن حمران بن جابر الحنفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات أى وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا

أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهي ألف شهر * قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة أربعين أو احدى وأربعين واستمر الامر في بني أمية الى أن انتقل الى بني العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة وألف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر هذا كلامه * ومن استهزاء العاص بن وائل أنه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث أي * ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضاها فقال له يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك والله لا تكونن أنت وصاحبك آثر عند الله مني ولا أعظم حظا في ذلك * وفي لفظ أن العاص قال له لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا * وفي كلام ابن حجر الهيتمي وفي البخاري عن عدة طرق أن خبابا رضي الله تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمي دينا له عليه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا أكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك * وفيه أن هذا تعليق للكفر بممكن أي وتعليق الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعي أو عقلي على احتمال كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام * وأجيب بأنه لم يقصد التعليق قطعا وانما أراد تكذيب ذلك اللعين في انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تأتي بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بأن ما بعدها كلام مستأنف وعليه خرج ابن هشام الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أي لكن أبواه * وعد بعضهم من المستهزئين الحارث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى أمه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وائل وأبي جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاءً بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر رأى لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول * وعد منهم الاسود بن المطلب ومن استهزائه أنه كان وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويصفرون اذا رأوهم * وعد منهم النضر بن الحارث فهلك غالبهم قبل الهجرة بضروب من البلاء * أقول والذي ينبغي أن يكون المراد بالمستهزئين في الآية وهي انا كفيناك المستهزئين * الوليد بن المغيرة والد خالد وعم أبي جهل فانه كان من عقلاء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا * وببركته صلى الله عليه وسلم أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف والسودد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد في الكفر والخبث والعناد * والعاص بن وائل والد عمرو ابن العاص * والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن عيطلة وفي لفظ بن الطلاطلة والطلاطلة في اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لاحارث والحارث بن العيطلة كان أحد أشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي تجعل للآلهة وذكره بن عبد البر في الصحابة * قال في أسد الغابة لم أر أحدا ذكره في الصحابة الا أبا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح أنه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد أي يطوف بالبيت وقال له أمرت ان أكفيكهم * فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد * ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأشار الى أخمصه وقال كفيته * ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال كفيته * ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته * ثم مر الحارث ابن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية

هذا له صلى الله عليه وسلم أنه لم يسع ولم يتكلف فى تحصيل ذلك * والى هذا أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجبريل لما استهزأت فرقة الردا * أشار الى كل بأقبح ميتة والله أعلم

* قال وروى الزهرى ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه فأتى أهله فلم يعرفوه وقفلوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سيأتى عن شرح الهمزية ولا يناسب ان جبريل عليه السلام اشار الى رأسه * وفى كلام البلاذرى عن عكرمة ان جبريل أخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى أحقوقف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى أى لانه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف أو لاجل مراعاة أبيه أى براعى لاجل أبيه الذى هو خالى فقال جبريل يا محمد دعه * وفى رواية قال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى قتله وهذا الا يناسب كون جبريل اشار الى رأسه والمناسب لذلك ما ذكره بعضهم انه امتخض رأسه قيحا ثم لم يزل يضرب برأسه أصل شجرة حتى مات * وأما الحارث ابن عيطلة أى وفى كلام القاضى وحارث ابن قيس وفى تكملة الجلال السيوطى عدى بن قيس فقد أكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكرهنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لا يناسب ما قاله القاضى البيضاوى انه اشار الى أنفه فامتخض قيحا * وأما الاسود ابن المطلب فقد عمى بصره * فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيأ أى وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول هاهوذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى شيأ وقيل اتى شجرة فجعل ينطح رأسه بها حتى خرجت عيناه أى وفعل ذلك لا ينافى ما ورد فأشار أى جبريل الى وجهه فعمى بصره فى الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب * وفى رواية انه كان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بأن يكون طريدا شريدا فاستجيب لى وسيأتى عن بعضهم فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود ابن المطلب بالعمى وفقد أولاده فحصل له العمى وفقد أولاده ببدر * وأما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب لينحيه تعاظما فعند ما أصاب السهم عرقا فى ساقه فقطعه فمات * وأما العاص بن وائل فدخلت شوكة فى أخمصه فانتفخت رجله حتى

صارت

صارت كالرخاومات والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم ساء * نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردا من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب * أى عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * ان سقاه كأس الردا استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى مهجة الحارث القيوح وقد * سال بها رأسه وسال الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

* أى وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة أحزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم أصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فأهلك الاسود بن المطلب عمى عظيم الاحياء أموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الى عينيه ودهى أيضا الاسود بن عبد يغوث استسقاء سقاه كأس الموت وهذا المناسب كون جبريل اشار الى رأسه وأصاب الوليد أثر سهم فى ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء أى سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت فى رجله فلله هذه النقيعة الخشنة اللمس وقضت على الحارث القيوح والحال انه قد سال رأسه وفسد ذلك الوعاء لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل أشار الى أنفه لا لقول بعضهم انه أشار الى بطنه خمسة طهرت بهلاكهم الارض فكف الاذى بهم شلاء فاقدة الحركة * وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة * فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى عد منبه ونبيه ابنى الحجاج منهم * فقد قيل كانوا ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك ليشهد لك ويكون معك واذا ذكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى عد أبى جهل وغيره منهم كما تقدم * وفى سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم

وأصحابه * ومن استهزاء أبي جهل أيضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يقذفونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا فيعجز كل مائة رجل منكم من واحد منهم أي وفي رواية ان بعض قريش وكان شديدا قوي البأس يبلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال له انا أكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن * أي وفي رواية ان أبا جهل قال أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أي لا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالا للذين كفروا الآيات أي بأن يقولوا ماذكر أو يقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد أي وهذا العدد لحكمة استأثر الله تعالى بعلمها * وقد أبدى بعض المفسرين لذلك حكمة تراجع * وقد جاء في وصف تلك الملائكة ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة * وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لأحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم * وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس أن الله خلق مالكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لأذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء لكل واحد اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أي وهؤلاء الاتباع منهم * وأخرج هناد عن كعب * قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها * وفي كلام بعضهم لم يثبت للملائكة النار عدد مع سوى ما في قوله تعالى تسعة عشر وانما ذلك لسقر التي هي احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد أو أكثر * قيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم * أقول ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار يقال لها شجرة الزقوم والنار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تترب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل

الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها * وقد قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه انها تحيي باللهب كما يحيي شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة يسمى زفرة * وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أي وقال يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عزوجل * ثم رأيت في الدر المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد يدنو منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع على تقدير الصحة * وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت أي فقد تكرر نزول الاية والله أعلم * قال ومن استهزاء النضر بن الحارث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا الي فاني والله يا معشر قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقال انه الذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله انتهى أي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث * قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات رقال ولا بعد في ان تكون الآية نزلت فيهما معا ليتحقق العطف في قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا أي فان هذا الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتأمل * ولما تلا عليهم صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين فأنزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا له * وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم

فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق
حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم
بذلك فأتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا
اليه فسمعوه من خلفهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى قوله
وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وتقدم
في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعى انها نزلت لوجود الامرين فليتأمل * وجاء
ان النضر بن الحارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل ثنية الحجون فقال
لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليغتاله فرأى أساود تضرب بأذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه
مرعوبا فلقي أبا جهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره
* ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي
وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله تعالى
عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون
شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد
من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا أخصم لكم محمدا ادعوه لي
فدعوه له فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من
دون الله فقال بل لكل شيء عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى
أخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم
يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة
عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح
الملائكة فضج الكفار وفرحوا فأنزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا
والملائكة وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

*(تم الجزء الاول من السيرة الحلبية ويليه الجزء الثاني أوله باب الهجرة الاولى
الى أرض الحبشة)*

على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين * مصطفى شاهين